2269
.28
.352
V.3, pt.1.

2269.28.352 v.3 pt.1
al-Dibs
Kitāb ta'rīkh Sūrīyah
AUG 25 [illegible]
JUL 31 '79 PRESERVATION PROJECT/PHOTO.

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

Princeton University Library
32101 082175629

13

al-Dibs, Yūsuf Ilyas, abp. of Beirut
Kitab tarikh Suriyah

الجزء الثاني

من تاريخ سورية الدنيوي والديني

المجلد الثالث

في تاريخ سورية في ايام اسكندر الكبير وخلفائه وعلى
عهد القياصرة الرومانيين الى اخر القرن
الثاني للميلاد

للحقير والفقير الى ربه يوسف الياس الدبس
مطران بيروت الماروني

عفي عنه

طبع في المطبعة العمومية المارونية في بيروت
سنة ١٨٩٨

1-308

2269
.28
.352

v.3, pt.1

ملحق بالجزء الاول

(في الانبياء)

في هذا الملحق فصلان نتكلم في الاول منهما في النبوة والانبياء الكبار وفي الثاني في الانبيآء الصغار

الفصل الاول

في النبوة والانبياء الكبار

عد ٣٧١

في تعريف النبي والنبوة وامكانها ونوعها

النبي من اوحى الله اليه بنوع يفوق الطبيعة شيئاً يريده امرًا ان يبلغه الى الناس . والنبوة تبليغ النبي الى الناس امرًا اوحاه الله اليه وعليه فتستلزم النبوة امرين وحي الله وارساله النبي ليبلغه ونرى الله قد صرّح بالامرين لارميا اذ قال له (فصل ١ عد ٩) . هآنذا قد جعلت كلامي في فمك ، فهذا هو الوحي وقال له (في الفصل المذكور عد٧) . لكل ما ارسلك اليه تنطلق ... هآنذا قد اقمتك اليوم على الامم، وهذه هي الرسالة . ومن شرط النبوة ان تكون الاحداث المستقبلة المتنبي عليها لا يعلمها الا الله . وقد جأت كلمة النبي في الاسفار المقدسة متناولة لامن يعلن امورًا مستقبلة فقط بل من يعلن ارادات الله ايتها كانت حاضرة او مستقبلة كمدرسة الانبيآء في عهد شاول والقول عنه ان شاول بين الانبيآء اي بين من يذيعون ارادات الله ويسمى في العبرانية الرآي ايضاً والنبوة موهبة من الله فائقة الطبيعة وبهذا تختلف عنه العرافة التي ليست الا شعبذة او تلقيناً شيطانياً او فراسة بشرية وهي الاستدلال

616951

بالامور الظاهرة على الامور الخفيَّة وبالحاضرة على المستقبلة وتكون النبوة قولية وفعلية فالقولية تعبير النبي عن ارادة الله بالالفاظ المتعارفة والفعلية تعبيره عن ذلك بتشابيه ورموز كالتي كان يبديها حزقيال

لا منكر للنبوة من اليهود والنصارى واكثر الامم ولكن انكر العقليون وجود نبوة حقيقية اي ايحآء الله الى الناس اموراً مستقبلة بنوع فائق الطبيعة فيقرّون بوجود اسفار نبوية في العهد القديم لكنهم يعزون ما حواه بعضها الى فراسة رجال اذكياء في اسرائيل عرفوا ان يستدلوا بالامور الحاضرة على امورٍ مستقبلة واذا تعذر عليهم تخريج بعضها الاخر مثل هذا المخرج لجأوا الى انكار صحة هذه الاسفار زاعمين انها كتبت بعد الاحداث المنبئة بها لا قبلها لان النبوة غير ممكنة على ان تفنيد زعمهم هذا سهل ويكفيه مؤنة البرهان ان الله يعلم المستقبلات وقدير ان ينبي بها من اراد ومتى اراد وليس لعلم الله وقدرته من نكير الا من يجحد وجود الله عزَّ وعلا او كان من الدهريين وتلك حقيقة اجمعت القبائل عليها في كل عصر وكل مكان ونزيد على هذا البرهان القاطع براهين اخرى الاول ان العقليين انفسهم لم ينكروا ان بعض الانبيا تنبأوا بامور مستقبلة وان نسبوا ذلك الى فراستهم وذكائهم فقد اقروا مثلاً ان نبوة ميخا صحيحة وهو قد تنبأ بالجلاء الى بابل فهلم نرى هل كان له ان يتصل بفراسته الى العلم بهذا الجلاء فهو تنبأ به قبل مئة وخمسين سنة من حدوثه وفي زمانٍ لم يكن فيه اقل عداوة بين البابليين واليهود بل لم تكن بابل نفسها وقتئذٍ مستقلة فمن اين للفراسة البشرية ان تتصل الى العلم بهذا الجلاء وتتنبأ به. الثاني ان كل الانبياء حتى اقدمهم تنبأوا بخراب اورشليم والهيكل وبالجلاء ولم تكن نبواتهم شائعة او ملتبسة بل صريحة واضحة وكان الاعداء الالداء وقتئذٍ لليهود الاشوريين ومع ذلك لم يتنبأوا ان هولاء الاشوريين يخربون اورشليم

والهيكل ويجلون اليهود بل تنبأوا ان الكلدانيين انما هم من يكونون آلة انتقام الله من اليهود وان من يخلصهم لا يكون المصريين الذين كانوا عندئذٍ يعتمدون عليهم بل الله فكيف كانت الفراسة البشرية تستطيع ان تتصل الى العلم بهذه الامور المخالفة لكل ظواهر الحال في ايام الانبياء ومع ذلك فقد تم فعلاً ما تنبأوا به . الثالث ان ملك بختنصر كان في ذرى مجده وسؤدده لما انبأ ارميا بانحطاطه وانقراضه لا بكلام عام شامل بل بالفاظ صريحة مفصلة مبينة ان بابل يفتتحها الماديون وحلفاؤهم ويدخلون اليها مجففين مجرى الفرات في ليلة عيد واهلها سكارى ويتملص اليهود حينئذٍ من جلائهم فباية فراسة بشرية استطاع يهودي مقيم في اورشليم ان يبلغ الى العلم بهذه الامور وقرائنها الدقيقة قبل وقوعها بزمان مديد لعمر الحق ان ذلك الا وحي من الله . الرابع ان الانبياء عمّموا نبواتهم فتنبأوا على خراب نينوى وبابل وصور ومنف وعلى انقراض العمونيين والموابيين والفلسطينيين والادوميين فتمت نبواتهم على كل هذه المدن وجميع هولاء الشعوب فاي عاقل يتدبر الامور ويعزوها الى الفراسة او الى المصادفة والاتفاق ويتعامى عن وحي الله فيها . الخامس ان ذكريا قد تنبأ (فصل ٩ عد ١ وما يليه) على ملك اسكندر الكبير وانه يفتتح حدراك ودمشق وحماة وان صور تحرق وتلقى اسوارها في البحر وان غزة يهلك ملكها واشقلون (عسقلان) لا تُسكن وان اورشليم تكون حينئذٍ مطمئنة لا يقلقها شيء وقد دهش ايخرون احد زعماء العقليين بسطوع حقيقة هذه النبوة فلم يجد مفرًا منها الا بزعمه المحال ان هذا خبر تاريخي مغشى بهيئة نبوة وما ذلك الا اقرار على رغم انفه بصحة هذه النبوة واضف الى كل ما مرَّ ما جاء في اسفار الانبياء وغيرها من النبوات على المسيح المفصلة كل ايام حياته من مولده في بيت لحم الى موته على الصليب وقد تمت جميعها فاذًا وجود النبوات امر ثابت ثبوتاً

تاريخياً علمياً ايضاً منزهاً عن كل ريبة ومفحماً كل ملحد وما النبوات الا شهادة الله اذ يستحيل على غيره الاتيان بها حقيقة فاذاً الدين المثبت بالنبوات هو الدين الحق

وقد اوحى الله الى انبيائه بثلاث طرق الكلام والرؤيا والحلم وقدافتتحت نبوات ارميا بقوله كلام ارميا بن حلقيا ... الذي كانت اليه كلمة الرب في ايام يوشيا (ارميا فصل ١ عد١و٢) ومثل ذلك نبوتا هوشع ويوئيل والمراد بكلام الرب لا الالفاظ المسموعة بالاذان بل الفاظ يشعر بها النبي في قلبه . واوحي الى بعضهم بالرؤيا فترى نبوة اشعيا مفتتحة بقوله رؤيا اشعيا بن اموص ومثل ذلك في رؤيا حزقيال واختلف المفسرون في ما اذا كان الله يصور تلك الرؤيا لاعين النبي فيراها بنوعٍ محسوس وطبيعي او يوجد في مخيلته صوراً لا حقيقة خارجية لها فقال القديس ايرونيموس عند كلامه في رؤية حزقيال العظام اليابسة ان الله اخذه بالروح لا بالجسد بل خارجاً عن الجسد فالصحيح القول الثاني اي ان الله كان يوجد في مخيلة الانبياء صور ما يريهم اياه ويظهر ان هذا هو القول الاعم وقد يحتمل ان لايصح في كل الرؤى مثلاً ظهور جبرائيل لدانيال لم يكن مصوراً في مخيلته فقط بل ظهر لعينيه (دانيال ٨ و١٦) وفي كل حال لم تكن تلك الرؤيا وهمية بل كان الله يصورها حقيقة لمخيلة الانبياء وقد اوحى الله الى انبيائه نادراً بالحلم ايضاً وهذا النوع يختلف عن النوع السابق في ان الرؤيا كانت تحصل للنبي وهو مستيقظ والحلم يحصل له وهو راقد وكان الرب يستخدم في الرؤيا والحلم طرايق يألفها النبي فترى رؤى اشعيا وارميا بطريقة يألفها اهل فلسطين لانهما كانا فيها وترى رؤى حزقيال ودانيال بطريقة يألفها الكلدان لانهما كانا في بلادهم

عد ٣٧٢

في الانبياء اجمالاً

لما كانت النبوات ايحاء الله الى الناس امراً مستقبلاً كان الانبياء بهذا المعنى كثيرون فقد اوحى الله الى آدم شيئاً من تخليص الناس خاصة اذ قال للحية واجعل عداوة بينك وبين المرأة وبين نسلك ونسلها فهو يسحق راسك وانتِ ترصدين عقبه (تكوين ص ٣ عد ١٥) واوحى الى نوح اذ قال « تبارك الرب اله سأم وليكن كنعان عبداً له ليرحب الله ليافت ليسكن في اخبية سام ويكون كنعان عبداً له (تكوين ص ٩ عد ٢٦) وقد اثبت الاباء والمفسرون ان في هذه الاية نبوة على ان المسيح يأتي من نسل سام واوحى الى ابرهيم اذ وعده بان يكون اباً لامة كبيرة ويباركه ويعظم اسمه وتتبارك به جميع عشائر الارض (تكوين ١٢ عد٢و٣) واذ وعده بان يكثر نسله كتراب الارض تكوين ١٣عد ١٦) واوحى الى اسحق اذ جدد له الوعد بقوله واكثر نسلك كنجوم السما وتتبارك في نسلك جميع امم الارض (تكوين ٢٦ عد٤) واوحى الى يعقوب اذ تنباء على ابنه يهوذا قائلاً « لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو (اي المرسل المراد به المسيح) وتطيعه الشعوب » (تكوين ٤٩ عد ١٠) واوحى الى موسي اذ تنباء قائلاً « يقيم لكم الرب الهكم نبياً من بينكم من اخوتكم مثلي له تسمعون (تثنية الاشتراع ف١٨ عد ١٥) واوحى اموراً كثيرة الى صموئل واليا واليشاع ولا سيما داود اذ اوحى اليه في زبوره نبواته الكثيرة الصريحة على المسيح الى غير هولاء وقد عدهم اكليمنضوس الاسكندري خمسة وثلاثين نبياً بعد موسى وخمسة قبله وخمس نبيات وعد ايفانيوس ثلاثة وسبعين نبياً في العهدين القديم والجديد وعشر نبيات واليهود يعدون في كتابهم الموسوم بالمجلة ثمانية واربعين نبيًا وسبع

نبيات وهنّ مريم اخت موسى ودبوره وحنة ام صموئيل وابيغال وحلدة (كانت في ايام يوشيا) واستير والقوابل اللاتي لم يقتلن ابكار اليهود في مصر

على ان الانبياء الذين لهم اسفار نبوات ستة عشر نبياً اربعة منهم يسمون الكبار وهم اشعيا وارميا وحزقيال ودانيال واثنا عشر منهم يُسمون الانبياء الصغار وهم هوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونان وميخا ونحوم وحبقوق وصفنيا وحجاي وذكريا وملخيا ويمكن ان يضاف اليهم باروك المثبتة نبوته بعد نبوة ارميا لانه كان كاتبه وقد سمى الاربعة الاولون كباراً مراعاة لطول اسفار نبواتهم والاثنا عشر الاخرون صغاراً مراعاة لوجازة نبواتهم وقدمت وضعاً في الاسفار المقدسة نبوات الانبياء الكبار على نبوات غيرهم لا لتقدمها زماناً بل لطول اسفارهم ووجازة اسفار الانبياء الصغار وهاك جدولاً يتبين منه زمان كل من الانبياء وسني نبوتهم تقريباً واسماء الملوك الذين تنبأوا في ايامهم ومن تنبأوا عليهم

اسماء الانبياء	سنة نبواتهم تقريباً	اسماء الملوك الذين تنبأوا في ايامهم	على من تنبأوا
عوبديا	٨٨٩ الى ٨٨٤	يورام؟	على الادوميين
يوئيل	٨٧٨ الى ٨٣٨	يوآش ؟	على يهوذا
يونان	٨٢٥ الى ٧٨٤	يربعام الثاني	على نينوى
عاموس	٨٠٩ الى ٧٨٤	يربعام الثاني وعوزيا	على اسرائيل
هوشع	٧٩٠ الى ٧٢٥	يربعام الثاني وعوزيا ويوتام واحاز وحزقيا	على اسرائيل
ميخا	٧٥٨ الى ٧١٠	يوتام واحاز وحزقيا	على يهوذا واسرائيل
اشعيا	٧٥٩ الى ٦٩٩	عوزيا ويوتام وحزقيا ومنسى	على كل الشعوب المعروفين من اسرائيل
نحوم	٦٦٥	منسى	على نينوى
صفنيا	٦٢٨ الى ٦٢٣	يوشيا	على يهوذا ومن جاوره من الشعوب

اسماء الانبياء	سنة نبواتهم تقريباً	اسماء الملوك الذين تنبأوا في ايامهم	على من تنبأوا
حبقوق	٦٠٩ الى ٦٠٦	يوياكين؟	على الكلدان
ارميا	٦٢٥ الى ٥٨٨	يوشيا ويوياكين يوخانيا وصدقيا	على يهوذا والشعوب المجاورين ومصر وبابل
باروك	٥٨٣	صدقيا	ارشاد للمجلوين في بابل
حزقيال	٥٩٥ الى ٥٧٣	يوخانيا والجلاء	على يهوذا والمجاورين
دانيال	٦٠٤ الى ٥٣٤	يوخانيا ويختنصر وبلتصر ودارا المادي وقورش	والاصلاح على الممالك الكبيرة
حجاي	٥٢٠	دارا بن هستاب	وعود ليهوذا
ذكريا منذ	٥٢٠	دارا بن هستاب	على مستقبل اورشليم الحسن
ملاخيا	٤٣٣ الى ٤٢٣	ارتحشستا ذي اليد الطولى	على احسان الله الى شعبه

انتهى مأخوذاً عن الموجز الكتابي لفيكورو في الانبياء

﴿ عد ٣٧٣ ﴾

﴿ في اشعيا النبي ﴾

اشعيا كلمة عبرانية تأويلها الله يخلص وقد كان هذا النبي ابن اموص ولم يميز بعض القدماء بين اموص ابي اشعيا وعاموس النبي فوهموا ان اشعيا بن عاموس النبي وقد قال القديس ايرونيموس (في تفسير نبوة عاموس) « ان عاموس النبي لم يكن ابا اشعيا النبي لان اموص ابا النبي يكتب بالالف والصاد وتأويله القوي واما النبي فيكتب اسمه بالعين والسين وتأويله الشعب المنتزح والميم والواو في كليهما » وجاء في تقليدات الربيين (او الربانيين) ان اشعيا كان ابن اخي الملك امصيا واصله من سبط يهوذا وتزوج امرأة يسميها نبية ورزق منها ابنان سكريابوس وتأويله البقية تعود اي البقية من ابناء

الجلاء والاخر شسباس وتأويله اسرعرا في التدمير اشارة الى خراب مملكتي اسرائيل وسوريه (عن موجز تراجم القديسين في اشعيا) وكان مسكن النبي اورشليم وقضى حياته في هذه العاصمة مشاهداً التقلبات السياسية والدينية ولم يكن في قرية حقيرة كما كان ميخا معاصره ولا مطوافاً في فلسطين كما كان ايليا واليشاع وهو اول نبي كان في المدينة المقدسة وتوصل الينا ما كتبه وقد تنبأ في ايام الملوك عوزيا ويواتام واحاز وحزقيا كما جاء في نبوته (فصل١عد١) واولى رواه كانت في سنة موت عوزيا وهي سنة ٧٥٨ كما في نبوته (ف٦عد١) واخر نبوة نعرف تاريخها من نبواته كانت في السنة الرابعة عشرة لملك حزقيا وهي سنة ٧١٢ ويظن انه بقي في الحياة الى زمان منسى الملك الذي اماته منشوراً وذهب بعضهم الى ان المعني بقول بولس الرسول (الى العبرانيين ١١ عد ٣٧ وبعضهم نشروا) انما هو اشعيا النبي ويؤيد هذا القول التقليد القديم عند اليهود وقد قال به كثيرون من اباء الكنيسة وعدا نبواته قد كتب سني عوزيا الملك كما جاء في سفر اخبار الايام الثاني (فصل٢٦ عد٢٢) وبقية اخبار عوزيا الاولى والاخيرة كتبها اشعيا بن اموص النبي، فلم تبقِ الايام لنا عليها

وقلما ذكر الكتاب اشعيا في الست عشره سنة مدة ملك يواتام اي من سنة ٧٥٨ الى سنة ٧٤٢ ولم يكن في هذه الحقبة نبي آخر واما في مدة احاز الملك اي من سنة ٧٤٢ الى سنة ٧٢٧ فقد ابدى هذا النبي اموراً مهمة لما كان رصين ملك سورية وفاقح ملك اسرائيل يتهددان اورشليم فانه ساعد كثيراً على احباط مساعيهما كما جاء في نبوته (ف ٧) واهم ما صرف اليه عنايته النبوية انما كان في ايام حزقيا من سنة ٧٢٧ الى ٦٩٨ وزعم بعضهم ان هذا النبي كان مربياً للملك حزقيا كما كان ناتان مربياً لسليمان ولكن لم يؤيد هذا الرأي ذووه بحجة والمؤكد انه كان صديقه ومستشاره وقد شجعه

في مدة مرضه كما في نبوته (ف ٢٨) وكما في سفر الملوك الرابع (ف ٢٠ عد ١ الى ١١) ووثق عرى ثقته بالله عند حملة سنحاريب على اورشليم كما في نبوته (ف ٣٦ و٣٧) وفي سفر الملوك الرابع (ف ١٨ و١٩) وقد اسمع ابنه احاز كلاماً قاسياً من قبل الله لما ارى وفود ملك بابل خزائن اورشليم على ما في نبوته (فصل ٣٩) وفي سفر الملوك الرابع (ف ٢٠ عد ١٢ وما يليه) ومن بعد هذه الاحداث لا نرى ذكراً لاشعيا في الامور السياسية . ومن التقليدات ان مدفن هذا النبي كان في باتياس في بلاد باسان وقد نقلت ذخائره من هناك الى القسطنطينية سنة ٤٤٢ على عهد الملك ثاوادوسيوس الثاني على ما روى بارونيوس في السنكسارى الروماني في ٦ تموز وعليه فيظن ان اشعيا فرّ الى باسان خوفاً من اضطهاد منسى الملك له على ان ابتعاده لم يبعد عنه جور هذا الملك اذ ارسل فقتله هناك ولا يعلم تاريخ موته فقال بعض المفسرين انه كان سنة ٦٩٠ واذا فرضنا انه كان عمره عند دعوته الى النبوة خمس عشرة سنة فيكون عمره عند موت حزقيا ستاً وسبعين سنة وعند قتله اربعاً وثمانين سنة ويعيد له في كنيستنا المارونية ٩ ايار بمنزلة شهيد قتله منسى الملك منشوراً ان لاشعيا في الاسفار المقدسة المقام الاول لا من قبل تقدمه زماناً لان يوئيل ويونان وعاموس وهوشع كانوا قبله بل بحق استيهاله ان يكون اعظم من جميع الانبياء لكثرة الاوحية التي كانت اليه واهميتها وسمو كلامه مع زيادة وضوحه وفصاحته فهو النبي العظيم كما ان بولس هو الرسول العظيم وقال فيه الروح القدس في سفر ابن سيراخ (فصل ٤٨ عد ٢٥) . اشعيا النبي العظيم الصادق في رؤياه ... بروح عظيم رأى العواقب وعزّى النائحين في صهيون كشف عما سيكون على مدى الدهور وعن الخفايا قبل حدوثها ، وقال فيه مار ايرونيموس (في مقدمته على سفر اشعيا) . لا يلزم ان يسمى نبياً بل انجيلياً

فقد أبان اسرار كنيسة المسيح جميعها جلياً حتى لا تحسبه يتنباء بامور مستقبلة بل يؤرخ اموراً ماضية . اما سفر نبوته فينطوي على نبوات فاه بها في ازمنة واحوال مختلفة وقد اعتاد المفسرون ان يقسموا نبوته الى قسمين اولها تشتمل عليه التسعة والثلاثون فصلاً الاولى وهو يتضمن نبواته في اوقات عديدة وعلى امور مختلفة على عهد الملوك عوزيا ويواتام واحاز وحزقيا وثانيها تشتمل عليه الفصول من ٤٠ الى ٦٦ وهو يتضمن نبوات عن مخلص اسرائيل ويلتحم بالقسم الاول . ونبواته في القسمين منسوقة بحسب الزمان غالباً فان ماهية المواد التي تنبأ عليها اخرجته احياناً عن هذا النسق ومن نبواته الواضحة عن المخلص قوله (ف ٧ عد ١٤) ها ان العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل المترجم كما في الانجيل الهنا معنا والعذراء بكلامه في البرانية الحدثا علما وقد وردت هذه اللفظة في الاسفار المقدسة سبع مرات وفي كلها لا يحتمل المقام تفسيرها الا بعذراء غير مزوجة وقد وجد في المخابئ القديمة التي عند كنيسة القديسة بريسكلا في رومية صورة العذراء والطفل يسوع بين يديها واشعيا واقفاً بجانبها يشير اليها والى الطفل كانه يقول هذه هي العذراء التي قلت انها تحبل وتلد الخ وهذا هو عمانوئيل الخ واليك مثالاً لهذه الصورة

عد ٣٧٤

في ارميا

ما من نبي كارميا يظهر لنا مما كتبه تاريخ حياته واعماله وارأوه وما عاناه فقد ولد في عناتوت المعروفة الان بعيناتا وهي قرية حقيرة على ساعة ونصف عن اورشليم شمالاً واسم ابيه حلقيا وظن القديس ايرونيموس وكثيرون من المفسرين ان حلقيا هذا هو عظيم الكهنة الذي عاون يوشيا على الاصلاح الديني في يهوذا والصحيح انه حلقيا اخر لان عظيم الكهنة كان من آل اليعاذر

وكهنة عناتوت كانوا من آل ايثامر وكان ارميا يتردد في صبوته الى اورشليم لقربها من قريته ويشمئز من اخبار عبادة الاوثان ومساوئ منسى ملك يهوذا وقد شب على محبة السنة واحترام التقليدات الموسوية وكان مولعاً بمطالعة الاسفار المقدسة ونبوات مَن تقدمه من الانبياء لا سيما اشعيا وميخا فان في سفر نبواته كثيرًا من الاستعانة بكلامهما وانتحال الفاظهما نفسها احياناً وكان له في شبابه اخاء مع نيريا بن نعسيا والي أورشليم حينئذٍ (سفر الايام الثاني فصل ٣٤ عد ٢) وكان معاوناً لحلقيا وشافان بن اصليا في الاصلاح الذي اجراه يوشيا ثم تتلمذ له باروك وسرايا ابناء نيريا المذكور كما هو بيّن من نبوته (فصل ٣٦ عد ٤ وف ٥١ عد ٥٩) وكان ارميا ورعاً دمث الاخلاق لين العريكة لكنه كان مضطرماً بالغيرة على سنة الله وخير قبيلته ولم يكن بطبعه محباً للخصام بل كان يؤثر الفرار من المخاطر على اقتحامها ويفضل العزلة على مخالطة الناس وكثيرًا ما تتولاه الكآبة على انه اذا اراد ابلاغ اوامر الله الى الشعب تحوّل طبعه واشتدت عزيمته حتى لا يروعه تهديد ولا اهانة ولا سجن ولا عذاب ولا خشية ملوك ولا مهابة شعب فيصدق عليه ما قاله الله له (كما في نبوته ف ١ عد ١٨) «هآنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمودًا من حديد واسوارًا من نحاس على كل الارض على ملوك يهوذا ورؤسائه وكهنته وشعب الارض».

قد دعاه الله للنبوة في السنة الثالثة عشرة لملك يوشيا نحو ٦٢٨ قبل المسيح كما يظهر من نبوته (ف ١ عد ٢) وكان عمره حينئذٍ من ثماني عشرة الى عشرين سنة كما يؤخذ من كلامه (ف ١ عد ٦ وف ١٦ و ٢) ويظهر انه ترك بعيد ذلك عناتوت وصرف اكثر حياته في اورشليم لكنه استمر مدة ما يرى من نفسه الغفلة اذ لا نجد له ذكرًا في الاصلاح الديني الذي اجراه يوشيا في السنة الثامنة

عشرة من ملكه اي بعد خمس سنين من دعوة ارميا الى النبوة فلا ذكر في تلك الايام الا لحدة النبية وكان الملك وحاشيته يلتمسون رأيها ولا نراه تعاطى امرًا مهماً في الثمانية عشرة سنة منذ دعوته الى موت يوشيا بل انبأنا عن نفسه انه كان معتزلاً متنسكاً حافظاً عفافه اذ قال (ف ١٦ عد ٢ وما يليه) « وكانت الَيَّ كلمة الرب قائلاً لا تتخذ لك امرأة ولا يكون لك بنون ولا بنات في هذا الموضع ... لا تدخل بيت النياح ولا تنطلق اليه للندب ولا تعزهم ... ولا تدخل بيت الوليمة لتجلس معهم وتأكل وتشرب » ويظهر انه مدَّ يداً الى الامور السياسية في اخر ملك يوشيا وكان اليهود في مملكة يهوذا حزبين يؤثر احدهما المصريين والآخر الكلدان فبعد سقوط نينوى اخذ اشياع ملك مصر يغرون ملكهم بالمحالفة لفرعون نكو وكان ارميا يندد بهذه السياسة البشرية ويحض على الاتكال على الله كما يظهر من قوله (فصل ٢ عد ١٨) « والان مالك وطريق مصر لتشربي مياه شيحور ومالك وطريق اشور لتشربي مياه النهر » ويظهر ان يوشيا عوّل على رأي النبي فلم يحالف نكو بل اعترض مرور عسكره في اليهودية ليحارب الكلدان فقتل في وقيعة مع المصريين في مجدو (اللجون) فكان ذلك فاتحة احزان ارميا واخذ يرثي يوشيا كما في سفر اخبار الايام الثاني (فصل ٣٥ عد ٢٥) وخلف يوشيا يواحاز المسمى شلوم رابع ابنائه سنة ٦٠٩ ولم يملك الا ثلاثة اشهر وعزله نكو لانه لم يكن من انصاره ولا ذكر له في نبوة ارميا الا قوله فيه (ف ٢٢ عد ١١ و١٢) « هكذا تكلم الرب على شلوم بن يوشيا ملك يهوذا الذي ملك مكان يوشيا ابيه وخرج من هذا الموضع انه لا يرجع الى هاهنا من بعد بل في الموضع الذي أجلي اليه هناك يموت ولا يرى هذه الارض من بعد » ولما اسر نكو شلوم اقام مكانه يوياقيم سنة ٦٠٩ فاخذ ارميا ينذر بني يهوذا وملكهم مبيناً ان المصريين لا يقوون على دفع حملة بختنصر على

اورشليم (كما في ف ١٨ و١٩ و٢٠ من نبوته) فقبض عليه الكهنة والانبياء وكل الشعب وقالوا لتموتنَّ موتاً لنبوتك على خراب اورشليم ولم ينجهِ من الموت الا واسطة روساء يهوذا (كما في نبوته ف ٢٦) وبعد نحو من اربع سنين مضى نكو يحارب الكلدانيين فاستظهروا عليه في كركميش (فصل ٢٦ عد ٢) وقلَّ اشياع مصر في يهوذا واخذت نبوات ارميا تتم فان جنود بابل غشوا فلسطين يطاردون المصريين فهرب كل من لم يكونوا في مدن محصنة يستعصمون باسوار اورشليم فانتهز النبي هذه الفرصة واذاع بواسطة تلميذه باروك نبواته التي كان جمعها في درج فعظم الهياج عليه واضطر ارميا وتلميذه ان يختبئا واحرق يوياقيم الدرج الذي كان منطوياً على هذه النبوات (ف ٣٦) فاضطر ارميا ان يملي نبواته ثانية على باروك واوحى الله اليه جلاء بابل وانه سيكون مدة سبعين سنة (ف ٢٥ عد ٨ الى ١٢) وما تنبأ به على يوياقيم لم يلبث ان حل به فان بختنصر حاصر اورشليم وفتحها واسر بعضاً من اليهود وكان بينهم دانيال ورفقاؤه سنة ٦٠٦ ومن هذا الجلاء تبتدي مدة السبعين سنة ثم عصي يوياقيم على بختنصر فهبَّ لحصار اورشليم ثانية فمات يوياقيم عند بدء الحصار على الاظهر فتمت بيوياقيم نبوات ارميا (ف ٢٢ عد ١٩ وف ٣٦ عد ٣٠) وكان ذلك لسنة ٥٩٨

وخلف يوياقيم يوياكين ابنه ولكنه لم يملك الا ثلاثة اشهر وانذره ارميا (ف ٢٢ عد ٢٤ الى ٣٠) بما يحل به من السوء ووقوعه في يد بختنصر فتمت به نبوات النبي بعد زمان وجيز لانه اخذ اسيراً الى بلاد الكلدان مع وجوه امته وكان بينهم حزقيال النبي (ملوك رابع ف ٢٤ عد ١٠) واما ارميا فاستمر في اورشليم واقام بختنصر صدقيا عمَّ يوياكين ملكاً على اليهود وكان صدقيا يحب ارميا ويستشيره احياناً (ف ٣٧ عد ٣) لكنه كان واهن العزيمة وملكه

قلقاً فلم يتسنَّ له ان يعزز النبي ولم يكن باقياً في فلسطين الا سفلة الشعب وكان ارميا يتنبأ عليهم بان الله يجعلهم عاراً ومثالاً واحدوثة في جميع المواضع التي يدحرهم اليها ويعيد المجلوّين الى ارضهم ليكونوا للرب شعباً (فصل ٢٤) وكان نجاح حفرع ملك مصر خدع سكان اورشليم ثانية بالتشيع له وقد زينت لصدقيا نفسه الثورة على الكلدان فكان ارميا يناصبهم بامر الله كما في (ف ٢٦ و ٢٨) وزحف بختنصر حينئذٍ الى فلسطين وجلا بني اسرائيل عنها وحفت المخاطر بالنبي وهمَّ ان يمضي فيختفي في عناتوت فكشف امره وحسب خائناً والقي في السجن (ف ٣٧) وكان كتب الى الشيوخ والكهنة والشعب الذين في الجلاء في بابل (فصل ٢٩) فلم يكن من الانبياء الكذبة الذين في الجلاء الا ان كتبوا للكهنة الباقين في اورشليم ان يضايقوا النبي ويضطهدوه فالقوه في بئر ملكيا ولو لم ينقذه عبد ملك الكوشي احد خصيان الملك كما في (فصل ٣٨) لهلك فيها الا انه بقي سجيناً وكان صدقيا يستشيره سراً فقال له ارميا انه لا يفلت من ايدي الكلدان (فصل ٣٨ عد ١٨) وعاد الكلدانيون بعد زمن وجيز يحاصرون اورشليم فافتتحوها وخربوها واحرقوا الهيكل واقتيد الملك اسيراً سنة ٥٨٨ واوصى بختنصر بارميا فاطلق من سجنه وخيّر بين ان يمضي الى بابل او يمكث في اليهودية فاقام اولاً في خرابات المدينة المقدسة ثم اعتزل في المصفاة (شعفات في شمالي اورشليم) وكتب مراثيه البديعة والدخان ينبعث من انقاض اورشليم في المغارة التي يسميها التقليد الى الان مغارة ارميا

واقام بختنصر جدليا بن احيقام والياً على اليهودية وكان يحب ارميا فاستراح من بقي من بني اسرائيل في اليهودية مدة ما (فصل ٤٠) على ان جدليا قتله اسماعيل بن نتنيا من النسل الملكي وعشرة رجال محالفون له وخاف الشعب

ان يكون مقتل الوالي مصيبة اخرى على الامة فاستشاروا النبي فيما يصنعون فاشار عليهم ان يتربصوا في اليهودية آمنين (فصل ٢٤) فلم يسمعوا له بل صمموا على الهرب الى مصر واكرهوا النبي وباروك على المسير معهم (فصل ٤٣) وحلوا في تحفنيس المعروفة اليوم بدفنه في مصر السفلى واخذ النبي يونبهم ويسلقهم باوار كلامه ويذكرهم بما صنعوا واباؤهم من المخالفة لسنة الله ويتنبأ على ان بختنصر ينصب عرشه حيث يتكلم في هذه المدينة التي استعصموا فيها ويسمى هذا الملك عبدالله (فصل ٤٤ طالع عد ٣٣٩ وعد ٣٤١) وبعد هذا البلاغ النبوي لا علم لنا بما كان لارميا . والتقليد المسيحي الذي ذكره كثيرون منهم ترتوليانوس (في كتابه ضد الامم ك ٨) وابيفانيوس (في تراجم الانبياء) وايرونيموس (في كتابه ضد بوفنيانوس فصل ٣٧) ان ارميا رجمه اليهود مستشيطين عليه لتونيبه لهم وقد عظمه اليهود بعد وفاته اكثر مما اذلوه في حياته وكانوا من بعد الجلاء الى مجيء المخلص يفضلونه على اشعيا. ويعيد له في كنيستنا المارونية في ١ ايار بمنزلة شهيد رجمه اليهود

واما نبواته فقد نسقها بحسب مواضيعها لا بحسب اوقات اتيانه بها وقد قسمها الى مقدمة واربعة اقسام وخاتمة ذكر في المقدمة دعوة الله له الى النبوة وفي القسم الاول من الفصل الثاني الى الفصل السابع عشر رذل الله لبني اسرائيل والحكم عليهم وفي القسم الثاني في الفصل الثامن عشر والتاسع عشر اثبات هذا الرذل وفي القسم الثالث من الفصل العشرين الى الخامس والعشرين تنفيذ هذا الحكم والقسم الرابع من فصل ٢٦ الى فصل ٥١ ضمنه نبواته على الشعوب الاجانب . وضمن الخاتمة في الفصل الثاني والخمسين خلاصة تاريخية للملوك يهوذا الآخرين

اما مراثي ارميا فهي قصائد رثاء في العبرانية لم ينسج شاعر على منوالها

ولا سمحت قريحة بمثالها ولا اشد منها وقعاً في القلوب لصدورها عن قلب كواه اوار الغم وعن مخيلة الهبها وطيس النيرة والحنان يندب بها اورشليم ويتفجع لخرابها ودمار الهيكل وتشتيت ابنائها وقد قسمها النبي الى اربع مراث وضمن القصيدة الخامسة صلاةً وابتهالاً فكانت مقسومة الآن الى خمسة فصول ووزع ابيات كل من المراثي على فقر تبتدي كل فقرة منها بحرف من حروف الهجاء فكانت كل مرثاة منها مؤلفة من اثنتين وعشرين فقرة بحسب عداد الحروف العبرانية وفقرات المرثية الثالثة اطول من فقرات سواها وكثيراً ما كان اليهود المجلون في بابل يجرون الدموع السخينة متغنين بهذه المراثي على انهر بابل وبعد عودهم كانت لهم اعظم مذكر بما نابهم من الاسواء وكانوا في ٩ تموز من كل سنة يصومون ويتلون في المجامع هذه المراثي مذرفين الدموع وقد اعتادت الكنيسة من اول الدهر ان تتلوها في الكنائس في سبة الالام ذكراً لما هو اعظم من خراب اورشليم والهيكل وهو آلام ابن الله وصلبه بايدي من اتى ليفتديهم

اما باروك فهو ابن نيريا كما مرّ وكان تلميذاً اميناً لارميا وكاتباً له ومن آل يهوذا واخوه سرايا كان من حاشية الملك صدقيا ووشى به اعداؤه انه كان من نصراء الكلدان ويغري ارميا بالمناصرة لهم (ارميا فصل ٤٣ عد ٣) وفي السنة الرابعة ليوياقيم مضى يقراء له نبوات استاذه فاحرقها الملك واملاها ارميا عليه فكتبها ثانية وقد القي في السجن مع ارميا في ايام صدقيا كما مرّ واستمر فيه الى افتتاح اورشليم سنة ٥٨٨ وارغم مع معلمه ان يمضي الى مصر وانطلق اخيراً الى بابل وقضى هناك ويعيد له في كنيستنا المارونية في ٣ تشرين الاول

اما سفره فاصله العبراني مفقود وترجماته في اللغات الان عن ترجمة يونانية

من اقدم الدهر وزعم بعض اهل النقد انه كتب اصلاً في اليونانية وزعمهم ساقط لانه ذكر فيه ان يقراء في بيت الرب وكان محظوراً عليهم ان يقرأوا فيه ما كتب بغير العبرانية وانكر العقليون وبعض البروتستنت تنزيل هذا السفر تشبثاً بانه قيل فيه انه كتب في السنة الخامسة بعد خراب اورشليم اي سنة ٥٨٣ وباروك كان حينئذٍ مع ارميا في مصر منذ سنة ٥٨٨ ولكن اية منافاة بين ان يكون مضى الى مصر سنة ٥٨٨ ثم عاد الى بابل وكتب سفره سنة ٥٨٣ وقالوا انه يستفاد من هذا السفر انه كتب بعد نهاية الجلاء وتجديد الهيكل لانه ذكر مذبح الرب وبيت الله على انه يظهر دون تكلف للمتأمل ان كلامه في بيت الله الخرب وفي مذبح الرب الذي كانت الذبائح تتقدم عليه في مكان الجلاء اما تنزيل رسالة ارميا المعلقة في اخر سفره فيكتفى مؤنة اثباته ذكر سفر المكابيين لها (مكابيين ٢ فصل ٢٢ عد ١و٢)

وهذا السفر ينطوي على خمسة فصول لباروك وفي الفصل السادس رسالة لارميا انفذها الى المجلويين (طالع عد ٣٤١) ضمن باروك سفره مقدمة يطلب بها ان يسعف المجلون اخوانهم الباقين في اورشليم وان يتلوا كتابه في بيت الرب اي حيث كانوا يجتمعون للصلوة في يوم العيد وفي ايام المحفل ثم صلوة لله يقربها الشعب المجلو باثامه وبساله تقصير مدة العقاب الذي انزل بهم لاستحقاقهم ثم نصائح وتحريضات لهم ليرعوا عن اثمهم ويثقوا بالله ونبوات على افتقاد الله لهم وعلى اعادتهم الى اوطانهم مسرورين وفي الفصل الثالث عد ٣٨ نبوة على المسيح مرادفة لقول يوحنا الكلمة صار جسداً وحلت فينا اذ قال في الله « وبعد ذلك ترآى على الارض وتردد بين البشر »

عد ٣٧٥

في حزقيال النبي

ذكرنا في عد ٣٥٥ شيئاً من ترجمة حزقيال ورؤاه ونبسط هنا ما بقي منها ان تأويل كلمة حزقيال في العبرانية الرب يقوي او يشدد وهذا النبي هو ابن بوذي من السبط الكهنوتي وقال بعضهم انه ولد سنة ٦٢٤ وقد اخذ الى بابل مع يوياكين الملك وبعض اعيان المملكة والكهنة سنة ٥٩٨ اي نحواً من عشر سنين قبل خراب اورشليم واقام في محل يسمى في العبرانية تل السنبلة وفي الترجمة اللاتينية العامية تل حبيب او ابيب (حزقيال فصل ٣ عد ١٥) ولا يعرف موقعه وتزوج هناك كما يظهر من قوله (فصل ٢٤ عد ١٨) « وماتت امرأتي في المساء » وقد دعاه الله الى النبوة في السنة الخامسة من جلائه اي سنة ٥٩٣ ق م وقد باشر هذه الخدمة لا اقل من اثنتين وعشرين سنة لان نبوته المذكورة (في الفصل ٢٩ عد ١٧) على اخذ بختنصر مصر ارخها في السنة السابعة والعشرين من الجلاء ويؤخذ من التقليد القديم الذي ذكره القديس ابيفانيوس (في تراجم الانبياء) ان اميراً او قاضياً من شعبه قتله لانه كان ينبه على عبادة الاوثان وانه دفن في مدفن سام وارفخشاد وقد ذكرنا شيئاً من ذلك في ع ٣٥٥ فطالعه ويعيد له في كنيستنا المارونية في ٢٩ تموز ولا ذكر لاستشهاده وكان موته قبل ان يستحوذ قورش على بابل وعاش منفصلاً لانه كان في ايام بني اسرائيل وجلي معهم ولم يدرك يوم النجاة فكان اقل حظاً من ارميا الذي تركه الكلدانيون في وطنه يندب سوء حاله ومن دانيال الذي ساعد كثيراً على عود شعبه من الجلاء على ان قوة حزقيال وبسالته المؤسسة على ايمانه جعلته يحتمل بصبر جميل وشجاعة ثابتة مضايق الجلاء وكان يغري ويشجع اخوته على تحمل مصائبهم فيه بل قد جعل بيته كمدرسة ومجمع يجتمع

به الشيوخ ووجهاء الشعب اليه ليرشدهم ويوثق عرى ثقتهم بالله كما يظهر من سفر نبوته (فصل ٨ عد ١ وفصل عد ١١ عد ٢٥ وفصل ١٤ عد ١ وفصل ٢٠ عد ١) وكان من مساعيه وافكاره واعماله ما يبديه للناس نبياً عضدته يد الرب واملأته من قوة تفوق الطبيعة كما يظهر من (ف ٢٤ عد ١٥ الى عد ١٨)

اما نفس حزقيال في نبوته فمختلف عن نفس غيره وله كلمات وتعبيرات خاصة به وقد جد بان يقتبس تعابير وكلمات من اسفار التوراة على ان اقامته بين شعب اجنبي يتكلم باللغة الارامية جعلته ينتحل كلمات من لغتهم والمزية له بين الانبياء ان نبواته كانت بالرموز والتشابيه غالباً وكثيراً من هذه التشابيه كانت حديثة مأخوذة عن الشعوب الساكن بينهم وهذا ما جعل في كلامه غموضاً طالع ما ذكرناه عن ذلك (في عد ٣٥٥)

اما نبوة حزقيال فلتحمة الاجزاء كل الالتحام وهي منقسمة الى قسمين الاول يبتدي من الفصل الاول وينتهي في الفصل الثاني والثلاثين يتضمن قضاء الله على شعبه وعلى غيره من الشعوب والقسم الثاني يبتدي من الفصل الثالث والثلاثين وينتهي في الفصل الثامن والاربعين ويتضمن نبوات على انجاز الله وعوده لاسرائيل بمجيء المخلص وكل نبواته منسوقة بحسب نظام الزمان الا ما تنبأ به على الشعوب الاجانب في الفصل الخامس والعشرين الى الفصل الثاني والثلاثين فهذه النبوات منسوقة بحسب ماهية مواضيعها وقد ارخها فيظهر من تاريخها انها من القسم الاول من نبواته التي كانت قبل خراب اورشليم لا من القسم الثاني الذي كان بعده

عد ٣٧٦

في دانيال النبي

قد ذكرنا في عد ٣٤٣ وما يليه ترجمة دانيال وانقاذه سوسنة وتعبيره حلمي

بختنصر الاول والثاني وتعبيره رؤيا بلشصر ملك بابل وطرحه في جب الاسد وكشفه خديعة كهنة بال وقتله التنين ورؤاه ووفاته وصحة تنزيل سفره ولخصنا القسم التاريخي منه الذي تشتمل عليه الفصول الستة الاولى والفصلان الثالث عشر والرابع عشر وابنا باية لغة كتب هذا السفر فنجتزي بما مرَّ . ويعيد له في كنيستنا المارونية في ٢٨ كانون الاول

الفصل الثاني

في الانبياء الصغار

عد ٣٧٧

في هوشع

اما هوشع فكلمة عبرانية معناها الله يخلص وقد انبأنا هذا النبي انه كان ابن بئيري وهذا كل ما نعلمه بتحقيق من ترجمته وقد قال اكثر المفسرين انه كان من شمالي مملكة اسرائيل ومما يدل على ذلك استعماله في نبوته الفاظاً وتعابير ارامية ومعرفته حق المعرفة اماكن هذه المملكة وتوجيه كلامه الى اسرائيل وقوله عن ملك اسرائيل ملكنا وكل ذلك ظاهر من فصول نبوته وقد ذكروا تقليداً قديماً انه كان من مدينة بعلموت في سبط ايساخر وانه مات هناك لكن هذه المدينة لا يعرف موقعها وتضاربت الاقوال في محل مدفنه وهو اول الانبياء الصغار لوضع النسخة اللاتينية العامية نبوته قبل باقي نبوات الانبياء الصغار وقد يكون تقديم نبوته على غيرها لغزارة مادتها لا لتقدمه زماناً على باقي الانبياء الصغار فعاموس كان قبله زماناً كما يظهر من تاريخ نبوته (في

فصل ١ عد ١) ومع ذلك كان الثالث في مصاف الانبياء الصغار وقد جاء في فاتحة نبوته انه اي هوشع تنبأ في ايام عزيا ويوتام واحاز وحزقيا ملوك يهوذا ومدة هولاء الملوك نحو من مئة وعشرين سنة ولا بد ان كان له من العمر عند تنبئه عشرون سنة فلا يصدق انه عاش مئة واربعين سنة وليس في نبواته ذكر لهولاء الملوك فالاقرب الى الصواب ان تلك الكلمات ليست لهوشع بل لناسخ لم يصب بزيادتها على سبيل العنوان على نبوته المفتتحة ، بدأة كلام الرب بلسان هوشع ، والظاهر ان هوشع كان معاصراً لاشعيا وقد تنبأ بعد خراب بيت احاب في ايام ياربعام الثاني الخليفة الثالث لياهو على اسرائيل كما يظهر من نبوته (فصل ١ عد ٤) لانك تراه يذكر دائماً جرائم ابناء ياهو الذي استأصل بيت احاب وما برح ابناؤه يعبدون الاصنام ويسجدون لعجول الذهب فهذا ناطق بان هوشع كتب نبواته في السنين الاخيرة لملك ياربعام وهذا الملك استوى على منصة الملك احدى واربعين سنة اي من سنة ٨٢٥ الى سنة ٧٨٤ ق م فاذاً هوشع كتب نبوته قبل سنة ٧٨٤ وهذا مستلزم لاثبات حقيقة نبواته فقد تنبأ على خراب بيت ياهو وهذا لم يكن الا سنة ٧٨٢ وعلى انقراض مملكة اسرائيل وهذا لم يكن الا سنة ٧٢١ ولما تنبأ هذا النبي على ذلك في عهد ياربعام الثاني كان ملك اسرائيل في ذرى مجده وتعيد له كنيستنا المارونية في ١٦ حزيران

اما نبوة هوشع فليست منقسمة كباقي نبوات الانبياء الكبار الى نبوات كثيرة في اوقات مختلفة بل كانها خطبة واحدة كتبها في اخر حياته عدد بها النبوات التي فاه بها في مدة مباشرته الخدمة النبوية قاسماً ما كتبه الى قسمين ففي القسم الاول المشتملة عليه الفصول الثلاثة الاولى يبين بتشابيه ورموز غوايات بني اسرائيل وسيئاتهم الى الله وفي القسم الثاني من الفصل الرابع الى

الفصل الرابع عشر يؤنب الشعب ويعتبهم على جرائمهم وزلاتهم وينذر بالشرور التي تحل بهم عقاباً لهم على ذلك ويعدهم بزوال هذه المصائب ان ارتدوا الى الرب الههم

عد ٣٧٨

في يوئيل

يوئيل كلمة عبرانية تأويلها الرب هو الاله وكان هذا النبي ابن فتوئيل ولا يعلم من ترجمته الا انه كان من مملكة يهوذا على ما روى القديس ايرونيموس في تفسير نبوته وربما كان قاطناً اورشليم كما يتلخص من بعض آيات كلامه وظن بعض المفسرين انه كان كاهناً ولم يؤرخ نبواته ولكن يمكن القطع بانها من اقدم النبوات التي وصلت الينا فهي اقدم من نبوات اشعيا لان اشعيا اخذ عنها قوله في (الفصل ١٣ عد ٦) « ولولوا فان يوم الرب قريب وافد وقد اجتياح من لدن القدير » فهذا منتحل عن قول يوئيل (ف ١ ع ١٥) يا ليوم فان يوم الرب قريب فيأتي كالدمار من عند القدير، وهو اقدم من عاموس لان عاموس اخذ عنه قوله (ف ١ ع ٢) « يزأر الرب من صهيون ويطلق صوته من اورشليم فهذا منتحل من قول يوئيل (فصل ٣ عد ١٦) « يزأر الرب من صهيون ومن اورشليم يطلق صوته » على انه لا يمكن تعيين المدة التي كان فيها يوئيل الا على سبيل الظن فان من تدبر نبوته رآه يذكر من اعداء بني اسرائيل الذين سيعاقبهم الله المصريين والادوميين وصور وصيدا والفلسطيين ولم يذكر ملوك سورية فيظن انه انما صمت عن ذكرهم لانه كتب قبل ان يشكو بنو اسرائيل منهم وقد صمت ايضاً عن ذكر الاشوريين والكلدان ولا وجه لذلك الا ان تنكيل هولاء ببني اسرائيل كان بعد ايام هذا النبي وعليه فيظهر انه كان في ايام يواش قبل حرب حزائيل لبني اسرائيل ويؤيد ذلك انه لم يتكلم في المضار

التي الحقها الاشوريون ببني اسرائيل كما تكلم فيها هوشع وعاموس

اما نفس يوئيل في نبوته فموذون بانه استاذ في صناعة الكلام فكلامه عبراني بحت شديد واضح وقد كان مثالاً بعده لغيره من الانبياء الذين اقتبسوا منه آيات برمتها وقد انتهز لنبوته فرصة اتيان جراد اعقبته مجاعة كبرى فذكر ما اتلف هذا الجراد وشبهه برسل غضب من قبل الله وحضّ على الصوم والتوبة ويظهر ان الشعب اذعن لكلامه لانه قال ان الرب غفر لشعبه وتنبأ على ان العدو يباد وغزارة المطر تخصب الارض وجعل هذا المطر رمزاً الى حلول الروح القدس على الشعب اذ قال (ف ٢ عد ٢٢) « وسيكون بعد هذه اني افيض روحي على كل البشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويرى شبانكم رؤى ويحلم شيوخكم احلاماً وعلى عبيدي ايضاً وامائي افيض روحي في تلك الايام » وهذه هي الآيات التي استشهد بها مار بطرس في خطابه في اورشليم يوم البنديكستي واما الجراد الذي ذكره فاختلف في تفسيره فقال القديس افرام السرياني والقديس ايرونيموس وكثير من المفسرين ما هذا الجراد الا كناية عن الاشوريين والماديين والفرس والرومانيين على ان اكثر المفسرين في هذا العصر يرون كلام النبي حقيقياً لا مجازياً فيريد به الجراد حقيقة لان النبي لم يذكر مضرته بالبشر بل بالحقول والحيوانات ويمكن التوفيق بين القولين بان يقال ان يوئيل ذكر جراداً حقيقياً في فاتحة نبوته ثم جعله كناية عن رسل غضب الله وقد تنبأ بالدينونة العامة فقال (ف ٣ عد ٢) « اجمع جميع الامم وانزلهم الى وادي يوشافاط واحاكمهم هناك » واثبت بعضهم سنداً الى هذه الاية ان الدينونة الاخيرة ستكون في وادي يوشافاط وهذا القول كانه عام الان ما بين علماء الكنيسة على ان القدماء لم يفسروه دائماً بهذا المعنى فقال اوريجانوس في تفسير بشارة متى (فصل ٢٥ عد ٣٢) « ان الشعوب يجتمعون على وجه البسيطة كلها

ويكون ظهور ابن الله بمنزلة برق يظهر في دقيقة واحدة في العالم كله ،

وقال القديس ايرونيموس في تفسير بشارة متى (ف ٢٤ عد ٢٧) ولا يظن ان المخلص يظهر في مكان محيز وهو نور العالم، على انه عند تفسيره نبوة يوئيل هذه قال جميع الشعوب يجتمعون للدينونة في وادي يوشافاط او وادي الدينونة ولم يعين موقعه وقال القديس ايلاريوس في تفسير بشارة متى ايضاً ان الشعوب يجتمعون للدينونة على الجلجلة ليحقق ابن الله انه سيظهر بمجده حيث لحقه العار اقول ويظهر ان القديس افرام السرياني اشار الى هذا المعنى اذ قال في قصيده المثبت في صلاة الفرض عندنا في سوغيت صباح الاحد ܢܙܩܘܦ ܨܠܝܒܗ ܒܩܒܪܗ ܕܐܕܡ ܐܝܟ ܕܙܩܦܘܗܝ ܝܗܘܕܝ̈ܐ اي يركز صليبه (يوم الدينونة التي يتكلم عنها) في قبر ادم حيث ركزه اليهود وكنيستنا المارونية تعيد له في ١٣ تموز

﴿ عد ٣٧٩ ﴾

﴿ في عاموس النبي ﴾

انبأنا عاموس نفسه بما ييسر ادراك نبوته فقال (ف ١ ع ١) انه كان راعياً بين رعاة تقوع وهي على اربع ساعات من اورشليم جنوباً وانه تنبأ في ايام عوزيا ملك يهوذا ويار بعام بن يوآش ملك اسرائيل وانه كان يخز ثمر الجميز (فصل ٧ عد ١٤) وانه ترك بامر الله موطنه ومضى الى بيت ايل ليتنبأ على اسرائيل (فصل ٧ عد ١٥) وجل غرضه الكلام في مملكة الاسباط العشرة وان تكلم مراراً في مملكة يهوذا اما زمان نبوته فقد صرح به كما مر اي انه كان في زمان عوزيا ملك يهوذا الذي ملك من سنة ٨٠٩ الى سنة ٧٥٨ ق م وفي ايام ياربعام الثاني ملك اسرائيل الذي استوى على منصة الملك من سنة ٨٢٥ الى سنة ٧٨٤ وقال ان نبوته كانت قبل الزلزلة بسنتين ولا يعلم في اية سنة كانت تلك

الزلزلة التي ذكرها زكريا ايضاً (فصل ١٤ عد ٥) وحصول الزلازل كثير في فلسطين فلا يعلم ايها اراد والمحقق ان عاموس كان معاصراً هوشع وقد يكون معاصراً اشعيا ايضاً على انه يظن انه كان اكبر منهما سناً وكانت مملكة اسرائيل في ايام نبوة عاموس راتعةً في بحبوحة الامن متراقية في مدارج النجاح فان يربعام الثاني ملكها بسط تخومها شمالاً الى حماة التي كانت التخم الشمالي لمملكة داود والى بحر الميت جنوباً واما مملكة يهوذا فكان عوزيا ملكها يحسن ادارة شؤونها الزمنية الا انه يسيء تدبيرها في المحافظة على السنة والدين ففشت فيها عبادة الاوثان والرذائل التي تصحبها وكان عاموس ينذر الاشرار بان الله سيعاقبهم فلا يجدي نجاحهم المادي عليهم شيئاً

وتقسم نبوته الى ثلاثة اقسام القسم الاول يتضمن في الفصلين الاول والثاني منها نبوات على دمشق وغزه واشدود وصور وآدوم وبني عمون وموآب ويهوذا واسرائيل والقسم الثاني يتضمن ثلاث خطب في الفصل الثالث الى السادس يوبخ بها بني اسرائيل ويتنبأ على عقاب الله لهم وينذب خراب السامرة والقسم الثالث وتشتمل عليه الفصول السابع والثامن والتاسع يتضمن خمس رؤى تثبت ما قاله في خطبه الثلاث يعبر بها عن عقاب الله للائمة بالجراد والنار والمطمار وبزنبيل فواكه والرؤيا الخامسة يبين بها خراب السامرة وتشتيت شعبها وخراب هيكل بيت ايل ويختم نبوته بكلام معزٍّ يشير به الى رجوع بني اسرائيل من الجلاء وبناء المدن المخربة واتيان المخلص وعن موجز تراجم القديسين للاب بولس كاران في ٢٦ اذار ان احد كهنة بيت ايل شكاه الى الملك يربعام الثاني بانه تنبأ على موته ذبيحاً بالسيف فاراد الملك نفيه واشار اليه الكاهن ان يعتزل مملكة يهوذا فلم يروعه الخطر فاجرى الملك عليه مرّ العذاب وشج ابنه راس النبي وحمل وفيه رمق الى بلدته تقوع حيث فاضت روحه ودفن في مدافن

ابائه سنة ٧٥٨ وكنيستنا المارونية تعيد له ١٧ حزيران بمنزلة شهيد كما مر هنا ولكن قيل في ترجمته انه ابو اشعيا النبي وهو غير صحيح كما رايت في الكلام على اشعيا

عد ٣٨٠
في عوبديا النبي

ان تأويل عوبديا عبد الله ولم تبثنا نبوته من ترجمته الا باسمه فزعم بعضهم انه عوبديا قيم بيت آحاب الذي اتى ذكره في سفر الملوك الثالث (فصل ١٨ ع ٣) ولا حجة لهذا الزعم وقال اخرون انه آدومي تهود واسندوا ذلك الى اختصاصه آدوم بنبوته وقيل ايضاً انه رئيس الخمسين الثالث الذي ارسله أحزيا الى ايليا النبي فاسترضاه كما في سفر الملوك الرابع (فصل ١ عد ١٣) ويظهر من نبوته انه كان من سبط يهوذا واما الزمان الذي كان فيه فيعسر تعيينه ايضاً اذ قال بعضهم انه اقدم الانبياء الصغار وقال غيرهم انه كان في ايام الجلاء وموجب هذا الخلاف وجازة نبوته حتى انها لا عنوان لها ولا اشارة فيها الى شيء معروف قال فيكورو (في الموجز الكتابي مجلد ٢ عد ١٠٨٥) انه يمكن مع ذلك اعتبار عوبديا اقدم الانبياء الذين توصل الينا ما كتبوه وان لم يمكن القطع بهذا واستدل على ذلك بان بين نبوة عوبديا ونبوة ارميا على آدوم شبهاً كبيراً يقضي بالقول ان احد النبيين انتحل قول الاخر والاظهر ان ارميا اخذ عن عوبديا من ذلك قول عوبديا (ف ٥ عد ٦) لو ان السراق اتوك او الناهبين ليلاً كيف كان تدبيرك اما كانوا قنعوا بسرق ما يكفيهم لو ان القاطفين اتوك اما كانوا ابقوا خصاصة كيف فتش عيسو وفحصت خباياه، وهاك قول ارميا (فصل ٤٩ عد ٩) « لو ان القاطفين اتوك اما كانوا ابقوا خصاصة او السراق ليلاً اما كانوا قنعوا بخطف ما يكفيهم اما انا فعريت عيسو كشفت خفاياه » واكثر المحققين الان

ان عوبديا كان قبل ارميا واذا عارضنا نبوة عوبديا بنبوة يوئيل الفينا يوئيل على قدمه الذي لا نكير له استعان بشيء من كلام عوبديا الذي قال (عد ١٧) «وفي جبل صهيون تكون النجاة» وقد استعان يوئيل بهذا الكلام اذ قال (ف ٢ ع ٣٢) «ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص لانها في جبل صهيون وفي اورشليم تكون النجاة» ثم ان عوبديا يوبخ الادوميين على شماتتهم ببني يهوذا يوم افتتح الاجانب اورشليم على ان اورشليم قد افتتحت خمس مرات قبل بختنصر والمرجح ان كلامه في افتتاح الفلسطينيين والعرب لها في ايام يورام وعليه فيكون عوبديا في ايام هذا الملك اذ خلع الادوميون نير الطاعة لملك يهوذا كما في سفر الملوك الرابع (ف ٨ عد ٢٠) ولا تتضمن نبوة عوبديا الا احدى وعشرين آية فهي اخصر من كل ما كتب في العهد القديم نبأ فيها على خراب بلاد آدوم لشماتتها بشعب الله وذلك من عد ١ الى عد ١٦ وعلى خلاص اورشليم وظفرها بآل عيسو وجميع اعدائها من عدد ١٧ الى عد ٢١ وتعيد له كنيستنا المارونية في ٣ كانون الاول ويقال في ترجمته انه رئيس الخمسين الثالث الذي ارسل الى ايليا

عد ٣٨١

في يونان النبي

كان يونان من مملكة اسرائيل واسم ابيه امتّاي ومن تقليدات اليهود انه ابن ألارملة الذي اقامه ايليا النبي في صارفة صيدا ولم يؤرخ سفره على اننا نعلم انه كان في ايام يربعام الثاني ملك اسرائيل كما جاء في سفر الملوك الرابع (فصل ١٤ عد ٢٥) «حسب قول الرب اله اسرائيل الذي تكلم به على لسان عبده يونان بن امتاي النبي الذي من جت حافر» ولا مرية بان يونان هذا هو يونان النبي نفسه الذي نتكلم فيه واما جت حافر القرية التي ولد فيها فهي

المعروفة الان بعجاد في شمالي الناصرة على الطريق من صفورية الى طبارية واما سفره فلا يشبه اسفار الانبياء لعدم تضمنه نبوة وانذاره بخراب نينوى ليس نبوة حقيقة اذ لم تخرب فهو اذاً سفر تاريخي وضع بين نبوات الانبياء لان كاتبه نبي وقد ضمنه امر الله له ان يمضي الى نينوى وينذر اهلها فتردد الى اخر ما كتبه كما سيأتي ونفسه فيه ساذج وليس فيه من الشعر الا الصلاة المثبتة في الفصل الثاني (من عد ٣ الى ١٠) وبقاؤه ثلاثة ايام في بطن الحوت آية كانت رمزاً الى بقاء المخلص ثلاثة ايام في القبر وهذه الآية قد حملت الكفرة والجاحدين في كل عصر على ان يسخروا منها قال القديس اغوسطينوس (في رسالته ١٠٢) ابتلع الحوت يونان واستمر في جوفه ثلاثة ايام وثلاث ليال ولا يصدق هذا سامعوه ولا سيما من انتقلوا من مدارس اليونان الى مطالعة هذا التاريخ، واجاب على ذلك قائلاً « يرد على هذا بانه اما انه لا يلزم الاعتقاد بشيء من المعجزات واما انه يلزم الاعتقاد بهذه المعجزة ايضاً اذ لا وجه لانكارها وحدها » فليس على الله امر عسير وهو على كل شيء قدير وقد اراد بحكمته ان يجبر خادمه على تنفيذ ما يريد على هذا النحو وان يكون مثالاً لسر قيامة ابنه من بين الاموات فليس لعقلنا الضعيف ان يتحكم بطرق عناية الله وقد اراد الله بهذه العناية ان يكشف عن انه لا يهمه امر بني اسرائيل فقط بل امر الامم ايضاً الذين كان اليهود يذدرونهم فكان مثال نينوى باعثاً بني اسرائيل على التوبة عن آثامهم واراد الله ان يثبت لنا بذلك شفقته على الخطاة اياً كانوا وتساهله في المغفرة لهم وعنايته بالامم بل بالبهائم ايضاً وما اشد وقع كلامه تعالى الذي قاله ليونان (ف ٤ عد ١٠) « لقد اشفقت انت على الخروعة التي لم تتعب فيها ولم تربها التي نشأت بنت ليلة افلا اشفق انا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها اكثر من اثنتي عشرة ربوة من اناس لا يعرفون يمينهم من شمالهم

ما عدا بهائم كثيرة » وسفر يونان بجملته منقسم الى ثلاثة اقسام اولها يتضمن (ف ١و٢) امر الله له ان يمضي الى نينوى وينذر اهلها ليتوبوا عن اثامهم فتردد يونان بغضاً بالاشوريين الذين كانوا انزلوا ببني اسرائيل شروراً كثيرة على عهد اخاب واراد ان يفرّ من اتمام ارادة الله وعوضاً عن يسير الى المشرق نحو نينوى مضى غرباً الى يافا ونزل سفينة فونيقية سائرة الى ترشيش في اسبانيا فكانت زوبعة عظيمة اشرفت بها السفينة على الانكسار وخاف الملاحون فالقوا الامتعة التي معهم الى البحر ونزل يونان الى جوف السفينة واستغرق في النوم فايقظه رئيس النوتية وقال هلموا نلقي قرعاً لنعلم بسبب من اصابنا هذا الشر فوقعت القرعة على يونان فقال لهم خذوني والقوني الى البحر فاخذوه والقوه فوقف ثيار البحر واعد الرب حوتاً عظيماً لابتلاع يونان فكان في جوفه ثلاثة ايام وثلاث ليال فخشع يونان الى الله بصلاته المثبتة في الفصل الثاني من نبوته فقذفه الحوت الى الارض وقد حقق الطبيعون وجود مثل هذه الحيوانات البحرية الهائلة وقد وجد احدها في جزيرة القديسة مرغاريتا في افرنسة مبتلعاً فرساً . واما القسم الثاني (فصل ٣) فيتضمن مناداته في نينوى بالتوبة وانذاره بانها تخرب بعد اربعين يوماً فآمن اهلها بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من ملكهم الى صغيرهم فلم ينزل الله بهم الشر الذي قال انه سينزله والقسم الثالث (في الفصل الرابع) يبين استياء يونان وغضبه لان الله عفا عن اهل نينوى وصلى الى الله قائلاً الم يكن هذا كلامي وانا في ارضي ولذلك بادرت الى الهرب الى ترشيش فاني علمت انك اله رأوف رحيم طويل الاناة ونادم على الشر فخذ نفسي مني فانه خير لي ان اموت من ان احيى فقال له الرب ابحق غضبك وخرج يونان من المدينة وصنع مظلة جلس تحتها في الظل ريثما يرى ماذا يصيب المدينة فاعد الرب خروعة ظللت فوق رأسه لتقيه الضر ففرح بها

ولكن اعد الله دودة ضربت في الغد الخروعة فجفت ولما اشرقت الشمس كانت ريح شرقية حارة فضربت الشمس رأس يونان فتمني الموت لنفسه فقال له الله الكلام الذي رويناه آنفاً واما قوله ان اهل نينوى آمنوا بالله فهم كان لهم الهة خاصة لكنهم كانوا يعتقدون ان الهة غيرهم من الشعوب الهة حقاً وملك نينوى حينئذٍ كان بنيرار الذي ذكرناه في عد ٣١٧ وتسمية النبات الذي اعده الله ليظلل على يونان خروعة مختلف فيها بين النسخ فقد يكون العشقة وقد يكون نوعاً من اليقطين او الدبا اي القرع. وفي كتاب تراجم الانبياء المنسوب الى ابيفانيوس ان يونان عاد من نينوى خجلاً لعدم تمام نبوته فاعتزل بامه في محل قريب من صور الى مماته وفي مدفنه اقوال لا يتحقق احدها وقد وجدت صوره بهيئات مختلفات في مخابئ رومه القديمة لا سيما في مخبأ القديس كاليستوس وتعيد له كنيستنا المارونية في ٢٣ ايلول

عد ٣٨٢

في ميخا النبي

ان اسم ميخا اصله ميخايا وتأويله في العبرانية من مثل الله وكان من مورشت وهي قرية في جهات جت المعروفة الان بذكرين اوتل الصافي وهو غير ميخا بن يملة الذي ورد ذكره في سفر الملوك الثالث (ف ٢٢ عد ٨) فان هذا كان قبل ميخا النبي بقرن وقد تنبأ هذا النبي في اورشليم على عهد يواتام واحاز وحزقيا ملوك يهوذا كما هو بيّن من فاتحة نبوته وعليه فقد كان معاصراً اشعيا ونبوته تعم جميع اسباط اسرائيل وتختص بملك يهوذا وقل من انكر صحتها لذكر ارميا لها (فصل ٢٦ عد ١٨) ولكثرة الموازنات بين اقواله واقوال اشعيا النبي واما نفسه في نبوته فمؤذن بترفع افكاره وسطوع عبارته وكثرة مقابلاته وتشابيهه وكل ذلك مورد بفصاحة كلامه ونقاوته من الاصطلاحات

الاجنبية وحوت نبوته سبعة فصول مقسومة الى ثلاث خطب يفتتح كلاً منها بكلمة اسمعوا كما في الفصل الاول ع٢ والثالث عد١ والسادس ع١ ففي الخطبة الاولى يتنبأ بخراب السامرة ويهوذا في الفصلين الاول والثاني وفي الخطبة الثانية التي تشتمل عليها الفصول الثالث والرابع والخامس يوبخ الملوك والانبياء الكذبة وقضاة الاثم والكهنة الاردياء وينذرهم بخراب صهيون والهيكل ويعقب كلامه بذكر المواعيد لاسرائيل في اخر الايام اي بمجيء المخلص ويتنبأ بارتداد الامم وولادة المسيح في بيت لحم وقد استشهد متى نبوته على ذلك (في الفصل٢عد٦) واما الخطبة الثالثة المشتمل عليها الفصلان السادس والسابع فهي خطاب بين الله والشعب ويبين به غموط الشعب نعمة الله وكفرانه باحسانه ويذكر اسرائيل بمنن الله عليه ويبين له طريق الخلاص بالعمل بسنته وصنع الخير ويسأل الرب الغفران والصفح عن الاثمة ويذكر وعد الله له بتجديد معجزاته في اسرائيل واخيراً يشكر الله على رحمته وتعيد له كنيستنا المارونية في ١٤ اب ومما يلزم إصلاحه في ترجمته في سنسكارنا انه هو الذي تنبأ لاخاب وذلك غير صحيح لان ميخا الذي تنبأ بموت اخاب غير ميخا هذا كما رأيت انفاً

﴿ عد ٣٨٣ ﴾

في نحوم النبي

تأويل كلمة نحوم التعزية او المعزي فهذا النبي كان من القوش وهي بليدة في الجليل لم يعين موقعها وقد تنبأ على نينوى وفصّل ما فيها حتى اعتقد كثير من اهل النقد انه نظر نينوى بعينه مع ان ذلك غير ثابت لانه كان في فلسطين وكتب بعد سقوط مملكة اسرائيل ولم يؤرخ نبوته فتضاربت الاقوال في العصر الذي كان فيه الى ان جلت لنا الآثار الاشورية هذه المسألة فانه تنبأ (في الفصل الثالث عد٨) على نينوى قائلاً « هل انت خير من نوآمون الساكنة بين

الانهار التي حولها المياه ومترستها البحر واسوارها المياه ، وترجم القديس ايرنيموس في اللاتينية العامية كلمة نوآمون بالاسكندرية ولعلمه ان الاسكندرية بناها اسكندر بعد قرون من ايام نحوم قال انه كان اسم الاسكندرية نوآمون قبل ان يبنيها اسكندر فظهر من آثار اشور بانيبال ان نوآمون هي تاب عاصمة مصر العليا وسمتها تلك الآثار نو وزاد النبي اسم معبودها امون فصارت الكلمة نوآمون اي مدينة الاله امون (طالع ما ذكرناه في عد ٣٣٢) فظهر من ذلك ان نحوم كتب نبوته بعد خراب تاب الذي كان سنة ٦٦٥ ق م فيكون تنبأ في عهد منسى الملك ولم يعترض احد بصحة نبوته ونفسه فيها واضح وعبراني بحت وقد استعان في عبارته بكلام بعض من تقدمه ممن كتبوا الاسفار المقدسة وقد قسم نبوته الى ثلاثة اجزاء ذكر في الاول منها قضاء الله على عاصمة الاشوريين وفي الثاني افتتاحها ونهبها وفي الثالث جرائمها وتدميرها وسقوطها الذي لم تقم منه وتعيد له كنيستنا المارونية في ١ ك ١

عد ٣٨٤

في حبقوق النبي

ان هذا النبي كان من سبط لاوي كما يظهر من خاتمة نبوته اذ قال « الرب الاله قواني وهو يجعل قدمي كالايائل ويمشيني على مشارفي لامام الغناء على ذوات الاوتار » وعليه فكان من المغنين في الهيكل وهولاء كانوا من سبط لاوي . وجاء في نبوة دانيال (فصل ١٤ عد ٣٢) ان الله استخدم حبقوق باية لعيالة دانيال وهو في جب الاسود ولم ينله منها مضرة هذا كل ما نعلمه موكداً عن حبقوق اما نبوته فلم يؤرخها لكن يتحصل من فحواها انها كانت قبل تدمير الكلدان فلسطين لانه تنبأ به في الفصل الاول منها قائلاً في ايامكم فكانت نبوته بين سنة ٦٠٩ وسنة ٦٠٦ تقريباً وكلامه فيها شعر على اصوله وصلاته

المثبتة في الفصل الثالث من ابدع النظم وقد قسم نبوته الى قسمين ضمن الاول في الفصلين الاول والثاني وتنبأ فيه على معاقبة الكلدان يهوذا ثم تدمير الكلدان لجرائمهم الطمع والشهوات والقسوة والسكر وعبادة الاوثان ونسبتهم ظفرهم اليها والقسم الثاني في الفصل الثالث ضمنه صلاته لاجل يهوذا واستماحته الرحمة له وبيان عظمة الله الذي يأتي ليدين العالم وارتعاده منه ثم تقتسه به وقد اختتم كلامه بالرجاء ونيل المسرة وتعيد له كنيستا المارونية في ٢ كانون الاول

عد ٣٨٥

في صفنيا النبي

ان هذا النبي كان من سلالة حزقيا كما في فاتحة نبوته لكنه لم يصفه بالملك والاظهر ان كلامه في هذا الملك لان باقي الانبيا لم يذكروا الا اسم آبائهم وهذا قال عن نفسه انه ابن كوشي بن جدليا بن حزقيا فتفصيل نسبه مشعر بانه متصل بملك وقد انبأنا (ف ١ عد ١) انه كان في ايام يوشيا ملك يهوذا ويلزم ان يكون قد عاش في اول ملكه اذ ذكر (فصل ١ عد ٤) ان عبادة البعل كانت باقية في اورشليم كما كانت في اول ملك يوشيا وان نينوى لم تكن خربت بعد (فصل ٢ عد ١٣) على ان خراب نينوى غير مقطوع بسنة حدوثة والاظهر انه كان قبل نهاية ملك يوشيا نحو سنة ٦٠٨ او سنة ٦٠٧ ق م فنبوة هذا النبي كانت نحو سنة ٦٣٩ او سنة ٦٣٨ لان يوشيا ملك سنة ٦٤١ او سنة ٦٤٠ ق م وهذه النبوة ذات ثلاثة فصول منتسقة كانها خطبة واحدة ففي الفصلين الاول والثاني يتنبأ بالعقاب والانتقام من بني يهوذا لعبادة الاوثان وجرائم الكبراء والشعب وان يوم الغضب قريب وان نينوى نفسها واعداء يهوذا سيحل عليهم هذا الغضب ويحض بني يعقوب على التوبة والارتداد الى الله ويبشر في الفصل الثالث بانجاز وعود الله بارجاعهم من الجلاء وانقضاء الشر والفوز بسعادة راهنة

وتعيد له كنيستنا المارونية في ٣ك١

عد ٣٨٦

في حجاي النبي

ان حجاي وزكريا وملاخياً كانوا بعد الجلاء البابلي اما حجاي ففي التلمود انه كان عضواً في المجمع الكبير وذكر الاباء انه كان مجلواً في بلاد الكلدان وعاد الى فلسطين مع زوربابل وعهد الله اليه بالرسالة ليحمل الشعب على تكملة الهيكل الثاني كما يظهر من نبوته (فصل ١ عد ٢ الى ٤) وقد ادرك شاؤه (ف١ ع ١٤) وقد اخذ في بناء هذا الهيكل على عهد قورش سنة ٥٣٥ فاوقف السامريون اليهود عن تكملة بنائه الى ايام كمبيس بن قورش ثم اخذ في البناء بالحاح حجاي وذكريا سنة ٥٢٠ بعد ان تسنم دارا ابن هيستسب اريكة الملك ودشن هذا الهيكل الجديد في السنة السادسة لدارا المذكور سنة ٥١٥ اما نبوة حجاي فتحتوي على ايجازها على اربع نبوات ففي الاولى منها يوبخ حجاي الشعب على تقاعدهم عن اقامة الهيكل مبيناً لهم عقوبة الله لهم على ذلك بالمجاعة التي حصلت من انحباس المطر ويغري زوربابل ويشوع بن يوصاداق الكاهن عظيم الاحبار ليستأنفا البناء فاذعنا لقوله واخذا في البناء كما هو ظاهر في نبوته فصل ١ وفي النبوة الثانية المشتمل عليها الفصل الثاني عد١ الى١٠ يعظم الهيكل الجديد ويتنبأ قائلاً ((فصل ٢ عد ٧) « هكذا قال رب الجنود اني مرة بعد قليل ازلزل السماء والارض والبحر واليبس وازلزل جميع الامم ويأتي متمنى جميع الامم فاملاء هذا البيت مجداً ... وسيكون مجد هذا البيت الاخير اعظم من الاول قال رب الجنود وفي هذا الموضع اعطي السلام » فمتمنى الامم هو المسيح الذي ولد لنحو من خمس مئة سنة ونيف بعد نبوة حجاي واعترض على هذه النبوة بان المخلص لم يدخل الهيكل الثاني بل الهيكل

الثالث الذي بناه هيرودس ويجاب على ذلك ان هيرودس لم ينقض هيكل زوربابل كله وان غرض النبي الكلام في هيكل الاله الحق في اورشليم دون ان يميز بين الاول والثاني فضلاً عن تحرير الآية خاصة على ما وردت في السبعينية هو ان المجد الاخير لهذا البيت يكون اعظم من المجد الذي كان للهيكل الاول فان المجد الذي يكسبه اياه حضور المسيح فيه يفوق كثيراً المجد الذى كان له في ايام سليمان

والنبوة الثالثة يشتمل عليها الفصل الثاني من عد١١ الى ٢٠ يبشر حجاي الشعب فيها بامر الله ان المجاعة التي عاقبهم بها لتوانيهم في اقامة الهيكل ستزول ويمن الرب عليهم بالخصب واقبال مزروعاتهم واشجارهم والنبوة الرابعة والاخيرة المتضمنة في الفصل ٢ عد ٢١ الى ٢٤ يعد بها زوربابل ممثل بيت داود بان الله يحفظه ويؤيده في التقلبات السياسية التي ستكون في العالم وفي ذلك اشارة الى ملك المسيح وتعيد له كنيستنا المارونية ١٦ ك١

عد ٣٨٧

في ذكريا النبي

تأويل ذكريا من يذكره الرب وهذا النبي كان من النسل الكهنوتي بن براكيا او برشيا بن عدو النبي ولشهرة عدو سمي ذكريا في سفر عزرا الاول (فصل٥ عد١و٦و١٤) بن عدو مع انه جده وقد ابتداء ذكريا ان يتنبأ في السنة الثانية لدارا وهي السنة نفسها التي تنبأ بها حجاي اي سنة ٥٢٠ ق م ونبوته المذكورة في الفصل السابع كانت سنة ٥١٨ ونبوتاه الاخيرتان المذكورتان في الفصول التاسع الى الرابع عشر هما بعد نبوته المذكورة ولا يعلم بتأكيد في اية سنة وفي سفره قسم حوى رؤى ورموزاً وقسم اخر حوى خطباً ضمنها في الفصلين السابع والثامن والنبوة بجملتها قسمها الى ثلاثة اقسام القسم الاول

يبتدئ من فصل ١ عد ٧ الى الفصل السادس يتضمن رؤى عديدة منها رؤية رجل راكب على فرس احمر واقف بين الاس في المستظل وخلفه افراس حمر وشقر وبيض رمز الى الرحمة والبركة السماوية لاورشليم ثم رؤيته اربعة قرون واربعة صناع وان الصناع الاربعة كسروا القرون رمزاً الى سقوط الكلدان والفرس واليونان والرومانيين الذين اضطهدوا يهوذا ثم رأى رجلاً وبيده حبل مساحة ليمسح اورشليم ويشير بذلك ان ملكوت الله في الكنيسة ينبسط في الارض كلها ثم رأى (فصل ٣) يشوع الكاهن العظيم ابن يوصاداق واقفاً امام ملاك الرب وملاك يلبسه حللاً حديثة وتلك اشارة الى مجد المدينة المقدسة المقبل ومجد المسيح ثم رأى منارة (ف ٤ عد ٤) كلها ذهب وقائمة بين زيتونتين وذلك رمز الى الهيكل الذي اكمله زوربابل وسيغنيه الله بمواهب الروح القدس والرؤيا السادسة والسابعة انه رأى درجاً طائراً وامرأة جالسة في وسط ايفة ثم امرأتان خرجتا والريح في اجنحتهما فرفعتا الايفة بين الارض والسماء وذلك رمز الى نفي الخطاة من ملكوت الله والرؤيا الثامنة (فصل ٦) انه رأى اربع عجلات خارجات من بين جبلين من نحاس وتلك اشارة الى قضاء الله بان يجدد هيئة العالم بعد تمرغه بالاثام واخيراً رأى راس يشوع بن يوصاداق عظيم الاحبار مكللاً واشار بذلك ان رئيس ملكوت الله سيكون ملكاً وحبراً وهذه خلاصة القسم الاول

واما القسم الثاني (فصل ٧و٨) يتضمن جواباً من قبل الله لوفد بيت ايل ليسألوا الكهنة والانبياء هل كان الصوم المفروض بسبب تخريب يختصر الهيكل يلزم حفظه ايضاً بعد تجديد المدينة وبيت الله فيجيبهم الله بواسطة ذكريا انه يريد طاعة لا صوماً وانه بدد شعبه بسبب عصاوتهم وانه سيعامل صهيون بجوده بعد ان ادبها بعدله وانه سيبدل ايام الصوم بايام المسرة ويمجد

المدينة المقدسة وتأتي الشعوب ليسجدوا له فيها عند ارتدادهم الى ايمان المسيح والقسم الثالث والاخير يتضمن نبوتين الاولى على حدراك ودمشق والبلاد المجاورة لهما (فصل ٩ عد ١١) والثانية على اسرائيل (ف ١٢ الى ١٤) اما حدراك فكان موقعها مجهولاً الى هذه الايام وكان بعض المفسرين يظنون اسمها مجازياً لا علماً لمدينة حقيقة على انه الان اصبح بيناً ان حدراك مدينة جاء ذكرها مرات في حروب ملوك الاشوريين وكان موقعها في سورية وقد ذكرت مع البلاد المجاورة لها اي دمشق وحماة وفونيقي وفلسطين وكانت نبوة النبي عليها ان كل هذه البلاد تخرب فتم ذلك بغزوة اسكندر الكبير وان شعب الله يتبارك ويقوى واما لاسرائيل فتنبأ قائلاً (ف ٩ عد ٩) ابتهجي جداً يا بنت صهيون واهتفي يا ابنة اورشليم هوذا ملكك يأتيك صديقاً مخلصاً وديعاً راكباً على اتان وجحش ابن اتان وقد تمت هذه النبوة في دخول المسيح الى اورشليم

وقد ضمن النبي الفصلين العاشر والحادي عشر وعوداً من قبل الرب بان يؤيد آل يهوذا ويخلص آل يوسف وتهديدات لغيرهم من الشعوب وان الله يبيد ثلاثة رعاة الكلدان والفرس واليونان وفي الفصل الثاني عشر الى الرابع عشر يصف النبي مجد اورشليم بارتداد الامم الى المسيح وان المناصبين لاورشليم والكنيسة تعود مناصبتهم عليهم فيظفر الله شعبه ويحل عليه روحه ونعمته حتى يندم يهوذا ندامة مرة على موت المسيح . ويعيد له في كنيستنا المارونية في ٢١ شباط

عد ٣٨٨

في ملخيا النبي

تأويل ملخيا المرسل من الله وكان هذا النبي معاصراً نحميا وقد تنبأ عند اقامته في اورشليم نحو سنة ٤٣٢ وأيد نبوته الاصلاح الذي عنى به نحميا في

حظره الزواج بنساء وثنيات وفي منعه عن تقدمة ذبائح لله غير مرضية له وبتونيبه الشعب على تقاعده عن اداء العشر وقد كان الهيكل كمل بناؤه حينئذٍ وسفر هذا النبي يشتمل على اربعة فصول وهو بمنزلة خطاب بين الله الشعب او الكهنة وهو منقسم الى ثلاثة اقسام اولها في الفصلين الاول والثاني الى العدد التاسع يبين به محبة الله لشعبه والقسم الثاني من عد ١٠ من الفصل الثاني الى عد ١٦ يبين به ان الله اله وحيد واب لاسرائيل والقسم الثالث يبتدئ من الفصل الثاني عد ١٧ الى الفصل الرابع يمثل الله به بديان سيأتي لينتقم من آثام الائمة ويثيب الابرار ويعد الخلاص ويرسل ايليا الثاني والمراد به يوحنا المعمدان سابق المسيح ثم يتنبأ على بطلان ذبائح العهد القديم واقامة ذبيحة حديثة ذبيحة القداس اذ يقول (فصل ١ عد ١٠) لا مسرة لي بكم قال رب الجنود ولا ارضى تقدمة من ايديكم لانه من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم في الامم وفي كل مكانٍ توثر وتقرب لاسمي تقدمة طاهرة ، وكلمة تقدمة في العبرانية منحا ويفهم بها تقدمة الطحين والخبز والخمر فتعين ان المراد بها الخبز والخمر مادة تقديس جسد المسيح ودمه واختتم ملخيا نبوته بقوله (ف٣ عد ١) ، ها انه آتٍ قال رب الجنود ، ويريد بذلك المسيح الذي اتى من بعد ذلك بنحو من خمس مئة سنة فقد اراد الله ان يعد بواسطة الانبياء شعبه لانتظار المخلص الذي هو كمال جميع النبوات وتعيد له كنيستنا المارونية في ٣ من كانون الثاني

خاتمة الجزء الثاني

بمن الله وكرمه وفقنا في تدوين تاريخ سورية منذ خلق العالم الى ايام اسكندر الكبير وكانت خاتمة كلامنا في الجزء الاول خبر انقراض دولة الفرس وتقلص ظل سطوتها عن سورية والحقنا بذلك تراجم الانبياء فتحتم علينا ان نستتبع كلامنا باخبار سورية على عهد اسكندر الكبير وخلفائه الى ان تملصت من ايدي دولتهم وخلفهم فيها الرومانيون الى ان استحوذ عليها الخلفاء المسلمون قبل منتصف القرن السابع للمولد وعليه فقد قسمنا كلامنا في هذا الجزء الى مقالتين الاولى في تاريخ سورية في ايام اسكندر وخلفائه والثانية في تاريخها على عهد الرومانيين وعلى الله الاتكال في كل زمان وحال

مقالة
في تاريخ سورية على عهد اسكندر وخلفائه

الفصل الاول
في اخبار اسكندر الكبير
عدد ٣٨٩

لمحة في تاريخ اليونان الى مولد اسكندر

قد ذكرنا في العدد ٤١ ان اليونان هم من ولد ياوان بن يافت بن نوح وان ذرية ابناء ياوان الاربعة وهم اليشة وترشيش وكتيم ودودانيم او رودانيم (تكوين فصل ١٠) توطنت بلاد اليونان وما جاورها من الجزر والبابسة وعليه فياوان هو جد اليونان الاولين على ما قال جمهور من قدماء وحدثاء ثم لحقت بهم الى بلادهم جاليات اخصها واقدمها البلاسج والجمهور على ان هولاء البلاسج من ذرية يافت ايضاً هاجر بعضهم المشرق فتوطن فريق منهم تراسة ومكدونية وغيرها من بلاد اليونان وتوغل فريق في البلاد فكانت مساكنه في ايطاليا واستمر فريق منهم في اسيا الصغرى وكان منهم سكان تروياً وغيرها ولكن قال الاب قيصر دي كارا اليسوعي (في كلامه على الحثيين وارتحالهم) ما البلاسج الا الحثيون ظعنوا من اسيا الصغرى فحلوا بلاد اليونان والجزر القريبة منها وابعدوا في البلاد الى ايطاليا وقد ذكرنا قوله وما اقامه له من

الحجج في العد ٨٤ حتى العدد ٨٨ فطالعه ويظهر أن البلاسج اتوا بلاد اليونان نحو القرن العشرين قبل الميلاد وانقسموا الى قبائل وفصائل عديدة وقد لحقت بالبلاسج الى بلاد اليونان جالية اخرى من الفونيقيين يرؤسها قدموس الذائع ذكره والاظهر الذي قال به اكثر العلماء ان ارتحال هولاء كان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد (طالع عد ٨٧) وقد اجمعوا على ان قدموس انما هو الذي ادخل الحروف الهجائية في لغة اليونان لتسميتها فونيقية وقدموسية وارامية وللقرب بين الحروف القديمة في اللغتين صورة ولفظاً ووضعاً وعدداً وقد زاد اليونان المتاخرون بعض احرف على الاصل وولى قدموس وبعض ولده في بعض اعمال بلاد اليونان وتبعهم منازيح من مصر فادخل النزالة الشرقيون الحضارة في تلك البلاد وعلموا اهلها صنائعهم وبثوا فيهم عبادة الهتهم . وظهر هناك قوم سموا هيلانيين تغلبوا على البلاسج في القرن السادس عشر الى القرن الرابع عشر قبل الميلاد وبسطوا سرادق ولايتهم على البلاد فارتحل جم غفير من البلاسج الى الاقاليم القريبة وتوطنوا فيها وكان من الهيلانيين فصيلة تسمى كراي اوكراشي (اغريق أو كراك) فغلب اسمها على سكان البلاد اجمعين وانقسم الهيلانيون الى ثلاث فصائل ايولين ويونين ودوريين وكانت بينهم وبين غيرهم من سكان بلادهم حروب عديدة اشهرها حرب ثاب سنة ١٣١٣ وسنة ١٣٠٣ ثم حرب تروبا المشهورة واختلف في زمانها فمن قائل انها كانت سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٢٧٠ ومن قائل سنة ١١٩٣ الى سنه ١١٨٣ وممن قالوا بهذا دوري في تاريخ بلاد اليونان (مجلد ١ صفحة ١٣٨) وقال بعض المورخين الحديثين ان هذه الحرب متاخرة ولم تكن الا بعد قرون وكان لكل فصيلة و عمل ملك مستقل ثم آثر اكثرهم الحكومة الجمهورية فابطلت أثينا الملكية سنة ١١٣٢ وارغوس سنة ٨٢٠ وقرنثية سنة ٧٤٧ ولم تبقَ الملكية الا في سبرتا

وكان بين اليونان والفرس حرب عوان دامت اعواماً طوالاً تسمى الحروب المادية ابتدأت سنة ٤٩٠ ق م وكان لليونان فيها انتصارات اثيلة منها استظهارهم على الفرس في ماراتون سنة ٤٩٠ وفي سلمينا سنة ٤٨٠ وفي بلاتا سنة ٤٧٩ وخلدت هذه الحروب ذكر ملسياد وتموستكل وسيمون واريستيد وليونيداس ورقي اليونان في هذه الحقبة مدارج التقدم في العلوم والفنون والصنائع وذاع حينئذٍ صيت اشيل وسوفكل واربيد في المآسي TRAGEDIE، واريستوخان في غيرها من الروايات COMEDIE، وهيرودت وتوشديد في التاريخ وانشاء تالس ودموكريت وبيتاغوروس وغيرهم معاهد لتعليم الفلسفة وبسط هذا العلم وادخل عليه اصلاحات بعدهم سقراط ثم افلاطون وارسطو ووضع بقراط اصول الطب واشتهر فيدناس بصناعة حفر التماثيل وصنع النقوش البديعة

ثم طرأ على اليونان الوهن والضعف لحروبهم الاهلية وكانت اثينا وسبرتا تتنازعان السطوة والسؤدد فكانت بينهما الحرب المعروفة بحرب المورة استعرت نارها سبعاً وعشرين سنة من سنة ٤٣١ الى سنة ٤٠٤ وانتهت بافتتاح السبرتيين اثينا وبتغلب سطوة سبرتا على بلاد اليونان على ان السبرتيين اساؤا التصرف بسؤددهم فثار عليهم سائر مواطنيهم وعزز قونون وايفيكرات وشيرياس جانب اثينا وعقد انتثيداس ملك سبرتا صلحاً مذللاً مع ملك الفرس سنة ٣٨٧ فاهاج على السبرتيين حنق اليونان اجمعين فتقلص ظل سطوتهم فانتهز فيلبوس ملك مكدونية فرصة منازعات اليونان فاخضع اكثرهم لنير سلطنته واتم اخضاعهم في وقيعة ثارونا سنة ٣٣٨ رغماً عن بذل ديموستان قصارى جده في تأليف قلوبهم وتوحيد كلمتهم وتشجيعهم وفيلبوس هذا هو ابو اسكندر الكبير الذي سنبسط تاريخ اعماله واعمال خلفائه في هذه المقالة

عد ٣٩٠

في مولد اسكندر وترجمة حياته الى ملكه

ولد اسكندر لفيلبوس ملك مكدونية ولاولمبيا زوجته في ٢٩ تموز سنة ٣٥٦ ق م وروى بلوترك ان اباه تطير لورود ثلاث بشائر اليه في يوم واحد مولد ابنه وانتصار احد قواده ونيله الاكليل في ملاعب اولمبيا وكانوا يتشاءمون بمثل ذلك فخشع الى المشترى قائلاً « احل بي حالاً مصاباً خفيفاً بدلاً مما غمرتني به من نعمك » وقال كثير من المؤرخين القدماء ان فيلبوس الملك كتب بعد ايام من ولادة ابنه الى ارسطو الرسالة الآتية « اخبرك اني رزقت ابناً وشكرت الالهة على رزقهم لي اياه شكراً لا يوازي شكري لهم على ولادته في ايام ارسطو واعلل نفسي انك تجعله خلفاً اهلاً لنا وملكاً اهلاً لمكدونية » وحكى بلين (ك ٣٦ فصل ١٤) انه يوم ولادته التهمت النار هيكل ديانا في افسس الذي كان من عجائب الدنيا السبع فكان ذلك مشوماً على اسيا الصغرى التي ذللها في بدء ملكه وكان اسكندر منذ نعومة اظفاره طماعاً عشيق المجد والمعالي وكان كلما تلقى خبر ظفر لابيه او افتتاح مدينة لم يشاطر اهل المملكة سرورهم بل كان يقول للصبيان عشرائه بلهجة آسف « خلاني ابي يأخذ كلشي ولا يدع لنا ما نصنع » واتى سفراء ملك فارس يوماً وابوه غائب فرحب بهم واكرم مثواهم حتى دهشوا من ذكائه على حداثة سنه وزادهم دهشةً انه لم يطارحهم مسألة يشتم منها رائحة الصبوة مثلاً لم يسألهم عن الجنات المعلقة في الجو في بلادهم ولا عن غنى ملكهم ولا عن الغرائب التي في وطنهم بل سألهم باي الطرق يسار الى بلادهم وكم تبعد من مكدونية وبِمَ تقوم قوة ملوك فارس واي موقف يتخذ ملكهم أبأن الحرب وكيف يسوس شعبه وكيف يعامل اعداءه وما اشبه فقضى السفراء العجب العجاب وقالوا « هذا الامير الصغير

كبير واما ملكنا فغني ، ولا يخفى ما في كلامهم من تفضيل اسكندر على مليكهم وليس الغني بفضل يذكر ويشكر

وكان اسكندر فهامة متوقد الذكاء خلقاً فما يكون وقد تولى ارسطو اكبر فلاسفة عصره تعليمه وتهذيب اخلاقه وبالغ في العناية به وكان اسكندر مطواعاً له يقدره حق قدره ويجله اجلاله لابيه حتى كان يقول ان اباه مَنَّ عليه بان يكون من الاحياء واما ارسطو فبان يحيى حياة حسنة ،

وكان جد التلميذ ونجاحه كفوءاً لعناية استاذه به وقد علمه ارسطو العلوم الرياضية والفصاحة والفلسفة الى غيرها مما يجدر بملك ان يتعلمه وأكب اسكندر خاصة على علم تهذيب الاخلاق الذي مداره على معرفة الانسان فروضه لله ولنفسه ولغيره ولم يغفل الطب ايضاً فقد حكي عنه انه عالج كثيرين من اصدقائه وجنوده في امراضهم وكان ولوعاً بتلاوة اشعار اوميروس ليقتبس منها الحماسة والسجايا الحسنة حتى انه لما كسب من دارا في حربه قشوة عطوره الثمينة لم يراها تحسن الا لوضع كتب اوميروس فيها وكتب الى ارسطو رسالة بينما كان متشاغلاً في الحرب في اسيا ومما قاله فيها ، انه يحب ان يفوق الناس بعلمه الامور السامية اكثر جداً من ان يفوقهم بعظمته وانبساط ملكه ، وكان حزوماً عزوماً لا تثنيه القوة عن عزمه ويثنيه عنه البرهان السديد بسهولة .

ولما بلغ السادسة عشره من عمره واضطر ابوه ان يبارح مكدونية عهد اليه بتدبير مهام المملكة بمطلق السلطان فقام بذلك احسن قيام متصرفاً بالسداد والشجاعة كاعظم الرجال المحنكين بالسياسة واشتهر بالبسالة والاقدام في حرب شارونا المشار اليه

عد ٣٩١

في ملك اسكندر واخضاعه اسيا

توفي فيلبوس الملك سنة ٣٣٦ وعمر اسكندر ابنه عشرون سنة فرقى منصة الملك تحفها اهوال واخطار وكان بعض الشعوب المجاورين مكدونية جاهروا بالعصاوة فذللهم وردهم الى الطاعة وهب الى بلاد اليونان يشتت شمل المتحالفين واخذ تاب ودمرها وعفا عن اهل اثينا الذين كانوا ناووه ولا نطيل الكلام في اعماله هذه لخروجها عن دائرة غرضنا وسماه قومه القائد العام لجيوش اليونان على الفرس وعاد الى مكدونية يتأهب للحرب في اسيا

قد جمع اسكندر كبراء دولته واستشارهم في امر حملته على الفرس فلم يكن من مخالف لرأيه الا اثنان من اعوانه رغبا اليه ان يتزوج قبل سفره فقال انه يخجل بان يضيع زمانه بحفلة زواجه واكثر من هباته لعماله وجنوده حتى قال له بردبكاس وزيره ، مولاي ما تبقى لنفسك فقال الرجا فاجابه الوزير اذا يلزم ان يكفينا الرجا مؤونة ، ولم يكن جيش اسكندر حينئذٍ الا عشرين الف راجل واربعة او خمسة الاف فارس ولكن جميعهم من الكماة الاشداء سار بهم الى ان عبر الدردنيل ووثب من زورقه ووطأت رجلاه ارض اسيا قبل جميع جنده وقدم محرقات لالهته وزحف بجيشه لا يلقى معارضاً الى ان بلغ ضفة نهر كرانسيك في فريجيا وكان ارسيتاس والي هذه البلاد من قبل دارا على الضفة الاخرى ليمنعه عبور النهر وجيشه مئة الف راجل واكثر من عشرة الاف فارس على ما روى ديودرس الصقلي وكان ممنون الرودسي احد عمال دارا اشار على قادة جيشه ان لا يحاربوا اسكندر بل ان يدمروا البلاد بوجهه ويتركوها قاعاً صفصفا فيكرههم الجوع ان يعودوا على اعقابهم ولم يعمل ارسيتاس بمشورته وكان من راي برمنيون قائد رجال اسكندر ان ينتظر الجيش

الغد ليثب غلساً فيعبر النهر باقل مشقة وخالفه اسكندر قائلاً انه يرى التلوم في عبور نهر عارًا عليه وقد عبر الدردنل ولا يشاء ان يحط من مهابة سطوته وبسالة جنوده وكانت فرسان العدو تحدق بضفة النهر والرجالة من ورائهم على اكمة بينهم يونان استاجرهم دارا فاقتحم اسكندر النهر وتبعه طليعة من فرسانه فتهافت الفرس عليهم ورموهم بالنبال كالديم الهطلة فتقهقرت هذه الطليعة وتجندل منها الصف الاول فعاجلها اسكندر بنجدها برجال الميمنة التي كانت تحت امرته ثم برجال الميسرة التي كانت تحت امرة برمنيون وتعالى هتاف الجيش كله ووثبوا على الفرس دفعة واحدة فشتتوا شملهم وقتلوا كثيرين منهم واسروا منهم الفي رجل

وقد قتل من المكدونيين في الكرة الاولى خمسة وعشرون فارساً اقام لهم اسكندر في ديون تماثيل من نحاس ولم يقتل بعد ذلك من الفرسان الا ستون فارساً ومن الرجالة ثلاثون فدفنهم اسكندر مع سلاحهم تبياناً لبسالتهم واعفى اباءهم واولادهم من كل جزية وضريبة وكان يعود الجرحى ويفحص حالة جراحهم ويتوددهم ودفن بكرامة قادة الفرس الذين سقطوا في القتال حتى من كان معهم من اليونان الذين استاجرهم الفرس ولكن كبل بالقيود من وقع اسيرًا من هولاء المستأجرين وارسلهم الى مكدونية لنقضهم عهد المملكة بمحاربتهم اليونان ابناء جلدتهم (روى ذلك اريان ك١ صفحة ٣٦) وديودورس الصقلي (ك١ صفحة ٥٠٣) وغيرهما وكانت هذه الموقعة سنة ٣٣٤ ق م ان هذا الظفر يسر لاسكندر افتتاح سائر اسيا الصغرى فان سرد (في ولاية ازمير الان) استسلمت الى الغازي فتركها وحريتها والعمل بشرائعها وبلغ افسس واعاد اليها الحكومة الجمهورية كما آثر اهلها وامر ان تنفق على تجديد هيكل ديانا الجزية التي كانت تدفع لملوك الفرس وعرض على اهل افسس ان يردّ عليهم كلما انفقوه

على الهيكل ويقوم بكل ما يُقتضى لاتمام بنائه بشرط ان يبحوه نقش اسمه على جداره فابوا وتخلصوا منه بقولهم لا يحسن ان يقيم اله نصباً لاله اخر وارسل اسكندر شراذم من جنوده تشهد خضوع اهل المدن المجاورة له وسار في طريق شاطي البحر فانتهى الى ميلات المسماة الان بلانكا فاغتر اهلها بانجاد اسطول الفرس الذي كان هناك لهم ووصدوا ابواب مدينتهم في وجه الغازي فما عتم ان افتتحها وعامل بالحلم سكانها واقلع الاسطول الفارسي من هناك وصرف اسكندر اسطوله ولم يبقِ منه الا ما كان لا بد منه لنقل ادوات الحرب وفعل ذلك اما اقتصاداً كيلا يتحمل نفقاته على غير داعٍ اما كيلا يومل جنوده العود عن جهادهم وسار الى اليكرناس وطن هيرودت ابي التاريخ المسماة الان بودرون ولم تجدها نفعاً بسالة ممنون (عامل دارا المشار اليه) الذي كان فر ببعض ذويه من وجه اسكندر الى هناك لان الغازي افتتحها عنوة وانهزم ممنون ببعض اهل المدينة الى جزيرة كوس القريبة منها

وبعد هذه الوقائع دان كثير من ملوك اسيا لاسكندر ومنهم متريدات الثاني ملك بنطوس ولما كان قد اقبل فصل الشتاء اباح اسكندر من كان تزوج من جنوده تلك السنة ان يرجع الى اهله مدة الشتاء ليعود الى المعسكر في فصل الربيع طبق ما رسم موسى في سفر التثنية (فصل ٢٤ عده) وربما كان ارسطو عرف ذلك فلقنه تلميذه اسكندر ولما كان الربيع سنة ٣٣٣ زحف اسكندر بجيشه مخضعاً سائر اعمال اسيا الصغرى الى ان انتهى الى فيليقية وارسل امامه برمينيون الى ترسيس فبلغها والفرس عاملون على احراقها كيلا يغنم عدوهم هذه المدينة الغنية فانقذ برمينيون المدينة من الحريق وهزم الفرس ووصل اسكندر الى نهر كدنا في خارج هذه المدينة والحر شديد والعرق يرشح من كل مسامه فاحب ان يغتسل به ولم يبتلّ جسمه الا واخذته قشعريرة شديدة ثم

وقف حسه ورشده حتى خشي عليه ان تدركه المنية وعمت الكآبة جيشه ولم يجسر الاطباء ان يعطوه أدوية قوية لان دارا اذاع ان من قتل اسكندر نقده الف وزنة وزوجه باخته وملكه في مكدونية على ان فيلبوس احدهم الذي كان صديقاً مخلصاً لاسكندر اعد دواء فعالاً دنا به اليه فتناول اسكندر الكاس بيمناه وقد كان عاوده رشده وناول فيلبوس بيسراه رسالة كان كاتبها يحذره اغتيال فيلبوس وشرب الكأس الى اخرها غير مبالٍ فاضطرب فيلبوس كل الاضطراب من هذه التهمة على ان ذلك الدواء نجع باسكندر فبل من مرضه وعرض بعد ثلاثة ايام نفسه على جنده ففرحوا به واكثروا من الاطراء على الطبيب

﴿ عد ٣٩٢ ﴾

﴿ وقيعة ايسوس بين اسكندر ودارا ﴾

ان ممنون الرودسي كان قد اشار على دارا ان يثير الحرب على مكدونيه فيمالئه عليها اهل سبرتا وغيرهم من خصوم اسكندر فتكون هذه الذريعة الفضلى لرده عن اسيا فاذعن دارا لهذه المشورة وجعل ممنون قائداً لاسطوله في البحر المتوسط لينفذ ما اشار به فاستولى على ساقس وليسبوس كلها الا مدينة ميتيلين منها ومات اذ كان محاصراً لها ويئس دارا من البقاء في اسيا فهم بالمحافظة على سورية فالّب عسكراً جراراً لا ينقص عن ست مئة الف رجل واستشار القادة فيما يصنع فاشار عليه القادة اليونان الذين استأجرهم ان يتربص حيث كان في سهل فسيح في بلاد اشور منتظراً عدوه وان لم يحسن له التربص فليختر من هذا الجيش رجال الحرب وبسلاءه ويطلق الباقين لئلا يعرض جنوده كلها للانكسار دفعة واحدة وللتهلكة في يوم واحد وخالفهم القادة الفرس فاشاروا على دارا ان يزحف بهذا الجيش العرمرم واوقعوا شبهة الخيانة على القادة اليونان

ورغبوا اليه ان يميتهم فابى انزال الضر بهم لكنه عمل بمشورة حاسديهم وارسل ما كان معه من المال والنفائس الى دمشق وسار بجيشه نحو فيليقية ومعه زوجة الملكة وامه وبناته وابنه الصغير واما اسكندر فارسل برمنيون وقسماً من جيشه ليستحوذ على معبر سورية من جهة فيليقية ليأمن مسير جيشه في ملك المعبر فولى برمنيون ايسوس الكائنة على خليج اسكندرونة في الشمال منها وضبط معبر سورية واقام فيه حامية وجاء الملك في عقبه واجتاز معبر سورية بسائر جيشه وترك مرضاه في ايسوس ووقد دارا بجحافله الى ايسوس وهو يظن اسكندر وراءه وقد كان تقدمه فزين له اعوانه ان اسكندر منهزم من وجهه نحو سورية فما عليه الا ان يتبع آثاره فقتل دارا المرضى الذين كان اسكندر ابقاهم في ايسوس واستبقى بعضهم وعرضهم على جيشه ليزيده شجاعة

وبلغ اسكندر ان دارا من ورائه فكاد لا يصدق الخبر لوفرة سروره به لان الموقف يلائمه كثيراً وحسب الالهة ساقت دارا الى هذا المضيق ليهلكه فان البحر هناك من جانب وجبل داغ من اخر وليس بينهما الا ارض تضيق عن جحافل دارا الكثيرة وتكفي جنود اسكندر اليسيرة لحركة الحرب فسوى المحل الحرج بين قوة الملكين فلم يكن للفرس ان يشغلوا من جنودهم الا العشر او اقل منه وكان لاسكندر ان يشغل عسكره كله وقام اسكندر ليلاً وقدم الضحايا للالهة على عادته واطعم جنوده وساقهم نحو عدوه وصفهم للقتال فجعل نيقانور على ميمنة عسكره من جهة الجبل وبتلمايس على ميسرته من جهة البحر وسار هو في قلب جيشه وكان بين الجيشين نهر يسمى بيناروس وجعل دارا ميمنة جيشه على شاطي البحر واقام ثمه اكثر الفرسان وميسرته نحو الجبل وعبر النهر منها ثلاثون الف فارس وعشرون الف راجل ينوون الايقاع بجيش اسكندر من الوراء واقام تسعين الفاً في الوسط تسد معبر النهر

على المكدونيين واما اسكندر فسار بجيشه اولاً الهوينا لئلا يخل سلك صفوفه حتى اذا دنا من معسكر العدو اطلق العنان هو ومن معه واسرعوا اسراع الماء المنهمر من شاهق آثرين ان يتلاحموا مع العدو على ان يتعرضوا لنباله وانقضوا على الاعداء يجالدونهم بالسيوف وجهاً لوجه واسكندر في حومة الوغى يعمل سيفه كجندي ويأمر كقائد وولى من بقي من هذه الفرقة مدبرين ولم يتيسر لجميع المكدونيين لحاق الملك بهذه الكرة فاخترقت صفوفهم فامطر اليونان الذين استأجرهم دارا بنبالهم على من بقي من جيش اسكندر في عبر النهر فوقع هناك صريعاً بتلمايس بن سلوقوس ومئة وعشرون رجلاً من اعيان مكدونية وتلظت نار القتال الى ان بددت ميمنة اسكندر من كانوا امامها وفاجأت اليونان المذكورين عن جانبهم فاوقعت فيهم ملحمة وشتت شمل الباقين ووثب فرسان الفرس الذين كانوا عبروا النهر على فرقة التساليين من جنود اسكندر وضايقوهم ولكن لم يلبثوا ان رأوا جيشهم تبدد وذهب الفرس شذر مذر فعاد الانكسار تاماً وظفر اسكندر بيناً فهافت جيش دارا العرمرم على الفرار في تلك المضايق الوعرة فهلك منه جم غفير بارجل الخيل خارجاً عن ساحة الحرب ايضاً واما دارا فمذ رأى التوآء ميسرة جنده عمد الى النجاة بالفرار على مركبته ولما بلغ الحزون في الجبل ترك برفيره وسلاحه وامتطى جواداً ظل يعدو به الى ان حجبه الظلام عن لحاق الظافر الذي اخذ مركبته وكان عدد القتلى من الفرس نحو مئة الف رجل على ما روى اريان ومن المكدونيين ثلث مئة راجل ومئة وخمسين فارساً وكانت هذه الوقعة في الـ ٢٩ من تشرين الثاني سنة ٣٣٣ او سنة ٣٣٢ على قول اخر وقد رواها بلوترك في ترجمة اسكندر واريان وغيرهم

وفي الغد زار اسكندر الجرحى غير مبال بالم جرح كان اصابه في فخذه

وامر بدفن القتلى بمعظم التكريم وخطب مطرياً ما رآه او سمعهُ عن بسالة هولاء الابطال وتوفرت جوائزهُ على من ظهرت شجاعتهُ من جنوده وحكى بعض المورخين انه دخل خباء دارا فسمع بكاء نسوة في الخباء الاخر فقال ما هذا البكاء ومن هذه النسوة فقيل له انهن ام دارا والملكة وبناه وابنه وبعض نساء خواصه سمعن ان برفير الملك وسلاحه بيد الظافر فلم يشككن في انه قضى فاخذن في البكاء فارسل يبشرهن ان دارا حي ويومنهن قائلاً انه لم يحارب دارا لبغضه له بل لينزع منه ملك اسيا وزارهن في الغد ولم يصحبهُ الا افاستيون احد اعوانه المقربين اليه فلم تعلم ام دارا ايهما الملك فخرت امام افاستيون فنبهها من حوله الى غلطها فخجلت فجاملها اسكندر قائلاً لم تغلطي فهذا ايضاً اسكندر

روى بلوترك رسالة لاسكندر يتبين منها انه انقطع بعد ذلك عن زيارة اسرة دارا لئلا يطمح به ميله الى حب الملكة فقد كتب في هذه الرسالة الى برمنيون ليعاقب بالموت بعض الجنود الذين اعتدوا على نساء اعدائهم ما ترجمتهُ اما انا فلا سبيل لاحد ليقول عليَّ اني نظرت او احببت ان انظر الى امرأة دارا بل لم احتمل البتة ان احداً يتكلم في جمالها بحضرتي ، فليتأمل شبان عصرنا ويتعظوا

عد ٣٩٣

اعمال اسكندر في سورية الى حصار صور

زحف اسكندر بجيشه يؤم فونيقي وسورية فلم يلقَ معارضاً الى ان انتهى الى صور فان انخذال دارا الذي كان يلي سورية وتشتيت شمل جيشه اوقع الرعب في قلوب الفونيقيين والسوريين فدان اكثرهم له طائعين وبينما كان في مراتا التي يرجح انها المرقب وردت اليه رسالة من دارا يسمي نفسه فيها

ملكاً ولا يسمي اسكندر كذلك ويطلب اليه ان يأخذ من المال ما شاء على شريطة ان يرد عليه امه وامرأته واولاده وانه اذا اراد فصل النزاع على الملك كان الفصل في وقعة حرب تستوي فيها جنود الفريقين عدداً وان اصغى لرأيه فيشير عليه ان يكتفي بملك اجداده ويعرض عن ملك غيره وانه سيكون معه على اخاء وود وهو مستعد ان يؤمنه ويقبل تامينه له . فسأت هذه الرسالة اسكندر فكتب اليه ما يأتي «من الملك اسكندر الى دارا ان دارا القديم الذي اخذت اسمه انزل الوبال في اليونان المقيمين على شاطي الدردنل وغيرهم من جاليانا ثم اجتاز البحر بعسكر جرار واوقد نار الحرب علينا في مكدونية نفسها وفي سائر بلاد اليونان وكيخسرو بعده اتانا بجيش عرمرم من البربر لينكل بنا فكسر وذعر في حرب في البحر لكن ترك خلفه مردنيوس في بلاد اليونان ينتهب في مدننا ويخرب في قرانا وارضنا وكلٌ يعلم ان ابي فليبوس اغتاله من اغراهم عمالك برغائب كبيرة فانتم الفرس تثيرون حروباً ولا تفكرون اظالمة هي ام عادلة وبينما سلاحكم بايديكم تغرون الآثمة باغتيال اعدائكم فانت نفسك وعدت عما قليل بالف وزنة من يقتلني وانت محتفٌ بجيش عرمرم فانا اذاً ادافع عن نفسي ولست المعتدي ولذلك نصرني الالهة واخذت قسماً كبيراً من اسيا وعليه فوان لم يتوجب لك عليَّ شيء مما تطلبه فان حضرت اليَّ خاضعاً رددت عليك دون فدية امك وامرأتك واولادك فاريد ان اثبت لك اني اعلم ان اظفر واعلم ان احلم على من ظفرت بهم وان خشيت ان تمثل بين يدي فمهدي لك اني ضامن لحياتك واذا كتبت اليَّ مرة اخرى فاذكرنَّ انك لا تكتب الى اي ملك كان بل الى ملكك .

ولما بلغ الغازي جبيل خرج سكانها الى لقائه خاضعين مرحبين به فاماتهم وشكر لهم خضوعهم له ولم نجد ذكراً لبيروت عند هذه الاحداث فلم

يكن لها يومئذٍ ما كان لصور من الاهمية وقد مر في عد ٣٦٩ ان ارتحشستا اوكوس كان خرب صيدا قبل ثماني عشرة سنة وحرق جم منهم نفوسهم في بيوتهم كيلا يتحكم الفرس فيهم وبعد ان قتل اوكوس عائداً الى فارس عاد الى صيدا من نجا من اهلها وجددوا بناء مدينتهم وتأصل فيهم مقت كل ما كان من فارس فما سمعوا باخبار قدوم الغازي الا هبوا جميعاً رجالاً ونساء الى لقائه جبراً على ما جد به من الممانعة لهم ستراتون ملكهم الذي كان محازباً لدارا فانتزع اسكندر الملك منه وامر افستيون نديمه ان يختار من الصيداويين من يراه اهلاً ليملكه

وكان افستيون حالاً في دار شابين اخوين من اوجه اهل البلد عرفا بالفضل والذكاء فعرض الملك عليهما فاباه محتجين بان شريعة مملكتهم تمنع من لم يكن من النسل الملكي ان يرتقي منصة الملك فعجب من ابائهما ما يلتمسه غيرهما بالحديد والنار وقال لا تنفكا عن هذا العزم انتما اللذان كانا اول من ادرك ان رفض الملك اشرف من الحصول عليه ولكن اهدياني الى رجل من النسل الملكي يذكر اذا صار ملكاً انكما زينتما رأسه بالتاج وذكر الاخوان ان كثيرين ممن تولاهم الطمع وتعشقوا المجد سيتزلفون الى اعوان اسكندر بغية الحصول على الملك وهم غير اهل له فقالا لنديم الملك انهما لا يجدان اولى بالملك من رجل اسمه عبدوليم هو من ذرية ملوكهم لكنه فقير الجأته حاجة معيشته ان يشتغل في بستان في ضواحي المدينة فقال النديم استدعياه اليَّ ليملكه الملك فمضوا اليه بالمطارف الملكية فوجداه مشتغلاً بقلع الاعشاب الخبيثة من البستان فحياه تحية الملوك وقال احدهما له انزع عنك هذه الاثواب الاخلاق واتشح بهذه المطارف واحرس وانت فوق العرش على حفظ الفضيلة التي اوصلتك اليه واذا صار في يدك الموت والحيوة فلا تنس الحال التي كنت فيها والاولى

ان يقال التي لاجلها اخترت للملك اما هو فكان يحسب ذلك اضغاث احلام وقال اما تستحيان ان تسخرا مني وتترددياني وكابر على مخالفتهما فنفضا الغبار عنه والقيا عليه البرفير وكررا الايمان على صدق مقالهما واستجراه الى حضرة الملك وذاع الخبر فطرب له الاكثرون وامتعض منه الاغنياء وذوو المطامع ولما مثل امام اسكندر حدَّق به طويلاً ثم قال ان هيئتك لا تخالف ما قيل عن اصلك واروم ان اعلم باي صبر تحملت الفاقة فقال قدرني الالهة ان اتحمل هذا التاج كما تحملتها فيداي كانتا تسدان حاجتي واذ كنت لا املك شيئاً لم يعزني شيء فاعجب جوابه اسكندر فدفع اليه كل ما كان من الاثاث لستراتون سلفه وزاده اشيا مما غنمه من الفرس والحق بمملكته عملاً مجاوراً لها

وكان اسكندر قد ارسل برمنيون الى دمشق ليستحوذ على خزائن دارا التي ارسلها اليها كما مر ولما كان والي هذه المدينة قد يئس من نجاح دارا عمد الى خيانته فكتب الى اسكندر انه سيسلم اليه كل ما كان لدارا في دمشق من دراهم او متاع او آنية ثمينة على انه يروم ان يستر خيانته بتظاهره انه يرسل هذه الاموال الى دارا لعدم طاقته الاحتفاظ بها في دمشق فيلتقي اعوان اسكندر حامليها فيغصبونها من ايديهم فقبض برمنيون الرسالة المنفذة الى الملك واتفق مع الوالي على ما عزم عليه وفي الغد سحراً حمل الوالي خزائن دارا وارسلها مخفورة ببعض الجنود وهو يصحبهم ولما رأى هولاء جنود برمنيون اظهروا ان الرعب اخذ فيهم كل مأخذ فتركوا تلك الخزائن وولوا مدبرين وكان الوالي اول الفارين وقد حوت من الذهب والفضة والآنية والحلى والحلل الثمينة ما يشذ عن العد والوصف فضلاً عما كان لبعض اعيان الفرس الذين كانوا في دمشق وخرجوا منها عند اخراج خزائن الملك فوقعوا في يد جنود اسكندر

عد ٣٩٤

في حصار اسكندر صور وفتحها

سار اسكندر بجيشه من صيدا الى صور وكانت هذه المدينة ما برحت على منعتها متوفرة السكان عظيمة الثروة منبسطة الصولة يؤمها الناس من كل صقع للتجارة وقبل ان يبلغها اسكندر ارسل الصوريون اليه وفوداً وهدايا له ومرطبات لجنوده قائلين انهم يحبون ان يتخذوا الغازي صديقاً لا مولى فقال اسكندر للوفد انه يريد ان يدخل مدينتهم ليقدم ضحية لمعبودهم فانكروا عليه سؤاله وساءه انكارهم وصرح بعزمه ان يحاصر مدينتهم فتأهبوا هم للدفاع وكان معظم ابنية صور في جزيرة تبعد عن اليابسة اربع غلوات ولها سور ارتفاعه مئة وخمسون قدماً وكانت عمدة من القرطجنيين وقتئذٍ في صور اتوا على عادتهم يقدمون التقادم لهرقل لانهم جالية من الصوريين فوعدوا اهل وطنهم القديم بانجادهم اذا مست الحاجة فزادهم ذلك اصراراً على المدافعة وملأوا اسوارهم وابراجهم من ادوات حربهم وسلحوا شبانهم وطرق صناعهم ايدي من حديد يلقونها على العدو او على ادواته فتجرها وكان اسكندر يرى ان لا بد له من فتح صور ليتيسر له فتح مصر ولئلا يجرئ دارا على تجديد المغالبة له ويفسح مجالاً للصوريين ليضموا اسطولهم الى اسطول الفرس ويستحوذ اعداؤه على مدن الشواطي ويتصلوا الى بلاد اليونان فينكلوا بها وتفوته ثمرة انتصاره وتدور الدوائر عليه فصمم على حصار صور ولو حال دون الفتح اعظم الاهوال والمصاعب

وكان الدنو من الجزيرة لمهاجمتها مستحيلاً الا ان يُضع سد يوصلها باليابسة وكان دون هذا الصنيع مصاعب لا يقوى على ازالتها ومنها ان الدبور (الريح الغربية) تهب عاصفة في البحر ثمه فيقلع التيار كل ما يكون القى في البحر

والامواج تلطم المدينة من كل صوب فلا تمكن من الدنو منها او من وضع سلالم يتسلق بها على اسوارها على ان بسالة اسكندر لا تثنيها مصاعب ولا عقبات ومع هذا حاول ان يسترضي الاهلين فبعث منادين ينذرونهم بشر العاقبة ويستدعونهم الى السلم والامان فقتلهم الصوريون عن اخرهم فضاق ذرع اسكندر عن تحمل هذه الاهانة وامر للحال بعمل السد ووجد في اخربة صور القديمة (التي كانت على شاطي البحر) من الحجارة ما يتكفل بردم البحر هناك وفي لبنان ما يكفيه مؤونة الاخشاب اللازمة وتولى اسكندر بنفسه النظارة على الردم فكان حضوره يحمل جنوده على العمل دون كلل ولا ملل وهو خبير بكسب النفوس خبرته بفنون الحرب فجمع مسعاهم اولاً لقربهم من البر وبعدهم عن المدينة ولكن كانوا كلما تقدموا في البحر ازدادت المصاعب لعمق البحر ولرمي اهل المدينة لهم بالنبال من اعلى الاسوار ولما لم يكن لهم معارض في البحر كانوا يتقدمون بزوارق الى جانبي السد يخربون ما بنى ويعيقون العملة ويسخرون من المكدونيين قائلين ما احسن ان نرى هولاء الغزاة الطائر صيتهم في العالم يقلون الحجارة على ظهرانهم كدواب الحمل . ولما ظهر السد فوق الماء كانوا يرسلون زوارق فيها رماة بالمقاليع والحراب فتحدق هذه الزوارق بالسد وتمطر على العملة نبالاً وحجارةً فتدمي كثيراً من العملة ويضطرون ان ينكفوا عن العمل ليتفرغوا للدفاع عن انفسهم الى ان اهتدوا الى نشر جلود وستائر تقيهم النبال واقاموا برجين من خشب في صدر السد لمنع العدو من الدنو منه

وخرج بعض الصوريين الى البر من حيث لا يراهم المكدونيون فوقعوا على ناقلي الحجارة فقطعوهم ارباً ووجد بعض الجليين شرذمة من عساكر اليونان اضلت طريقها فقتلوا منهم ثلاثين واسروا ثلاثين فاضطر اسكندر ان يفرق جنوده في مواقف عديدة صيانة لهم ولم يغفل المحاصرون حيلة في منع

اسكندر عن اتمام سده من ذلك انهم اخذوا سفينة من سفائن التجارة وملأوها من الزرجون وغيره من المواد اليابسة الخفيفة ووضعوا بينها كبريتاً وزفتاً وغيرهما من المواد السريعة الالتهاب واقاموا صاريين علقوا بكل منهما مرجلاً كبيراً مملوءاً زيتاً واثقلوا مؤخر السفينة بحجارة ورمل ليرتفع مقدمها وتحينوا مهب ريح يلائم مأربهم وسيروا سفينتهم وحولها زوارق عديدة ولما دنوا من السد اضرموا النار وقذفوا سفينتهم عليه فتسعرت النار وكان الزيت ينصب عليها من المراجل فتزداد تأججاً حتى احرقت الابراج وكل من كان ثمه على السد وكانوا اي الصوريون يرمون المكدونيين من الزوارق بالنبال والحجارة فقتلوا واحرقوا منهم كثيرين ورمى بعضهم نفوسهم بالماء لينجوا سابحين فتهافت الصوريون عليهم يضربونهم بالحجارة والعصي حتى كسرت او شلت ايديهم فاخذوهم اسرى وخرج اخرون من المدينة بزوارق فخربوا في جانبي السد واقتلعوا الاوتاد واحرقوا الادوات

فلم توهن هذه الخسائر والنوازل عزم اسكندر واعاد ما تردم الى حاله الاولى وجدد جنوده آلاتهم وضاعفوا جدهم وكدهم حتى كاد السد يماس جدران المدينة بسرعة ادهشت الاعداء ولكن ثارت ريح عاصفة وتلاطمت الامواج على السد تلاطماً عنيفاً فانحلت ربطه وتخلل الماء بين الحجارة فخرقت في وسطه وتداعى البناء من الجانبين وسقط في البحر . ولو كان المحاصر غير اسكندر لفشل وقنط لا محالة واضرب عن هذا الحصار على انه كان ذا قلب تحسبه من حديد وذا عزيمة لا تثنيها الشامخات الرواسي فلم ييأس وهم بتعزيز قوته بوسيلة اخرى وفكران لا مطمع له في اتمام سده او فتح المدينة ما دام الصوريون يضبطون البحر عليه فجمع ما كان باقياً له من السفن في صيدا واتاه اذ ذاك ملك ارواد وملك جبيل بسفاينهم والحق بذلك سفن صيدا فكان جميعها ثمانين

سفينة ووافاه وقتئذٍ ايضاً عشر سفن من رودس وثلاث عشرة سفينة من غيرها من الجزر وبلغ ملوك قبرس انكسار دارا واستئصال امر اسكندر فاتوا اليه ومعهم مئة وعشرون سفينة واتته نجدة من المورة اربعة الاف مقاتل فنزل اسكندر من صيدا في هذا الاسطول مصحوباً ببعض جرسه ميمماً صور فخاف الصوريون وجمعوا سفائنهم في مرافئهم خشية ان يتصل اسكندر اليها وهو لما رأى ذلك لم يشأ ان يقتحم المرفاء الذي من جهة صيدا بل رمى اناجر اسطوله في جانب السد وجد عملته في اتمامه وكان الصوريون يفرغون جدهم بكفهم عن العمل فلم يقووا على بسالة المكدونيين وتجلدهم الى ان بلغ السد غايته ونصب اسكندر عليه ادوات حصاره ومناجيقه واخذ جنوده يرمون المدينة بالحجارة والنبال والمواد المحرقة وارسل اسطول قبرس فضبط مدخل المدينة من جهة صيدا واسطول فونيقي رسى تجاه مرفاها من جهة مصر . اما الصوريون فاقاموا ابراجاً رفيعة متينة فوق اسوارهم من جهة السد وطرحوا صخوراً ضخمة في البحر بجانب سائر اسوارهم تمنع الدنو منها وكانوا يخرجون بزوارقهم فيقطعون حبال المراسي المعلقة بها سفن اسكندر فاقام هو في البحر مترسة من السفن جعل في كل منها ثلاثين مجذافاً تحمي باقي السفن من سطو العدو وربط سفنه الاخرى بسلاسل من حديد وعمد الى آلات ترفع تلك الصخور من جانب الاسوار وتلقيها في البحر حيث لا ضرر منها حتى تمكنت سفنه من مماسة الاسوار وشد القتال على المدينة من كل صوب برّاً وبحراً وامر جنوده ان يهجموا على المدينة نصف الليل من كل جهة فيئس الصوريون واشكل عليهم ما يعملون والا عصفت ريح شديدة فحطمت بعض السفن وعرقلت باقيها عن العمل واعاقت الفتح

وبلغ وفود قرطاجنة الى صور حينئذٍ ولم يكونوا الا ثلاثين رجلاً فاعتذروا

للصوريين عن القيام بوعدهم اياهم بنجدة لان السيراكوسيين اثاروا عليهم حرباً عواناً فعول الصوريون على ان يرسلوا نساءهم واطفالهم الى قرطاجنة ليتفرغوا للدفاع ووثبوا على حين غفلة على اسطول قبرس الذي كان يحرس المعقل من جهة صيدا ففرقوا بعض سفنه وقذفوا بعضها الى الشاطي فتداركهم اسكندر وغرق بعض سفنهم واستنزلهم الى حرب بحرية انتصر فيها عليهم واخذ بعض سفنهم وغرق بعضها ومنعته النبال دخول المعقل واراح اسكندر جنوده يومين وعاد الى القتال وكان اشد من كل ما تقدمه فاقتتل الفريقان كانهم اسود وكانت الحرب اولا سجالاً الى ان فتحت مناجق اسكندر منفذاً في الاسوار تسلقت منه فرقة من الجنود يرأسها ادمت رجل من اشجع قادة المكدونيين وقد قتل حينئذٍ وصعد اسكندر الى برج رفيع ملاصق اسوار المدينة وعرف الاعداء انه الملك فكان هدفاً لاسهمهم وكان هذا من اعظم ايات بسالته وقتل بنباله كثيرين من حامية السور ثم دنا منهم وكان يجندل بعضاً في ازقة المدينة او في البحر بضربات سيفه وبعضهم بلكم مجنه ثم عبر الى اسوار المدينة وتبعه اعيان جنده واستحوذ على برجين وفتحت المناجق منافذ اخرى فدخل بها بعض المكدونيين وافتتح العسكر البحري المعقل وتولى برجين فانكفأ الصوريون عن الاسوار وتالبوا في ساحة اجينور في وسط المدينة فتبعهم اسكندر بفرقة حرسه فتتل بعضاً وهزم الباقين فافتتحت المدينة وانتشر المكدونيون في شوارعها ففر بعض الصوريين الى الهياكل يستجيرون بالالهة وبعضهم دخلوا بيوتهم فاحرقوا نفوسهم فيها وبعضهم كانوا يسطون على الجنود كيلا يبيعوا حياتهم بثمن بخس وصعد بعضهم على السطوح يرمون كل مار بحجارة او غيرها فامر اسكندر ان ينهبوا المدينة ويحرقوها ولا يستبقوا الا من لجأوا الى المعابد وبعث منادين يذيعون امره هذا في كل محل ومع هذا لم يلجأ الى المعابد الا البنات والاحداث

الذين بقوا في المدينة وكان بعض رجال الحرب يقيمون على ابواب بيوتهم متوقعين فتك الجنود بهم وكان الصيداويون دخلوا المدينة مع جنود اسكندر فانجوا من الصوريين كثيرين لاتصال نسبهم بهم فالصوريون جالية من صيدا فانزلوهم في سفنهم وارسلوهم الى صيدا وكان عدد هولاء الناجين نحو خمسة عشر الفاً ومن هذا يتبين وفرة عدد القتلى فقد وجد على الاسوار نفسها نحو من ستة الاف قتيل وبقي الفا رجل كفّ الجنود عن قتلهم فعلقهم اسكندر على صلبان على طول الشاطي وعفا عن القرطجنيين الذين كانوا اتوا صور على عادتهم لتقدمة الضحايا لهرقل وقدم اسكندر الضحايا لهذا المعبود على عادته المستمرة ان يقدم الضحايا لالهة كل بلاد وصلها ودام حصار صور سبعة اشهر بدىء فيه في شباط وافتتحت في اب سنة ٣٣٢ (ديودر الصقلي ك ١٧ اربان ك ٢ وبلوترك في ترجمة اسكندر)

وتمت بذلك نبوات الانبياء على صور فقد تنبأ حزقيال (فصل ٢٦ و ٢٧) على تدمير بختنصر لها وقد ذكرنا ذلك في عدد ١٢٧ فطالعه ثم جُدد بناؤها وكثر سكانها وعادوا الى خيلائهم وترفهم وفحشائهم ولم يتعظوا بما احله الله بهم بواسطة عاهل الكلدان فاتاح الله لهم هذا العقاب على يد اسكندر وقد كان اشعيا تنبأ بذلك في الفصل الـ ٢٣ من نبوته ومما قال . ولولي يا سفن ترشيش (التي كانت صور ترسلها الى اسبانيا) فقد دمرت حتى ليس بيت ولا مدخل من ارض كتيم (وهي بلاد اليونان) اخبر بذلك . اندهشوا يا سكان الجزيرة التي كان تجار صيدون وعابروالبحر يملأونها . . عند سماع مصر بالخبر يرتاعون عند سماعهم بخبر صور . . . من أتمر بذلك على صور التي تتوج الملوك وتجارها امراء ومتكسبوها كرام الارض . رب الجنود هو ائتمر بذلك ليذل كل فخر . . . وقال لا تعودين تفتخرين ايتها المنهتكة العذراء بنت صيدون

قومي الى كتيم اعبري هناك ايضاً لا راحة لك ، ويذكرها النبي بشال بابل التي عظمت اكثر منها ومع ذلك دمرها الرب فقد قال « ها هي هذه ارض الكلدانيين قد اقاموا بروجهم دمروا قصورها فجعلت خراباً وفي ذلك اليوم تنسى صور سبعين سنة (المراد المدة التي تبقى فيها صور خربة بعد تدمير اسكندر لها وبعد السبعين سنة يكون لصور مثل اغنية الزانية خذي الكنارة وطوفي في المدينة ايتها الزانية المنسية ... وبعد السبعين سنة يفتقد الرب صور فتعود الى مؤاجرتها فتزني مع جميع الممالك المسكونة (اي ان صور تعود مأهولة بعد السبعين سنة وترجع الى تجارتها وعشوها في الارض الى ان يأتي المخلص فتؤمن به) وتصير تجارتها ومؤاجرتها قدساً للرب »

فقد آمن اهلها بالمسيح منذ صدر النصرانية وقال النبي ذكريا (فصل ٩ عدد ٣ وما يليه) قد بنت صور حصناً لها وكثرت الفضة كالتراب والذهب كطين الشوارع هوذا السيد يمتلكها ويضرب في البحر قوتها فتوكل بالنار فترى اشقلون فتخاف وغزه فتوجع جداً ، واذ كان اسكندر متشاغلاً بفتح صور وردت اليه رسالة اخرى من دارا يسميه فيها ملكاً ويقدم له عشرة الاف وزنة (قدرها رولان بثلاثين مليون فرنك) فدية للاميرات المسبيات ويعده ان يزف اليه ابنته ساتيرا لتكون زوجة له ويترك له ما فتحه من البلاد الى الفرات وذكره بان الحظ لا يثبت على حال والمع الى وفرة الجيوش التي ما زالت في حوزته وان لا يحسب عبور الفرات ودجلة امراً يسيراً ، فعقد اسكندر لجنة مشورته فقال برمنيون لو كنت اسكندر لقبلت هذه التقدمة فقال له اسكندر انا ايضاً لو كنت برمنيون لقبلتها وكتب الى دارا ما خلاصته ، ان لا حاجة له الى مال دارا وانه لم يكن يحسن به ان يقدم ما خرج عن حوزته وان يطلب قسمة ما قد اضاعه وانه ان كان يجهل ايهما والي البلاد فليستوضح ذلك بوقعة ولا

يطمع بان يربح بانهزه من عبر بحورًا عديدة وانه سيتبع اثاره الى حيث يفر ، فلما بلغ دارا هذا الجواب يئس من الوفاق بينهما واخذ يستعد للقتال

﴿ عد ٣٩٥ ﴾

ذهاب اسكندر الى اورشليم

ان انكباب الصوريين على التجارة اغفلهم الزراعة فكانوا يشترون مونيم من الجليل والسامرة واليهودية ولما حاصر اسكندر صور الجئ ان يستجلب ازودة جيشه من هذه المحال وبعث اليها شراذم من جنوده تخضع اهلها وتكرههم على تقدمة النفقات فابى اليهود الامتثال قائلين انهم اقسموا يمين الامانة لدارا فلا يسعهم ان يخلفوها ما دام حيًا اما السامريون فانقادوا لامره ولبوا دعوته وزادوا على ذلك انهم ارسلوا ثمانية الاف رجل لانجاد جنوده في حصار صور فاستشاط الملك على اليهود وعزم ان يجزيهم شر الجزاء وروى يوسيفوس في تاريخ اليهود (ك ١١ ف ٨) ما مر وقال ان ان يدوع عظيم الاحبار حينئذٍ علم حنق اسكندر على اليهود فلجاء الى الله وفرض على الشعب صلوات وقدم ضحايا وظهر الله له في الحلم وامره ان يفتح ابواب المدينة ويزين شوارعها بالزهور والرياحين وان يخرج لقاء اسكندر هو وسائر الكهنة بملابسهم الحبرية البيضاء وان لا يخشوا هذا الغازي لانه يكون لهم نصيرًا فقص يدوع على الشعب الحلم الذي رآه اقبل الغازي خرج هو وسائر الكهنة والشعب الى لقائه بمعظم الاحتفاء وكان من انضم الى جيش اسكندر من الفونيقيين وغيرهم يحسبون الملك يبيحهم نهب اورشليم ويفتك بعظيم الاحبار جزاء لعصيان اليهود اوامره فكان العكس لان الغازي لما رأى هذا الجم الغفير وفي مقدمته رئيس الاحبار وعلى رأسه التاج وعصابة من ذهب كتب عليها اسم الله ويحفه الكهنة بملابسهم البيضاء تقدم اسكندر وحده فسجد للاسم الكريم وحيا عظيم الكهنة قبل ان يحييه احد فاجتمع اليهود

حينئذٍ حول اسكندر وجأروا الى الله بالدعاء ليوليه كل توفيق فتعجب ملوك سورية واعوان الملك اجمع من صنيعه وقال له برمينيون كيف تسجد لحبر اليهود انت الذي يسجد لك العالم كله فاجابه اسكندر لم اسجد للحبر بل للاله الذي هو خادمه لاني لما كنت في مكدونية افتكر باية ذريعة اتوسل لفتح آسيا ظهر لي في الحلم متشحاً بمثل هذه الملابس وامرني ان لا اخاف وان اعبر الدردنل ووثقني بانه يحرس جيشي ويكسبني مملكة الفرس ثم عانق الغازي عظيم الاحبار وسار توًّا الى الهيكل حيث قدم الذبائح كما كان يرشده عظيم الاحبار الذي اطلعه على نبوات دانيال المؤذنة بان ملكاً يونانياً يقرض مملكة الفرس وحقق له انه هو الملك الذي جأت النبوة به فطرب اسكندر لذلك كثيرًا وجمع في الغد رئيس الاحبار والشعب وامرهم ان يسالوه ما شأوا لينعم عليهم به فساله يدوع ان يطلق لشعبه ان يعيشوا بحسب شرائع آبائهم وان يعفيهم من الجزية سنة في كل سبع سنين لانهم لا يستثمرون ارضيهم فيها فاجاز لهم ذلك ثم اوصاه الحبر باليهود المتوطنين في بابل ومادي ليطلق لهم ايضاً ان يعيشوا بحسب شرائعهم فاطلق لهم ذلك وقال اذا شاء بعضهم ان يتجندوا في جيشي فابيحهم ان يحفظوا دينهم ويعملوا بعاداتهم فدخل في جنديته كثير منهم

وسار اسكندر من اورشليم ميمماً غيرها من المدن المجاورة لها ففتحت له ابوابها وطلب اليه السامريون ان يحل في مدينتهم وان يشرف هيكلهم في غريزيم كما صنع لهيكل اورشليم فقال انه سيمضي الى هناك عند عودته وسألوه ان يعفيهم من الخراج في السنة السابعة فسألهم من اية امة انتم قالوا عبرانيون فقال ايهود انتم قالوا لا فقال لا اعفي من ذلك الا اليهود ومع هذا سوف انظر في الامر عند عودتي فاذا وقفت على الحقيقة امرت بما رأيته

عادلاً وصرفهم وقال لجنودهم ان يتبعوه الى مصر فيعطيهم ارضاً وكذلك نراه صنع بعدًا فانه اقامهم حرساً في الصعيد . انتهى ما رواه يوسيفوس . قال الاب فيكورو (في معجم الكتاب في كلمة اسكندر) ان رواية يوسيفوس هذه لم ترد في الاسفار المنزلة ولا في التواريخ العالمية ولكن تؤيدها التقليدات اليهودية والسامرية وذكر كثير من العلماء والمؤرخين الذين ايدوها الى ان قال « مهما يكن من الاحداث التي ذكرها يوسيفوس مفصلة فمما لا ريب فيه ان الغازي ادخل بعض اليهود في جنديته روى ذلك هيكاتا واورد يوسيفوس قوله في رده ابيون (ك٢ فصل ٢٢) ولا ريب ايضاً في انه كان في الاسكندرية التي بناها اسكندر جم غفير من اليهود ولا اقل من ان نقول ان الرعاية والرفق اللذين ابداهما خلفاء اسكندر الاولون لليهود ليسا الا نتيجة سياسة اسكندر ومتابعة خلفائه له بهما . قلنا وقد قال كثيرون من مؤرخي العرب ان اسكندر اكرم اليهود ومنهم ابو الفدا فانه قال (في مجلد ١ صفحة ٤٧) « ومر اسكندر في طريقه على بيت المقدس واكرم بني اسرائيل »

﴿ عد ٣٩٦ ﴾

﴿ فتح اسكندر غزه ﴾

قد انتهى اسكندر في مسيره الى غزه فلقي فيها حرساً غفيرًا يتأمر عليهم باتيس احد خصيان دارا وكان كمياً اميناً لمولاه وقد ذب عن مدينته مبدياً آيات البسالة فلم يتسن لاسكندر فتحها الا بعد مضي شهرين على حصارها العنيف وقد اصاب اسكندر وقتئذٍ جرحان وحملته ثورة حنقه على ان يعامل باتيس وجنده واهل مدينته بقسوة عظيمة لا معذرة له فيها فابسل بحد السيف الفي رجل وباع البقية ونساءهم وصغارهم ولما اتوه بباتيس مأخوذا في حومة الوغى ومضرجاً بدماء جراحه لم يقدر شجاعته حق قدرها ولم يلطف به بل

انتهره قائلاً انت لا تموت كما تتمنى قهياً لتحمل برحاء العذاب الذي يخترعه التائر فنظر باتيس الى اسكندر نظرة مزدرٍ ولم يفه بكلمة فازداد حنق الملك لصمته وقال هاكم هذه الجسارة فهل حنى ركبته او برزت من فمه كلمة موذنة بالخضوع لأُذيقنه مرّ العذاب على هذا الصمت المهين واذا لم استنطق فمه بكلمة فاستطقه بالزفرات وتنفس الصعداء ويظهر انه كان كما علا شانه سأت اخلاقه لانه ثقب عقبه بين العرقوب والعظم وادخل فيه حبلاً شده الى عجلة وجره حول المدينة حتى قضى وكان يتفاخر بانه اقتدى باشيل الذي هو من سلالته اذ صنع مثل ذلك بجثة هوكتور مجرداً لها حول اسوار ترويا كما ذكر اوميروس

وقد ارسل اسكندر اكثر ما غنمه في غزه الى اولمبيا امه وقلوبطرة اخته والى بعض اصحابه واهدى الى لاونيداس حاكم مكدونية خمس مئة قنطار (القنطار مئة ليبرا) من البخور وخمس مئة قنطار من المر متذكراً امراً كان وقع له في حداثته مع لاونيداس وهو ان هذا الحاكم رأى اسكندر يوماً عند تقدمة الذبائح ياخذ من البخور ملء راحتيه ويلقيه في النار فقال له اذا فتحت البلاد التي تستجلب هذه الطيوب منها فيكون لك ان تبذر ما شئت منها واما الآن فاحرص على ما يوجد منها فكتب له اسكندر حينئذٍ «اني مرسل اليك شيئاً كثيراً من البخور والمرّ كيلا تضن بشيء على الالهة» وترك اسكندر حامية في غزه وزحف بجيشه الى مصر

عد ٣٩٧

استسلام مصر الى اسكندر وبنائه الاسكندرية

بلغ اسكندر في اليوم السابع من سفره من غزه الى بالوس وهي المسماة اليوم فرما اوطينة (طالع عد ١٠٠) وكان مقت المصريين للفرس شديداً لما انزلوه بهم من التنكيد والضيق والاحتقار لالهتهم ايضاً وكانوا يهوون خلع نير

ولا يتهم اياً كان المالك بعدهم ولذا لما ظهرت طلائع جيش اسكندر في تخومهم اسرع جم غفير منهم لملاقاته مجاهرين بالطاعة لسلطانه فسار بهم الى منف عاصمة مصر يومئذٍ ولما رأى مازاي واليها من قبل دارا ان لا وسيلة له للمدافعة ولا رجاء بان مولاه ينجده فتح ابواب العاصمة للغازي واستسلم اليه ودفع اليه ثماني مئة وزنة وهي عبارة عن اربعة ملايين واربع مئة الف فرنك فكانت مصر غنيمة باردة لم يلقَ فيها مقاوماً

وهمّ اسكندر ان يمضي من منف ليزور هيكل يوبيتر (المشتري) عمون الكائن في صحارى افريقيا على مسافة اثنتي عشرة مرحلة من منف وهذا المعبود يسميه اليونان ذأوس المشتري والمصريون عمون الى ان تغلب عليه الاسمان اي المشتري وعمون وكان قدماء المصريين انشأوا له هذا الهيكل ومجلوه واغنوه بتقادمهم ونذورهم وكان غرض اسكندر في هذه الزيارة استرضاء المصريين وقد قرأ في كتب اوميروس وغيرها ان اكثر الابطال القدماء كانوا يتباهون بانهم ابناء احد الالهة ومن اقوال ارسطو استاذه « ان الملك السامي الذكاء اله بين البشر » فاحب ان يتفاخر بهذا النسب تعظيماً له في اعين مسوديه في وادي النيل وعلى شاطي الفرات ودجلة اذ كان كل من ملوك هولاء يدعى انه ابن احد الالهة وعليه فارسل يرشي كهنة هذا الهيكل لينولوه بغيته وسار معرضاً نفسه وجنوده لاخطار ومهالك في تلك الصحارى الجرداء المحرقة لا تلويه عن عزمه نصائح خلانه ولا مشورات قواده الى ان انتهى الى هذا الهيكل فحقق له اقدم كهنته انه ابن المشتري وان الاله نفسه يسميه بهذا الاسم فتقبل هذا الاسم بالمسرة واقر بان المشتري ابوه وسأل الكاهن هل كان المشتري ابوه قد قيض له الاستيلاء على العالم كله فاجابه أنه سيملك البسيطة كلها ولا ينفك ظافراً الى ان يحصى في مصاف الالهة

فقدم اسكندر ضحاياه وتقادمه النفيسة لهذا الهيكل وطفق منذ حينئذٍ يكتب في رسائله واوامره « اسكندر الملك ابن المشتري عمون »

وقد كان عند مروره في ساحل البحر تجاه جزيرة فاروس شاهد محلاً يصلح لان تكون فيه مدينة كبرى فخطط اسسها وعين فيها محال الهياكل والساحات ووكل بنأها الى ديفوكرات المهندس الذي اشتهر بتجديد بناء هيكل ديانا في افسس بعد احتراقه وسماها باسمه اسكندرية وبعد عوده من هيكل المشتري تعهد مبانيها واستأتى اليها السكان من كل قطر ميسراً لهم الاقامة والاتجار فيها واستدعى اليها كثيراً من اليهود مبيحاً اياهم ان يدينوا بدينهم ويعملوا بشريعتهم وجعلهم اسوة المكدونيين الذين اقامهم فيها وانشأ فيها لكل امة هيكلاً تعبد فيه الهتها ولم ينقضِ زمان الا واصبحت اعظم مدن المشرق لموقعها على ساحل البحر المتوسط وقربها من مصب النيل والبحر الاحمر وصارت محطة للتجارة بين المغرب والمشرق وخلفت صور في عظمة تجارتها ومضى اسكندر منها الى منف يقضي ما بقي من فصل الشتاء واقام على مصر واليين وطنيين لادارة المهام المدنية وعهد بقيادة الجنود الذين تركهم فيها الى قادة مكدونيين خشية الانقلاب عليه

عد ٣٩٨

عود اسكندر من مصر لمحاربة دارا ووقعة اربيل

قد سر اسكندر باخبار كتبت اليه منبئة بعود ساقس وكوس ولسبوس من جزر اليونان الى الاتحاد مع المكدونيين وانه لم يبقَ اسطول للفرس في بحر الروم الاوامسى في حوزة الغازي فاطمأن الى انه لم يعد في الجانب الغربي من المملكة من مناوٍ او معارض له وانه حان الحين لملاحقة دارا وقرض ملكه والاستيلاء على الجانب الشرقي من مملكة الفرس فنهض بجيشه من مصر الى

صور واقام فيها الملاعب وقفاها بالذبائح للآلهة وكان قبل سفره الى مصر ولى اندروماك على سورية فاتي يوماً السامرة لاصلاح بعض الشؤون فثار عليه السامريون واحرقوه في البيت الذي دخله ربما ذلك لان اسكندر ضن عليهم بما جاد به على اليهود فحنق اسكندر عليهم وامات كل من اشترك في هذه الفعلة القبيحة وطرد الباقين من السامرة واقام مكانهم جالية من المكدونيين ووهب بعض ارضهم لليهود وعرض حينئذٍ ان ادركت الوفاة ملكة دارا فعظم الاحتفاء بدفنها وبالغ في تعزية آلها وفر احد خصيانها الى دارا فاعلمه بموتها وبما ابداه اسكندر من الحفاوة بدفنها فتاسى ولكن خامره ريب في عفافها من قبل الملك الشاب فخلا بالخصي وسأله مستحلفاً اياه بايمان معظمة عما اذا كانت الملكة لم تضع شرفها قبل حياتها فقص الخصي على دارا ما حمله على العجب من ادب اسكندر وعفته فرفع يديه الى السماء مبتهلاً الى الآلهة ان يحفظوا مملكته واذا قيضوا ثل عرشه فلا يجلس غير اسكندر على عرش كورش

وقد سار اسكندر بجيشه من صور مجتازاً في سهول البقاع وبعلبك وحمص وتدمر وانتهى الى تبسك على الفرات فعبر هذا النهر على جسر وتطرق الى دجلة فتيسر له عبوره لقلة مائه اذ كان ذلك في اواخر شهر ايلول ومن حسن طالعه ان الجنود الذين ارسلهم دارا لضبط معابر النهر عليه ابطأ قدومهم فلم يتداركوه واقام اسكندر بجيشه يومين على عدوة النهر اراحة لجنده وطلب دارا الصلح مرتين فلم يجبه اسكندر اليه وارسل اليه اخيراً عشرة رجال من اخص اقربائه يشكر له حسن معاملته ويعرض عليه شرائط اخرى للصلح افضل من الاولى فاجابهم اسكندر « قولوا لمولاكم لا محل للشكر بين قوم تعمدوا الحرب واذا كنت عاملت آله بالرقة واللطف فلم اصنع ذلك حباً به بل حباً

بنفسي فلا اروم الانتقام من الاسرى والنساء بل ممن حملت ايديهم السلاح ومن حيث انه لم ينفك يغري جنودي برسائله وماله ويحضهم على خيانتي وقتلي فقد عزمت على لحاقه والتنكيل به لا بمنزلة عدو محارب بل بمنزلة مغتال وسامّ وانيّ يصالحني على ما ملكت يدي فان اكتفى بان يكون الثاني بعدي لاسوياً لي ربما سمعت له وانبئوه ان العالم لا يتحمل شمسين ولا مولين وعليه فليختر اما الاذعان اليوم او الحرب غداً ولا يؤملن اليوم حظاً احسن من حظه في ما مضى . فخطاب دارا مشعر بضعفه وجواب اسكندر مؤذن بخيلائه وصلفه

وزحف اسكندر بجيشه نحو معسكر دارا فاقبل عليه مساء فاشار عليه برمينيون ان يباغت العدو ليلاً فاجابه على مسمع الجند لا يليق باسكندر ان يسترق الظفر . وخشي دارا المفاجأة له فقضى جيشه ليلهم وسلاحهم بايديهم اما اسكندر فأرق في اول ليله ثم استرق في نومه حتى عجب جنوده واتاه برمينيون يوقظه ويبدي له عجبه من رقاده مطمئناً في يوم هائل فاصل حظ العالم فاجابه لِمَ لا انام مطمئناً والعدو مقبل مستسلم الينا ، ثم اخذ سلاحه وامتطى جواده وجال بين صفوف جيشه وبشر وجهه يبشر بالظفر واخذ يحض جنده ان يحافظوا على مجد كسبوه ويزيدوا عليه فخراً تخلده لهم الايام وكان بين عداد الجيشين بون كبير فكان جيش دارا لا اقل من ست مئة الف راجل واربعين الف فارس وقال بعض المؤرخين انه كان ينيف على مليون من الرجال واما جيش اسكندر فكان اربعين الف راجل وسبعة او ثمانية الاف فارس . ولكن كان في جيش دارا كثير من السوقة وغير المدربين وجنود اسكندر كلهم من الكماة المحنكين

وقد تسعرت نار الحرب في الثاني من شهر تشرين الاول سنة ٣٣١ ق م

وكان اسكندر في ميمنة جيشه وبرمينيون في ميسرته واتخذ دارا موقفاً تجاه اسكندر وكانت الحرب اولاً سجالاً وكان للفرس عجلات يشدون اليها مجاز اطلقوها على جيش المكدونيين فامطر هولاء النبال واكثروا من قعقعة السلاح حتى ندت الخيل وعادت على الفرس فاضرت بهم اكثر من ضرها باعدائهم وامر اسكندر قائد فرسانه ان يقتحم فرسان الفرس فوثب عليهم وخرق صفوفهم فاتبعه اسكندر محفوفاً بفرسانه واصبح في وسط الاعداء واشتد الطعان وكان دارا في مركبته واسكندر على جواده فعاجل حامل سلاح دارا بضربة صرعه بها وظن الفرس والمكدونيون ان دارا قتل وفر اقاربه الذين كانوا على يسراه ولكن تداركه من كانوا على يمناه وجعلوه في وسطهم وخجل من الهزيمة فاستمر بين أمل ويأس وعاودت النخوة بعض جنوده فاشتد القتال بل اصبح مذبحة وعراكاً الى ان تغلب المكدونيون ففر دارا وتتبع اسكندر آثاره وانجلى الظفر في الميمنة واما في الميسرة التي كان يقودها برمينيون فتفاقم الخطر لان شرذمة من فرسان الفرس والهنود اخترقوا صفوف الفرسان المكدونيين واتصلوا الى محل الاسرى فسلح هولاء كل بما وصلت يده اليه وانضموا الى فرسان الاعداء وتهافتوا على المكدونيين الذين امسى القتال عليهم من امامهم ووراءهم وارسل برمنيون يعلم اسكندر بما حل به من الخطر فهب راجعاً عن لحاق دارا لينجد ميسرته فالتقى بفرسان الاعداء وقد انتهبوا ما كان في المعسكر فاشتد العراك بين الطرفين فقتل من حرس اسكندر نحو من ستين فارساً لكنه استظهر على اعدائه ودروا ان دارا انهزم وجنوده ولوا الادبار فتشتت شملهم ولحقوا برفقائهم وتتبع برمينيون اثرهم فاتكاً بهم ثم عاد اسكندر وبرمينيون من ملاحقة دارا الى اربيل فوجداه زايلها تاركاً خزائنه وسلاحه فانقرضت بهذه الحرب دولة الفرس وقال اريان انه قتل بهذه الحرب

من الفرس نحو من ثلاث مئة الف رجل وقال غيره ان عدد القتلى مئة وثلاثون الفاً وقال بعضهم تسعون الفاً وغيرهم اربعون واما جيش اسكندر فقتل منه الف ومئتا رجل اكثرهم من الفرسان على ما قال اريان المذكور . وقد وجدت في ايطاليا صفيحة تعرف الان بصفيحة كيجي مثلث فيها امرأتان تحمل كل منهما بيدها دائرة صوّرت فيها حرب فرسان وتريق باليد الاخرى دم ضحية على مذبح زين بصور فالامرأتان كناية عن اوربا واسيا وحرب الفرسان عبارة عن وقعة اربيل وتدل عليها الخطوط المنقوشة تحت الدائرة والدائرة نفسها مشعرة بانها تقدمة تقدمها اوربا واسيا في احد الهياكل اجلالاً لاسكندر لانه خط على اعلاها واسفلها ما يبين مولد اسكندر ومجده المخلد

عد ٣٩٩

استحواذ اسكندر على بابل وشوشن وغيرها وقتل دارا

انا نوجز الكلام في هذه الاحداث لخروجها عن دائرة غرضنا تاريخ سورية ولم يكن بد من ذكر شيء تعميماً للفائدة ورعاية لمساق التاريخ فنقول ان اسكندر بعد وقعة اربيل اقبل على هذه المدينة واحرز الغنائم الوفيرة التي تركها دارا فيها من فضة وذهب واسلحة وحلل وحلى ولم يطل المكث ثمه خوف الوباء الذي فشا فيها لفساد الهواء بجثث القتلى وتطرق الى عدوة دجلة ولما دنا من بابل خرج للقائه مازاي واليها بابنائه الكبار مسلماً المدينة اليه وخف الكهنة والحكام والاعيان والشعب لاستقباله حاملين التقادم وقدم اسكندر الضحايا لبال (بعل) وامر بتجديد هيكله وغيره من الهياكل التي كان كيخسرو دمرها وجاد بما وجده في هذه المدينة على فرسانه وجنوده ونصب الولاة على الاعمال التي اخضعها وسار بجنوده نحو المشرق فانتهى بعد مسيرة عشرين يوماً الى سوس (شوشن الكتاب عاصمة ملوك الفرس في الشتاء) فارسل واليها ابوليت ابنه

للقائه واعداً بتسليم المدينة اليه فدخلها بمعظم الحفاوة ووجد في خزائنها ما قدره بعضهم بمئتين وخمسة وسبعين مليوناً من الفرنكات واتته في هذه المدينة نجدة من رجال مكدونية وتراسة والمورة خمسة عشر الف رجل عاضوه عمن تركهم حامية في المدن التي استولى عليها وولى ارشيلاوس على شوشن ونصب ابوليت حاكماً في اقليم شوشن كله

ومما يذكر له فيشكر انه بينما كان في شوشن ارسل اليه من مكدونية شيء من انسجة البرفير والحلل الثمينة فاهداها الى سيسكمبيس والدة دارا مع من يحسن صنع مثلهما وقال اذا راقتك هذا النسيج فعلمي بنات ابنك ان ينسجن على هذا المنوال ترويحاً للنفس فساء هذا الكلام الاميرة وهطلت عيناها بالدموع لان الفرس كانوا يحسبون اشغال النساء بنسيج الصوف من اقبح العار ودرى اسكندر سبب استيائها فعاد اليها وقال « ترين امي هذه الحلل التي انا متشح بها فهي هدية من اخواتي بل هي من عمل ايديهن ايضاً فاسالك ان توقني ان عادة بلادي خدعتني فلا تحسبن جهلي تعمداً لاهانتك واظنني لم اقصر بشيء مما علمته من عادات قومكم فقد علمت ان الابن لا يجلس بحضرة امه دون اذنها وترين اني ما جلست ابداً امامك الا بامرك ولا ازيدك علماً بانك كلما اردت ان تخبريني مانعتك من ذلك وحسبك شاهداً على اجلالي لك اني دعوتك ابداً امي ولا يحق هذا الاسم الا لاولمبيا التي ولدتني » فجدير ان يستفيد من هذا المقال ابناؤنا الاجلال لوالديهم وبناتنا الانكباب على الاعمال اليدوية وكبراؤنا الاحترام لمن ساواهم اوكان دونهم

قد ترك اسكندر آل دارا في شوشن وزحف بجيشه يأم برسابوليس (المسماة اليوم استيكار على قول دوري وشهل مناراي الاربعين عموداً على ما في الاعلام الكتابية) وهي عاصمة ملك الفرس وكان الطريق اليها عسر المسلك

تحول دونها فيافي لا ماء فيها وجبال وعرة ومضايق حرجة لقي اسكندر منها الامرين فقد قطع اديوبرزان الفارسي الطريق عليه في مضيق حفت به الجبال من الجانبين واخذ رجاله يلقون الصخور منها على اسكندر وجنوده حتى كاد يستحيل عليه العبور لولا ان يهديه اسير يوناني طريقاً سار بها الى اعلى الجبل ببعض شجعان فاستحكم على العدى من خلفهم وامامهم فهزمهم وقبل ان يصل الى برسابوليس التقاه نحو ثماني مئة وفي رواية اربعة الاف رجل من اليونان كان الفرس اسروهم وشوّهوهم بقطع ايدٍ وارجل وصلم آذان وجرح انوف فاغرورقت عينا اسكندر بالدموع فامنهم وطيب قلوبهم ووعدهم ان يقضوا ما بقي من حياتهم بين اهلهم في اوطانهم ودخل اسكندر المدينة وقد فر كل من اهلها الى حيث ساقه خوفه فانتهب الجنود ما كان فيها وقتلوا من وجدوا فنهاهم اسكندر عن القتل وهتك حرمة النساء وقيل انه احرق قصور الملوك وقال بعضهم انه احرق المدينة والارجح انه لم يحرق شيئاً بل استحوذ على الاموال التي جمعها الفرس اليها ووجد في خزائنها ما عدّله بعضهم بست مئة وستين مليوناً من الفرنكات عدا الاسلحة والحلل وغيرها

وبعد ان دانت لاسكندر عواصم الفرس سار يتعقب دارا فبلغ اكتار التي يسميها الكتاب احمتا وهي همذان وكان دارا بارحها قبل بثمانية ايام وقيل بخمسة ايام فترك غنائم حربه فيها يحرسها برمينيون وجد في لحاقه فقطع في احد عشر يوماً اربع مئة وثمانين كيلو متراً وبلغ الى راجس على مقربة من طهران فاتصل به ان دارا جاوز ابواب بحر الخزر وبيناهو يئس من ادراكه اقبل عليه خادمان له يبشرانه بان باسس والي بقطريانا (اقليم في توركستان كان يتصل جنوباً بالهند) قد قبض على داراً وغاله ومضى به في طريق خراسان فهب للحاقه

وسار ثلثة ايام وثلث ليال متتالية وفي اليوم الرابع ركب وخمس مئة رجل من خيار جنوده ما بقي سالماً من خيلهم فادركوا باسس ورفقاءه فانهزموا من امام اسكندر ولما لم يطاوعهم دارا على المسير وعجز باسس عن قتله وجد اسكندر دارا ولكن صريعاً مخضباً بدمائه فعظم الاحتفاء بمأتمه وحنط جثته وسيرها بكل اجلال الى والدته لتدفنها على عادة ملوك الفرس في مدافن اسلافه وكان مقتل دارا سنة ٣٣٠ في شهر تموز

وهمّ اسكندر بادراك باسس الذي عاد الى بقطريانا وسمي نفسه ملكاً فيها وبعد مشاق عنيفة انتهى اسكندر الى بلاده واخضعها له وسُلم باسس اليه فجلده في المعسكر على مرأى جنوده ودفعه الى اقرباء دارا ليثأروا منه بدمه وكان ذلك سنة ٣٢٩ ثم توغل اسكندر في البلاد من كل وجهة فلم يترك في اسيا الى ابواب الهند اقليماً او عملاً الا اخضعه ولا شاكي سلاح الا اذلّه ولا قلعة حصينة الا افتتحها او فتحت ابوابها له . ومن الاحداث المهمة في هذه الاثناء ان فيلاتاس ابن برمينيون علم بمكيدة على الملك فكتم سرها ثلاثة ايام وأفشاه غيره فهذا الكتمان وفرط كلمات من فم فيلاتاس على الملك ورسالة ملتبسة من والده اوقعت على فيلاتاس شبهة الخيانة فشكاه اسكندر الى الجنود فعذبوه وانطقه الالم بشيء ولم يتمكن من تبرئة ساحته في كتمان السر فرجمه الجنود فمات واتبعوا به كثيراً من اصدقائه من علية الجند وكان ابوه باقياً في همذان يحرس الخزائن وخيف ان يحدث ثورة فارسل اليه اسكندر رسولاً على الهجين ومعه كتاب مزور باسم ابنه وبينما كان يتبصر باغتاله الرسول فقضى هذا الليث المغوار ومنها ان اسكندر عند فتحه قلعة بخارى وجد اسرة رجل فارسي له ابنة اسمها ركسان بديعة الجمال وكان من دأبه ان يجمع في المدن التي يليها بين اليونان والوطنيين بالزواج والسكنى فشاء ان يؤيد

ذلك بمثاله فتزوج بركسان فسر ابوها واستسلم اليه وتبعه سائر القوم

عد ٤٠٠

غزوة اسكندر الهند وعوده منها

بينما كان اسكندر في جهة بخارى وفد عليه وفد من قبل اومفيس ملك احد اعمال الهند يستنجده على ملك في جواره يسمى باروس ويعده بفتح ابواب الهند وكان الهوس قد تولى اسكندر بفتح الامصار وقهر الملوك واذلاله لهم فترك عشرة الاف راجل وثلاثة الاف وخمس مئة فارس لضبط البلاد التي اخضعها اخيراً وسار بمئة وعشرين الف رجل وخمسة عشر الف فارس وفي ربيع سنة ٣٢٦ عبر نهر الهندوس وسار مع اومفيس الذي استنجده لمحاربة باروس فانتصر عليه واسره بعد وقعة هائلة وامعن في البلاد محارباً غانماً حتى بلغ نهر هيفاس فتوقف هناك لا لكلال في قوته او فتور في عزيمته بل لان جنوده نهكتهم المشاق وهالتهم العواصف والامطار مدة سبعين يوماً متتالية ولم يبقَ عليهم من الملابس ما يستر اجسامهم فاخذوا يتألبون زمراً زمراً ويتذمرون فاستدعى اسكندر روساءهم وقال « انا على مقربة من نهر الكنج والبحر المحيط الشرقي الذي يتصل بالمحيط الهندي ويكتنف البسيطة كلها ويتيسر لنا ان نتصل من خليج العجم الى اعمدة هرقل اي بوغاز جبل طارق ونخضع افريقيا كما اخضعنا اسيا فنجعل تخوم العالم تخوم ملكنا » الى ان قال «لو اني كنت لا اقاسمكم المشاق والاخطار لكان لكم وجه في جبانتكم وساغ لكم ان تشكوا من ان فريقاً يتحمل المتاعب وفريقاً ينعم بالجزاء ولكن الاخطار والمشاق سواء بيننا والجزا عند نهاية الخطة فهذه البلاد لكم وهذه الخزائن خزائنكم فقد اخضعنا اسيا واري ان نتمم خطتنا وانولكم فوق ما تأملون فمن شاء منكم ان يعود الى وطنه فانا بنفسي اصحبه اليه ومن شاء ان يبقى في مكان اخر غمرته

بمواهب لا تقدر ، فلم يفه احد منهم ببنت شفة فقال من لا يصوب هذا المقال فليتكلم فظلوا صامتين واخيراً كشف شانوس احد قدماء القادة عن رغبة جميعهم في استعطافه ليتركهم يعودون الى مكدونية وهناك يجد الملك شباناً يطمعون بالمجد والفخار ويودون ان يخلفوا الجنود القدماء ، وصوب جميعهم هذا الكلام فاستآ اسكندر واعتزل ثم جمع الروساء في الغد وقال « لا اكره احداً على ان يتبعني فلككم لا ينكف عن مسيره ويجد جنوداً امناء ومن شاء الانصراف فلينصرف امضوا فقولوا لليونان انكم تركتم ملككم ، ومضى فاحتجب في خبائه ثلاثة ايام آملاً ان يغير احد اعوانه افكار جنده فخاب متمناه فاستدعى حينئذٍ بعض المقربين اليه وقال امضوا فبشروا الجنود بالعود

فضج الجنود ضجيج المسرة والابتهاج عند تلقي هذا الخبر وتسارعوا الى خباء اسكندر يشكرون له على رفقه بنفسه وبهم فاستقبلهم بهشاشة وبشاشة وترك لباروس ما كان اخذه منه واصلحه مع خصمه اومفيس ولم يقم ولاة اجنبيين في الهند على ما ملك فيها كما صنع في غيرها بل ترك الحكام الوطنيين يلون امورهم مشترطاً عليهم الامانة في محالفتهم له وان يدفعوا له جزية ما سنوية واخذ في المسير قاصداً بابل وخشية ملل القاري نضرب عن تفصيل ما قاساه وجنوده في هذا السفر الشاق الطويل ونقتصر منه على ما المّ به في مدينة اوكسيدراك فان سكان هذا الصقع تالبوا عليه والتقوه بجيش لا ينقص عن ثمانين الف راجل وعشرة الاف فارس وتسع مئة مركبة فاستظهر اسكندر عليهم وتبعهم الى مدينتهم اوكسيدراك وحاصرها وامر بوضع السلالم على اسوارها ورأى الجند لا يسرعون بذلك فانتزع سلماً من احدهم وتسلق به الى اعلى السور وتبعه قائدان فتسارع الجنود الى لحاقه خيفة عليه فانحطمت السلالم وبقي الملك وحده ولا منجد له وامسى هدفاً لاسهم العدى من الابراج

والاسوار واعمته الجسارة فوثب الى ساحة المدينة وهي غاصة بالاعداء فبلغ الارض منتصباً على قدميه وسيفه بيده فقتل من كان الاقرب اليه وارتاع الباقون ودنا منه رئيس الاعداء طامعاً ان يقتله فعاجله اسكندر بضربة القاه بها صريعاً ووجد جزع شجرة اسند ظهره اليه وكان يرد السهام بترسه فلم يجسر احد ان يقترب اليه بل صوب هندي سهماً اليه خرق درعه واصابه فوق الحرقفة (راس الورك) اليمنى فسال كثير من دمه وبلغ حينئذٍ القائدان اللذان لحقا به وبعض الجنود فتعجلوا الذب عنه وتمكنوا من فتح باب في اسوار المدينة فدخلها جنود اسكندر وحُمل هو الى خبائه ضنيكاً منهوكاً يخشى موته من جرحه فقلق ذووه سبعة ايام الى ان من الله عليه بالعافية وواصل سيره الى شوشن وكان وصوله اليها سنة ٣٢٤

عد ٤٠١

اعمال اسكندر بعد عودته ووفاته

استدعى اسكندر بعد بلوغه شوشن بعض الولاة الذين اساءوا المسعى في غيابه فقتل بعضهم وعزل بعضهم ورأى الاتحاد بين المكدونيين والفرس لم ينجح فصرف همته الى تمكينه وكان تزوج ركسان الفارسية فتزوج ابنة دارا المسماة برسين على ما روى اريان اوستاتيرا على ما روى بلوترك وزوج افستيون نديمه باختها دريباتيس وجلّة قادته ببنات اشراف الفرس فعقد في يوم واحد ثمانين زواجاً ليوثق عروة علاقة قادته به وكلف الجنود ان يقتدوا به واعدّ بصلات وافرة من تزوج بامرأة اسياوية فتقدم لذلك عشرة الاف جندي فكان مشهد عزّ له النظير . ورام اسكندر ان يعزز الاتحاد بان يضم جنوداً وطنيين الى جنوده وارسل له الولاة ثلاثين الف شاب فسلحهم وعلمهم النظام العسكري كالمكدونيين فانكاد هولاء وحسدوا اولئك وتناسوا فضل ملكهم الذي كان

عما قليل قام كرماً بوفاء دينهم وقد بلغ عشرين الف وزنة (لا تقل عن مئة مليون فرنك) وتذمروا وطلبوا الانصراف الى اوطانهم فحنق اسكندر ونزل عن منصته وتبعه حرسه فسعى الى من كانوا اكثر تعنتاً بين القوم والقى القبض عليهم وامر بتسليمهم للعذاب ثم رقى عرشه وخطب فيهم مذكرًا لهم ما صاروا اليه من المجد والفخر وقال اذهبوا فقولوا لليونان انكم تركتم اسكندر فالجيء ان يثق بالبربر الذين قهرهم واعتزل في خبائه يومين لا يكلم احدًا وفي اليوم الثالث استدعى روساء الجنود وسامهم ان يجمعوا عسكرًا من الفرس وحدهم ودرى ذلك المكدونيون فاسرعوا الى خبائه يستميحونه الصفح والعفو وان يريهم طلعته ولما رأى تذللهم وبكاءهم رق لهم ومزج دموعه بدموعهم وقال اتتم اسرتي ولا اسميكم بغير هذا الاسم وصنع لهم مأدبة جمع فيها تسعة الاف منهم واطلق عشرة آلاف ليعودوا الى اوطانهم . وفي فصل الربيع سنة ٣٢٣ ق م اتى الى بابل فوجد وفودًا من جميع اصقاع العالم المعروف يومئذٍ ينتظرونه هناك من قرطاجنة والحبشة وليبيا ومن اصقاع اوربا وقال اريان انه لم يجد اثرًا لوفد من قبل الرومانيين ولعلهم كانوا يومئذٍ في شاغل عما كان في بابل وكانت نفس اسكندر امارة بفتح بلاد اخرى كالعربية وممالك افريقيا واوربا وكانت الراحة تتعبه حتى قال فيه بعضهم لو ملك العالم باسره لفتش عن عالم اخر يملكه ايروي غليل مخيلته ويبرد اوار مطامعه واشغل نفسه ببعض اصلاحات داخلية الى ان يتيسر له الزحف على احد هذه الاقاليم ومن هذه الاصلاحات احتفاره مرفأ في بابل يجمع فيه مياه النهر ليسع الف سفينة وازالة الاسوار التي كان اقامها ملوك الفرس في دجلة منعاً لسير السفن فيه ثم عنايته بتجديد بناء السد الذي كانت تضبط فيه مياه الفرات وقد ثغر وطغا النهر فغرق كثيرًا من الاراضين وكان اكبر همه ان يجدد هيكل بال الذي كان كيخسرو دمره ويزيده عظمة على ما كان

عليه وقد اشتغل فيه عشرة آلاف من جنوده شهرين ولكن داركته المنية قبل اتمامه

فان هذا الملك لسروره بانتصاراته ونجاته ببسالته من المخاطر التي حفت به اكثر من المآرب منهوماً بالمآكل والمشارب حتى كان يضيع رشده احياناً فاصابته حمى لازمته عشرة ايام وفي اليوم الحادي عشر شعر بدنو المنون منه فانتزع خاتمه من يده ودفعه الى برديكاس وامره ان ينقل جثته الى هيكل عمون في مصر وسأله احد كبار اعوانه قائلاً « لمن مولاي الملك من بعدك فقال لارشدكم » وقضى نحبه في الحادي والعشرين من نيسان سنة ٣٢٣ ق م على ما روى فيكتور دوري وعن رولان ان الاكتشافات الحديثة اثبتت ان وفاة هذا الغازي كانت في صيف سنة ٣٢٤ ق م وقال كوينتوس كرس (ك ١٢ فصل ١٣) ان الغازي مات مسموماً وان بعض كبراء دولته اصحاب هذه الدسيسة اشاعوا انه قضى لافراطه في شرب الخمر ليخفوا جنايتهم الفظيعة ولكن قال بلوترك (في ترجمة اسكندر) واريان (في تاريخه) انه لم يكن عند وفاة اسكندر مظنة لاحد بالسم ولم يظهر عليه شيء من اعراضه في حياته ولا بعد مماته والصحيح ان السم الذي اماته انما هو المسكر كما امات ويميت كثيرين غيره. ولما نشر نعيه عمت الكآبة والغم والبكاء دون فارق بين يوناني وفارسي او غيرهما في جميع انحاء مملكته الفسيحة وكان حزنهم لموته يذكرهم حسناته وصفاته الحسنة وينسيهم سيأته وقبائحه وبلغ النعي والدة دارا فكان وقعه عليها اشد من وقع خبر موت دارا فانها قضت فور سماعها هذا الخبر. واليك مثال راس هذا البطل مأخوذاً عن تمثال رخام محفوظ في متحف فلورنسا في ايطاليا (دوري مجلد ٣ صفحة ٣١٣)

قال ابن الاثير في الكامل ولما مات اسكندر اطاف به من معه من الحكماء اليونانيين والفرس وغيرهم ... فقال كبيرهم ليتكلم كل واحد منكم بكلام يكون للخاصة معزياً وللعامة واعظاً ووضع يده على التابوت وقال اصبح آسر الاسراء اسيرًا ، وتلاه غيره من الحكماء بشذرات نذكر بعضها لا لتيقننا صحة وقوعها بل لما حوته من الحكم والفكاهة قال احدهم من اعجب العجب ان القوي قد غُلب والضعفاء لاهون مغترون وقال آخر قد كنت لنا واعظاً فما وعظنا موعظة ابلغ من وفاتك فمن كان له معقول فليعقل وقال آخر رب حريص على سكوتك اذ لا تسكت هو اليوم حريص على كلامك اذ لا تتكلم

وقال آخر كم اماتت هذه النفس لئلا تموت وقد ماتت وقال آخر وكان صاحب كتب الحكمة قد كنت تأمرني ان لا ابعد عنك فاليوم لا اقدر على الدنو منك وقال اخر يا من ضاقت عليه الارض طولاً وعرضاً ليت شعري كيف حالك بما احتوى عليك منها وقال آخر انظروا الى حلم النائم كيف انقضى وظل الغمام كيف انجلى وقال آخر ان دنيا يكون هذا في آخرها فالزهد اولى ان يكون في اولها وقالت امه حين بلغها خبر موته لئن فقدت من ابني امره لم يفقد من قلبي ذكره

وعامة المؤرخين تسميه ذا القرنين كناية عن القوة والبطش ولكن قال ابو الفدا في التاريخ « قد استفاض على السنة الناس ان لقب اسكندر المذكور ذو القرنين وهو ايضاً غلط فان لفظة ذو عربية محض وذو القرنين (المذكور في القرآن) من القاب العرب ملوك اليمن ... وذو القرنين الصعب بن الرائش ... ابن سبا »

اما جثة اسكندر فحنطت ووضعت في تابوت ثمين ولم يتيسر نقلها الى مصر الا بعد سنتين من قبل الاختلاف الذي جرى بين اعوانه كما سترى والى ان تكاملت عُدد هذا النقل من تمهيد الطرق وصنع المركبة البديعة النفيسة التي نقل بها وصحب نعشه الوف من الجنود والتقاه بتولمايس مصحوباً بمواكب الجند الى سورية ولم يتسنَ له اخذه الى هيكل المشتري عمون كما كانت وصيته واحل نعشه اولاً في منف ثم نقله الى الاسكندرية واقام له هيكلاً عظيماً وقال لاون الافريقي (الذي كان في القرن الخامس عشر كتاب ٨ صفحة ٦٧٧) ان مدفن اسكندر كان باقياً الى ايامه في الاسكندرية لكنه يريد بذلك تابوتاً من حجر كان في الاسكندرية في احد الجوامع منقوشاً بالخطوط الهيروكليفية بصناعة بديعة وهو الان في المتحف البريطاني وكان الاسكندريون يعتبرونه تابوت

اسكندر باني مدينتهم لكن منشأ ذلك تقليد لا شاهد صدق له والمعلوم الآن من الخطوط المنقوشة عليه انه تابوت اميرتاي احد ملوك الدولة الثامنة والعشرين في مصر وكان حاكماً فيها في نحو سنة ٤٠٠ ق م

وقد كان دانيال تنبأ على اسكندر ومملكة اليونان مشيراً الى ذلك (في ف ٢ عد ٣٢ و ٣٩) بان بطن التمثال الذي رآه مختصر من نحاس كناية عن مملكته وشبهه (في ف ٧ عد ٦) بنمر له اربعة اجنحة ثم بتيس معز له قرن عجيب كسر قرني الكبش (ف ٨ ع ١٥) ثم قال فيه (ف ١١ عد ٣) «ويقوم ملك جبار يتسلط سلطاناً عظيماً ويفعل كيف شآ ومتى قام (وفي رواية متى قبض عليه) تنكسر مملكته وتنقسم الى اربع رياح السماء ولا تكون لعقبه» وقد وصفه صاحب سفر المكابيين الاول (ف ١) وصفاً مجملاً مبيناً انه اوقع بدارا واثار حروباً كثيرة وفتح حصوناً متعددة وقتل ملوك الارض واجتاز الى اقاصي الارض وسلب غنائم جمهور من الامم فسكتت الارض بين يديه

ودونك مثالاً لسكة اسكندر الكبير ترى في الوجه الاول منها صورته ملتفاً راسه بقطعة من جلد اسد وفي الوجه الثاني صورة المشتري جالسا على كرسي وعلى يمناه نسر وبيسراه صولجانه وقد كتب وراءه كلمة اسكندرس

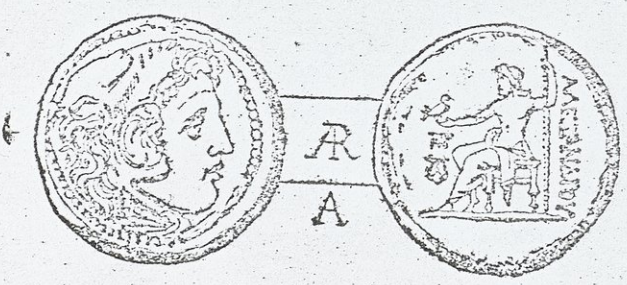

ان كل ما رويناه من تاريخ هذا الغازي مأخوذ عن اريان وقد ولد نحو سنة ١٠٥ ق م في كتابه غزوات اسكندر وعن بلوترك الفيلسوف اليوناني وقد

ولد في نحو ٤٨ ق م في كتابه تراجم المشاهير لا سيما ترجمة اسكندر ثم ديودد الصقلي وقد ولد في القرن الاول قبل المسيح في كتابه الموسوم بالمكتبة التاريخية وكانت اربعين كتاباً والباقي منها ١٥ كتاباً ويوستينوس قد ولد في مبادي القرن الثاني في كتاب تاريخه ثم كوينتوس كرس ويظن انه كان في القرن الاول للمسيح في كتابه تاريخ اسكندر وغيرهم وقد اعتمدنا في ذلك رواية رولان في تاريخ الفرس واليونان وفيكتور دروي في تاريخ بلاد اليونان

الفصل الثاني

في انقسام ملك اسكندر وفي خلفائه الاولين في سورية

عد ٤٠٢

في ما كان من كبراء دولة اسكندر بعد وفاته

جاء في سفر المكابيين الاول (فصل ١ عد ٦ وما يليه) بعد ما اوردناه انفاً . وبعد ذلك انطرح (اسكندر) على فراشه واحس من نفسه بالموت . فدعا عبيده الكبراء الذين نشأوا معه منذ الصباء فقسم مملكته بينهم في حياته وكان ملك اسكندر اثنتي عشرة سنة ومات . فتملك عبيده كل واحد في مكانه ولبس كل منهم التاج بعد وفاته ، قد اكثر الملحدون من التنديد بقول الكتاب ان اسكندر قسم في حياته مملكته بين كبراء دولته مستمسكين بان هذا التقسيم في حياة اسكندر لا اثر له في كتب المؤرخين القدماء وبان احدهم

كوينتوس كورس قال (في الكتاب ١٠ فصل ٥) ظن بعضهم ان اقاليم المملكة قسمت بحسب وصية اسكندر وعلى ما وجدنا ان هذا الخبر المستفاض على السنة الناس لا صحة له وان ذكره بعض المؤرخين ، على اننا لا نرى وجهاً لايثار شهادة مؤرخ لاتيني على شهادة كاتب شرقي اقدم منه لم يأتِ بذكر وصيته بل ان المؤرخ اللاتيني صرح ان هذا الخبر مستفاض على الالسنة وذكره بعض المؤرخين وقد حقق هربولت (في المكتبة الشرقية صفحة ٣١٨) وموسى خوران (في تاريخ الارمن مجلد ٢ صفحة ١١) ويوحنا ملالاس (في تاريخه صفحة ١٩٥) ان التقليد بتقسيم اسكندر ملكه على اعوانه مستفاض كثيراً في المشرق . هذا وان الروايات القديمة يخالف بعضها بعضاً في موت اسكندر وفي تعيين من يخلفه فروى اريان وكينتوس كورس انه جعل الخلافة للارشد منهم وروى ديودر الصقلي ويوستينوس انه دفع خاتمه لبرديكاس ففي هذا الخلاف لا يحق لاحد ان يدعي بان كاتب سفر المكابيين لم يورد الصحيح فضلاً عن ان هذا الكاتب لم يقل ان اسكندر قسم ملكه على اعوانه ورقاهم المقام الملكي بل صرح بالعكس انه لم يلبس احد منهم التاج اي لم يملك الا بعد وفاته وعليه فيمكن ان يكون تحرير معنى الاية ان اسكندر نصب على كلٍ من الاقاليم واحداً من اعوانه ليتولاه باسمه (فيكودو في الموجز الكتابي عد ٥٦٣) اما المورخون القدماء المشار اليهم فرووا ان كبراء دولة اسكندر اجتمعوا بعد موته يتداولون في من يخلفه في الملك وان برديكاس دخل عليهم وبيده خاتم الملك فوضعه على العرش المنصوب في ردهة الاجتماع وكانت رکسان الملكة حبلى في الشهر الثامن فقال يلزم ان نختار رئيساً يمتثل الجميع امره الى ان تلد رکسان وكان يامل اصابة الانتخاب له فخالفه نيارك (صهر برسين زوج اختها) وكانت برسين زوجة اسكندر الاخرى ولدت ابناً فقال ان الخليفة ولد وهو هرقل ابن

برسين وخالفهما بتلمايس فقال ليس من شيمة المكدونيين ان يخضعوا لابن برسين او ابن ركسان بل الاولى ترك العرش فارغاً وان يعهد بولايته الى من كانوا من اصحاب مشورة الملك فحسن كلامه في اعين كبراء الدولة واستآمنه الجنود فلم يعولوا عليه بل ثبت بينهم ان يعهد في تدبير المملكة الى برديكاس والى ليوناس في اسيا والى انتيباتر وكراتر في اوربا الى ان تلد ركسان ابناً . وكان مليا كر عدوًا لبرديكاس فثار عليه الجنود الرجالة غيرة من الفرسان الذين كانوا يحازبون برديكاس وزين لهم اختيار اريداي اخا اسكندر لابيه لخلو عروقه من الدم البربري فاختاروه على عدم كفايته وخمول ذكره واتوا به الى ردهة الاجتماع فابي كبراء الدولة قبوله فهددهم الجنود واجلسوه على العرش فانتشب القتال بين الفريقين وجرح بعض وحال بعض الكبراء بين المتماركين وخاف برديكاس فخرج من بابل وتبعه الفرسان على ان تعاظم الخطر دعاهم للائتلاف فعاد برديكاس والفرسان الى بابل وقر رأيهم ان يشاطر اريداي ابن ركسان (ان ولدت ذكرًا) الملك وان انتيباتر يتسلط في اوربا وكراتر يدبر الامور بامر اريداي وبرديكاس يكون في منزلة الوزير الاول ومليا كر نائباً له ولم يمر زمن الا وقتل برديكاس مليا كر

ثم ولدت ركسان ابناً سموه اسكندر واقروا له بالملك مع اريداي ولم يكن لكليهما الا اسم ملك لان الاول طفل والثاني غير كفء وكانت الولاية لكبراء الدولة وقادة الجند واقتسموا اقاليم المملكة بينهم فكان ليسيماك في تراسة وما جاورها وانتيباتر وكراتر في مكدونية وبلاد اليونان وبتلمايس في مصر وما فتحه اسكندر في افريقية ولاوميدون في سورية وفونيقي وغيرهم في غيرها من الاقاليم والاعمال وتركوا في اكثر اسيا الشمالية الولاة الذين اقامهم اسكندر وكان سلوقوس بن انطيوكس رئيساً على الفرسان المتحدين وكسندر بن

انتيباتر رئيساً على فرق الحرس ولم يتخذ برديكاس ولاية اقليم بل اتخذ قيادة الجيش في اسيا والوصاية على الملكين والسلطان المطلق بحجة خاتم اسكندر الذي استمر في يده . على ان هذا التقسيم كان منبأ لمنازعات وحروب هائلة لان كلاً من هولاء الولاة كان يدعى الاستقلال ويريد ان يحرز السلطة السامية على الاخرين على انهم حرمة لاسكندر لم يسم احد نفسه ملكاً في حياة اخيه وابنيه اللذين ملكوهما . وقتلت ركسان ضرتها ساتيرا امرأة اسكندر الاخيرة بنت دارا واختها دريباتيس ارملة افستيون وتحالف برديكاس واومان والي الكبادرك على محاربة بتلمايس والي مصر وكراتر وانتيباتر والي مكدونية وانتيكون والي بمفيليا وفريجيا واتى برديكاس الى مصر مارًا بدمشق لمحاربة بتلمايس فقتله بعض جنده غيلةً في مصر بعد ان انتصر بتلمايس عليه سنة ٣٢١ فاقيم انتيباتر مكانه في تدبير الملك واقام على الجيش الاسياوي انتيكون حليفه وامره بلحاق اومان حليف برديكاس وكانت بينهما حرب هائلة انتهت بان قبض انتيكون على اومان وسجنه ثم قتله سنة ٣١٥ فاندك ركن قوى الاسرة الملكية على ان انتيباتر ادركته الوفاة سنة ٣١٣ ولما احتضر اوصى ان يخلفه بوليسبركون في تدبير الملك والولاية على مكدونية موثراً له على ابنه كسندر حباً بخير المملكة وجعل ابنه ثانياً له فاستدعى بوليسبركون اولمبيا ام اسكندر الكبير فاستحوذت عليه واصبحت قطب مدار الاعمال فقتلت سنة ٢١٧ اريداي الملك بعد ان ملك اسماً ست سنين واربعة اشهر واتبعت به امرأته واحد ابناء انتيباتر ومئة رجل من اصدقاء كسندر بن انتيباتر الذي اخذ الوجاهة على بوليسبركون فهب كسندر من المورة الى مكدونية ليثأر من اولمبيا فتحصنت في قلعة مع ركسان والملك ابنها آملة ان يدفع عنها بوليسبركون مدبر الملك فخاب امنها لان الجنود انحازوا الى كسندر فدافعت الى ان الجأها الجوع والمرض

في حرسها ان تستسلم فوعدها كسندر ان يبقى على حياتها وهيج اهل من قتلتهم للدعوى عليها وارسل يقول لها سرًا ان تفر بحرًا قاصدًا تغريقها فقالت انها توثر ان تحاكم فانفذ ميثتي جندي ليقتلوها فلبست ملابسها الملكية واتكأت على نديمتين لها فهابها الجنود ولم يمد احدٌ اليها يدًا فانفذ اليها كسندر اهل من قتلتهم فقتلوها سنة ٣١٦ وكان كسندر يرغب في ان يقتل ركسان وابنها الملك فلم يتهيأ له ذلك يومئذٍ وتزوج بتسالونيس اخت اسكندر الكبير رغبة في اكثار محازبيه ومريديه ليكون خليفة لاسكندر

فاستفحل امر كسندر في مكدونية وبلاد اليونان واشتدت شوكة انتيكون في اسيا وفر سلوقوس والي بابل من وجهه الى بتلمايس في مصر وكان اسكندر الملقب باكوس وامه ركسان كاسيرين في مكدونية فسولت نفس انتيكون له ان يكون خلفًا لاسكندر الكبير وان يخضع بلاد اليونان ايضًا محتجًا بان ينتصر لابن اسكندر فنهض لمقاومته بتلمايس والي مصر وكسندر والي مكدونية وليسيماك والي تراسة واراد انتيكون ان يفصل بينهم فأخذ يصطنع سفنًا في صيدا وجبيل واطرابلس وفي صقلية ورودس وزحف بجيشه الى صور فحاصرها مقاومًا بتلمايس وحالف الاثوليين (قبيلة من بلاد اليونان) لمناصبة كسندر وارسل اليها اسكندر بن بوليسبركون مدبر الملك قبلاً ومعه الف وزنة ليستأجر جنودًا بها ويغري اليونان على خلع كسندر لقتله ام ملكهم واسره ابنه وامه ويعدهم بالحرية وقاوم ليسيماك بانجاده عدوًا له وانتشبت الحرب سنة ٣١٥ فلم ينجح انتيكون هذه السنة بل انكسرت جنوده في حرب بحرية واخذ بتلمايس منه جزيرة قبرس وكذلك استظهر كسندر على احلافه في بلاد اليونان وعلى اسكندر بن بوليسبركون وفي سنة ٣١٤ حاز انتيكون بعض الظفر وافتتح صور بعد حصارها خمسة عشر شهرًا وفي سنة ٣١٣ كانت لهم حروب ايضًا

في بلاد اليونان وتراسة واسيا الصغري ولم تأتِ بعاقبة فاصلة ولكن في سنة ٣١٢ عهد انتيكون الى ابنه ديمتريوس ان يمنع المصريين عن الدخول الى سورية فكسر بتلمايس وسلوقوس جيشه عند غزة وتقهقر ديمتريوس الى اشدود ثم قام منها الى طرابلس واسرع سلوقوس بالعود الى ولايته في بابل وسمع انتيكون بانكسار جيش ابنه عند غزة فهب لنجدته بعسكر كبير فلم يجسر بتلمايس ان ينازله بل عاد الى مصر واستمرت سورية بحوزة انتيكون ولم يكن من هذه الوقائع مدة اربع سنين ما يفصل الخلاف وكسب انتيكون الولاية على سورية المجوفة واليهودية وفونيقي وحفظ املاكه وتعب الفريقان فرميا السلاح وعقدا عهدة سنة ٣١١ من شرائطها ان يبقى حكم مكدونية لكسندر الى ان يبلغ اسكندر اكوس ابن اسكندر الكبير رشده وان يستمر انتيكون على ولاية اسيا الصغرى وسورية وليسيماك على تراسة وبتلمايس على مصر وما يليها مع قبرس ورودس واما سلوقوس فلم يؤت بذكره لانه كان يظن انه منهزم مع انه كان قد عاد الى بابل وقبله اهلها بمعظم الاحتفاء وتألب اليه عدد غفير فانتصر على اعوان انتيكون واستفحل امره في بابل وسائر الولايات التي في شرقي الفرات ومن سنة عوده الى بابل التي هي سنة ٣١١ يبتدي تاريخ السلوقيين الذي يسميه بعضهم تاريخ اسكندر وكان يؤرخ به النصارى وغيرهم قديماً وهو المسمى في سفري المكابيين تاريخ دولة اليونان على ان السوريين واليونان يقولون ان السنة الاولى منه تبتدي في الخريف سنة ٣١٢ وتنتهي في الخريف سنة ٣١١ واما اليهود فيحسبون الاولى منه تبتدي في الربيع سنة ٣١٢ وتنتهي في الربيع سنة ٣١١ والمعول على الاول . على ان هذه العهدة لم تبطل المطامع ولم تفصل الخلاف وكانت وبالاً على من بقي من اسرة اسكندر لان كسندر قتل اسكندر اكوس وامه روكسان اما بالسم او بالسيف خلافاً لما شرط في العهدة ولم يبق من ذرية اسكندر الكبير الا ابنه هرقل وامه برسين فقتلهما

كسندر بواسطة بوليسبركون نفسه سنة ٣٠٩ وقتل انتيكون قلوبطرة اخت اسكندر ارملة ملك الابير لان بتلمايس استدعاها من سرد اليه آملاً ان زواجه بها يزيد في عدد محازبيه فارسل انتيكون فقتلها سراً سنة ٣٠٨ وعاد يعاقب النساء اللائي تسببن في قتلها وعليه فلم تكن الهدة الا هدنة دامت قليلاً وعاد هولاء الولاة الى القتال حتى حاصر ديمتريوس ابن انتيكون اثينا وفتحها واقام فيها حكومة جمهورية واتى باسطول يحارب بتلمايس فانتصر عليه في وقعة بحرية شهيرة اخذ بها سلاميا في قبرس واستولى على الجزيرة كلها وحينئذ سمي انتيكون نفسه ملكاً وسمي ابنه كذلك واقتدى به باقي الولاة فسمي بتلمايس ملكاً في مصر وكسندر ملكاً في مكدونية وليسيماك ملكاً في تراسة واخيراً تحالف كسندر وبتلمايس وليسيماك وسلوقوس على انتيكون سنة ٣٠٢ واجتاز ليسيماك ملك تراسة الى اسيا الصغرى فاخضع فريجيا وليديا وغيرهما في شمالها وزحف بتلمايس الى فلسطين وفونيقي وسورية المجوفة فاستحوذ عليها ما عدا صور وصيدا فانه بقي محاصراً لهما ومشى سلوقوس بجيشه على اعمال اسيا الصغرى الشرقية فدخلها ظافراً وانتشب القتال بين ديمتريوس بن انتيكون وكسندر في تساليا ولما رأى انتيكون المضايقة له من كل جهة استدعى ابنه من بلاد اليونان فكانت في ايبسوس فريجيا سنة ٣٠١ وقعة هائلة بين جيوش الملوك المتحدين وبين جيش انتيكون وابنه ديمتريوس كانت الفاصلة لان انتيكون وقع قتيلاً وابنه ديمتريوس انهزم بخمسة آلاف راجل واربعة آلاف فارس وتشتت شمل باقي جيشهما وسنأتي على باقي اخبار انتيكون وابنه في الاعداد التالية

واقتسم الملوك الظافرون المملكة فاصاب ليسيماك اسيا الصغرى الى جبل طورس مضافة الى تراسة واصاب سلوقوس سورية الشمالية وما بين النهرين وما في شرقيهما الى الهند واصاب بتلمايس اليهودية وفونيقي اي سورية الجنوبية

الى عكا مضافة الى مصر وما يليها وبقي كسندر في مملكته وما يسترده من بلاد اليونان واخذ صقلية لاخيه . فاصبحت الممالك اربعاً كما تنبأ دانيال وقد طرأ عليها بعض التغيير كما سترى

﴿ عد ٤٠٣ ﴾

في ولاية لاوميدون في سورية وانتزاع بتلمايس لها من يده

بعد ان ابنا في العدد السابق ما كان من كبراء دولة اسكندر رغبة في توفير الفوائد ورعاية لمساق التاريخ وتيسيراً لادراكه تحتم علينا العود الى جل غرضنا وهو تاريخ سورية فقد رأيت ان كبراء دولة اسكندر بعد اقرارهم بالملك لارديداي اخي اسكندر ولابنه اقتسموا اقاليم المملكة بينهم واصاب لاوميدون سورية ولما اشتدت الحرب بين انتيكون واومان رأى بتلمايس والي مصر ان ضم اليهودية وفونيقي وجزيرة قبرس الى مملكته ضربة لازب وقاية لمصر من مهاجمة عدو له وطمعاً بتوسيع نطاق ولايته فسير نيكانور الى سورية بجيش براً وسار هو باسطول يدوخ مدنها البحرية فاستظهر نيكانور على لاوميدون واخذه اسيراً وافتتح بتلمايس المدن الساحلية واصبحت سورية طوع يديه فسآ نجاحه السريع اقرانه على ان انتيباتر كان بعيداً في مكدونية فلم يبد حراكاً وانتيكون كان مشتغلاً بحرب اومان فلم يعترض هذه الزيادة على املاك بتلمايس

وقد انبأنا يوسيفوس (ك ١٢ فصل ١ من تاريخ اليهود) ان اليهود رعوا الامانة لملكهم لاوميدون مبرة ليمينهم على الطاعة له فقاوموا بتلمايس فشخص الى اليهودية بجيشه وحاصر اورشليم زماناً طويلاً فلم يتيسر لهم فتحها الى ان درى بان اليهود يحترمون يوم السبت فلا يأتون فيه عملاً فهاجم المدينة في يوم سبت وقعد اليهود عن الدفاع فافتتح المدينة وعامل اهلها وسائر اليهود اولاً

بناية القسوة واخذ منها اكثر من مئة الف اسير الى مصر على انه لما تذكر بسالتهم وحفظهم العهد لواليهم وحكامهم غيرَّ ظنه ووثق بهم واختار منهم لخدمته ثلاثين الف رجل وعهد اليهم في حراسة القلاع المهمة في مملكته

عدد ٤٠٤

انتزاع انتيكون سوريه من يد بتلمايس

قد مر ان بتولمايس وكسندر وليسيماك وسلوقوس تحالفوا على انتيكون وحاربوه سنة ٣١٥ واخذوا منه قبرس التي كان استحوذ عليها ففي سنة ٣١٤ حشد جيشاً كبيراً وسار به الى سورية قاصداً ان يثأر من بتلمايس بانتزاعها من يده وان يأخذ سفن سورية وفونيقي لحاجته الشديدة الى اسطول في محاربة المتحالفين اذ لم يكن يطمع بفوز عليهم ان لم تكن في يده فُرَض سورية وفونيقي وعدد كافٍ من السفن ودرى بتلمايس ما اضمر انتيكون فاخذ الى مصر كل ما وجد من السفن في مدن فونيقي واستحاط في تقوية هذه المدن بتكثير الحامية فيها فلقي انتيكون مرّ العنا في فتح صور ويافا وغزة ولم يفتتح صور الا بعد حصارها خمسة عشر شهرا وجدّ في اصطناع السفن في جبيل وطرابلس كما مر مشغلاً الوفاً من الرجال في قطع الاشجار من جبل لبنان وفي نقلها وبناء السفن حتى بنى في سنة واحدة اسطولاً كبيراً واستأنى سفناً اخرى من قبرس ورودس وغيرهما من الجزر المحالفة له حتى عاد يؤمل السيادة في البحر واخص ما حمله على ذلك تهويل سلوقوس عليه بمئة سفينة اعاره اياها بتلمايس ليروع جنود انتيكون ويضعف قلوب حلفائه

وبينما كان انتيكون متشاغلاً في فونيقي بلغه ان جيش كسندر استحوذ على محال عديدة في اسيا الصغرى فاسرع اليها بفريق من جنده وترك الباقي تحت امرة ابنه ديمتريوس وضايق اسطول انتيكون صور مانعاً عنها كل مدد

وقوت فاضطر اهلها الى الاستسلام وطلب الجنود الذين اقامهم بتلمايس فيها الامان ليخرجوا منها بامتعتهم فاعطوه وشرط اهل المدينة المحافظة على دمهم ومالهم فعمل بشرطهم ذلك ناطق بان جنود انتيكون كانوا رأوا شدة بأس اهل مدينة صور ومناعة مدينتهم وصعوبة فتحها فتساهلوا لهم مع ان اسكندر كان دمر صور قبل تسع عشرة سنة فقط فانبعثت من رقادها وعادت الى قوتها في هذا الوقت الوجيز كل هذا نتيجة جد اهلها في الاتجار والصناعة وقد كانت حينئذٍ قطب التجارة بين المشرق والمغرب

اما بتلمايس فسار باسطوله الى جزيرة قبرس واخضع ولاتها له ومنهم نيكوكاس ملك بافوس (الباف) الا ان هذا الملك انحاز بعد سنة او سنتين الى انتيكون وحالفه خفية ودرى بتلمايس خيانته فامر بعض عماله في الجزيرة بقتله فلم يقتلوه بنفسهم بل حملوه على ان ينتحر مزينين له انه خير له من قتلهم اياه فانتحر وكان بتلمايس امر عماله ان لا يمسوا الملكة والاميرات بضر فلم يتيسر لهم منعهن عن الضرر بانفسهن لان الملكة قتلت بناتها بيدها وحرضت سلفاتها على الانتحار ثم انتحرت هي ولما رأى اخوة الملك ما كان القوا النار في زوايا القصر الاربع فاحترقوا به هذا ما رواه ديودر الصقلي (ك٢٠ صفحة ٧٦١) والعهدة عليه اما ديمتريوس بن انتيكون فانتهى بجيشه الى غزة فكانت هناك وقعة ارتعدت لها الفرائص بين جيش ديمتريوس وجيش بتلمايس وساوقوس (الذي كان فر الى مصر كما مر) وانجلى القتال عن خمسة آلاف قتيل وثمانية الاف اسير من جيش ديمتريوس واخذت خيله وخيامه وماله وامتعته وعاد هو الى اشدود ثم الى طرابلس تاركاً لبتلمايس فونيقي وفلسطين وسورية المجوفة وسأل بتلمايس قبل قيامه من اشدود ان يرخص له بدفن قتلاه فانكر عليه سؤله الا انه رد عليه خيامه وامتعته واصدقاءه وخدامه دون فداء

قائلاً ان ليس الغرض من الحرب بينهما المال بل الفخار فسر ديمتريوس بكرم بتلمايس وسأل الالهة ان يتيحوا له فرصة ليكافئه بمثله وتتبع بتلمايس ديمتريوس فاسترد المدن الساحلية ولما بلغ صورهم ادرونيك واليها من قبل انتيكون ان يقاومه معتمداً على اخلاص الصوريين لمولاه فخاب امله لان الاهلين والجند اكرهوه على الاستسلام وخاف ان يقتله بتلمايس فكان ما لم يامل فان بتلمايس جامله واكرمه

على ان انكسار ديمتريوس لم يوهن عزيمته بل اخذ يحشد جنوداً في شمالي فونيقي ويحصن مدناً وسمع ابوه انتيكون بانتصار بتلمايس عليه فقال « انتصر بتلمايس على احداث فسيلق عما قليل حرب رجال » وكتب له ابنه يستأذنه باستئناف القتال مع بتلمايس فشجعه عليه وسير بتلمايس شيل احد قواده بجيش جرار يتبع اثار ديمتريوس ليطرده من سورية فادركه في طرابلس (على ما يظن) او في شماليها وانتشبت الحرب بينهما فاستظهر ديمتريوس على شيل وشتت عسكره واخذه اسيراً مع ستة آلاف من جنوده فغنم بامتعته وذخائره ولم يكن سروره بظفره اكثر منه بسنوح الفرصة له ليكافئ بتلمايس على كرمه السابق له فانه رد عليه قائد جيشه واصدقاءه وامتعة جنده وتقادم نفيسة وبلغ انتيكون خبر انتصار ابنه فاسرع من فريجيا الى سورية ولما لقي ابنه عانقه وفاضت مدامعه طرباً ورأى بتلمايس ان ليس في مقدوره ان يحارب انتيكون فاثر العود الى مصر على القتال وهدم قلاع عكا ويافا والسامرة وغزة واخذ كل ما وصلت اليه يده من ثروة الاهلين وجماً غفيراً منهم او هم لحقوا به راضين على ما روى يوسيفوس (ك ١٢ في تاريخ اليهود فصل ١) وعادت فونيقي وفلسطين وسورية المجوفة الى ولاية انتيكون وكان ذلك سنة ٣١١ (ديودر ك ١٩ صفحة ٧٢٩) واستمرت قبرس في يد بتلمايس ثم سير انتيكون

بعد اخذه سورية اتيناس احد قادة جيشه الى العرب النبطيين الذين كانوا يشنون الغارة على سورية فيسلبون ويقتلون فنكل بهم واسترد بعض ما سلبوا لكنهم كمنوا له في طريقه فقتلوه وجماً من رجاله واسترجعوا السلب فحنق انتيكون منهم وبعث عليهم ابنه ديمتريوس فلم يتيسر له لحاقهم ولا الاستحواذ على بلادهم فعقد معهم عهدة من حيث كان وعاد الى ابيه فوجهه الى اثينا فحاصرها وافتتحها واقام فيها حكومة فوضوية كما مر

عد ٤٠٥

اخذ ديمتريوس قبرس وحرب رودس واسترجاع بتلمايس بعض سورية

قد امر انتيكون ديمتريوس ان يسير باسطول كبير وجيش وافر ليأخذ جزيرة قبرس من يد بتلمايس فارسل وفداً يدعو اهل رودس الى محالفته فابوها وسار الى قبرس فاحتل ارضها وزحف بجيشه الى سلامينا عاصمتها فالتقاه مينيلاس اخو بتلمايس وتسعرت نار الحرب بينهما فاستظهر ديمتريوس وانهزم مينيلاس الى المدينة تاركاً في ساحة النزال الف قتيل وثلاثة آلاف اسير وكتب الى اخيه بتلمايس يخبره بما كان ويستعجله بنجدته واستأتى ديمتريوس من سورية كثيراً من الحديد والاخشاب والعملة الحاذقين لصنع الالآت اللازمة لحصار سلامينا واخترع حينئذٍ آلة سموها هاليبول ومعناها آخذة المدن وهي برج من خشب طوله من كل جهة ٧٥ قدماً وارتفاعه ١٥٠ مركب على عجلات يدنونه حين الحصار من الاسوار والرماة فيه ولما تكاملت عدده احتاط اسوار المدينة واخذ يرميها بمناجيقه والات حربه ودام الحصار اياماً الى ان فتح ثلمة كبرى في الاسوار ويئس المحاصرون من النجاة الا ان يخرجوا بوثبة شديدة على العدو وهم لا يوقنون بالظفر فركبوا ليلاً كثيراً من الاخشاب اليابسة والمواد السريعة الالتهاب والقوها من اعلى الاسوار على المناجق والاته المذكورة

وباقي ادوات الحرب فالتهمتها النار وتسارع جيش ديمتريوس من لاطفانها فلم يتيسر لهم الا وقاية قليل منها وتعطل اكثرها

واتى بتلمايس سريعاً من مصر بمئة وخمسين سفينة وكتب الى اخيه في سلامينا انه اذا التحم القتال واشتد اجيجه فليأخذ الستين سفينة التي عنده الى مرفا سلامينا ويضرب بها سفن ديمتريوس من ورائها وكان ديمتريوس احتاط بان ترك عشر سفائن تحفر المرفا الذي كان ضيقاً وصف جيشه حول المدينة وفي كل مكان مشرف على البحر وانقض بمئة وثمانين سفينة على اسطول بتلمايس فغرق بعض سفنه وكسر بعضها وغنم سبعين منها بما كان فيها ولم يبق لبتلمايس الا ثماني منها فر بها مدحوراً وبعد هذا الانتصار بحراً يئس مينيلاس من المدافعة واستسلم لديمتريوس هو وجنوده واهل المدينة واراد ديمتريوس ان يكافئ مرة اخرى بتلمايس على ما صنع اليه في حرب غزة فاطلق له اخاه مينيلاس وابنه لاونتيسك وارسلهما اليه بلا فدية مع اصدقائهما وخدامهم وامتعتهم وكان ذلك سنة ٣٠٦ وقد مرّ ان اتيكون سمى نفسه ملكاً باثر هذا الانتصار وسمى ابنه كذلك وقد اقام ديمتريوس تمثالاً من رخام ذكراً لانتصاره في جزيرة سامتراس ووجد هذا التمثال شانبواسو قنصل فرنسا في هذه الجزيرة سنة ١٨٦٣ ونقله الى متحف اللوفر وتوجد مسكوكات باسم ديمتريوس هذا يرى فيها صورة امرأة يعبر بها عن الانتصار قائمة على مقدم سفينة وبيدها اليمنى بوق تنفخ به وفي شمالها راية النصر ذكراً لانتصاره هذا (دوري، جلد ٣ صفحة ٣٨٧) وبلغت اتيكون اخبار انتصار ابنه فارتقص طرباً وهم ان يستثمر هذا الانتصار فحشد في سورية جيشاً لا يقل عن مئتي الف رجل وكتب الى ابنه ليلتقيه ليضربا مصر وينتزعا ملك بتلمايس وكانا يحسبان انكساره في قبرس ميسراً الظفر به في مصر فكان غير ما حسبا . فقد سار الجيش

برًا والاسطول بحرًا وانتهيا الى غزة وكان من رأي الربانيين ان ينتظر الاسطول مرور مغيب الثريا اذ تكثر عنده العواصف عادةً وكان رأى انتيكون ان يباغت بتلمايس قبل ان يستعد للدفاع وعمل برأيه فانه امر ديمتريوس ان يحتل عند احد مصاب النيل وجدَّ هو ان يفتح ممرًا الى البلاد فثارت عواصف اضرت كثيرًا باسطول ديمتريوس وابدى الحرس الذي اقامه بتلمايس على مصب النيل آيات البسالة في الدفاع فلم يمكنه من الاحتلال ولقى انتيكون عقبات ومصاعب لا يقوى عليها حتى قنط من دخول البلاد واخذ جنوده يأبقون لان بتلمايس ارسل منادين يذيعون باسمه على جنود عدوه عند استقائهم الماء ان كل جندي ابق فله منه منان (تساوي ١٨٣٣ فرنكاً) وكل ضابط ابق فله وزنة (تقدر ٥٥٠٠ فرنك) فكثر عدد الآبقين لا طمعاً بالمال فقط بل لانهم كانوا يؤثرون خدمة بتلمايس على خدمة انتيكون فان هذا كان امسى شيخاً صعب المراس متكبرًا قاسياً وذاك كان لين العريكة طلق الوجه رقيقاً جواداً . ولما رأى انتيكون انه يستحيل عليه دخول مصر وعازته المؤن لجنوده وفشا فيهم المرض وكثر الاباق عاد الى سورية والخجل دثاره والكآبة شعاره وخسر في هذه الغزوة كثيرًا من جنوده وسفائنه وكان ذلك لسنة ٣٠٥ واشتد ساعد بتلمايس وعظم بأسه ولم يعد احد يزاحمه بعد ذلك على ولاية مصر ولهذا جعل بتلمايس الفلكي اليوم السابع من تشرين الثاني السنة المذكورة بدأً لتاريخ سني البتلمايسين او البطالسة وهي التاسعة عشرة بعد وفاة اسكندر

وكان في رودس حكومة فوضوية شديدة البأس ميالة الى بتلمايس وكان ديمتريوس دعاهم لمحالفته في حرب قبرس فابوا كما مر فارسل انتيكون ابنه ديمتريوس لحربهم ليثأر منهم ومن بتلمايس ويزيد املاكه وقوته فمضى ديمتريوس اليها باسطول كبير وعسكر وافر فكانت بين ديمتريوس والرودسيين حروب

عديدة خلدت الذكرى لبسالة الفريقين وتجلدهما وثباتهما وانتهت هذه الحروب بمعهدة صلح وقع الفريقان عليها . ومن شرائطها ان تبقى جمهورية رودس والرودسيون على حقوقهم وسلطتهم ولا يخضعون لدولة ايتها كانت وان المحالفة التي كانت بينهم وبين انتيكون تستمر ثابتة وبقوتها يلتزمون ان ينجدوه في كل حروبه الا اذا كانت الحرب مع بتلمايس وان الجمهورية تدفع لديمتريوس مئة رجل يختارهم ليكونوا بمنزلة رهينة على العمل بموجب العهدة وقالوا ان قبل ان يزايل ديمتريوس رودس اهدى اهلها جميع الات الحرب التي استعملها في حصار مدينتهم فباعوها بثلث مئة وزنة (تساوي مليون وست مئة وخمسين الف فرنك) واضافوا الى ثمنها مبلغاً آخر واصطنعوا بها تمثالاً للشمس في رودس كان احدى عجائب الدنيا السبع وكان صانعه شارس دي ليندوس وقضى في عمله اثنتي عشرة سنة وبعد ست وستين سنة من نصبه اسقطته زلزلة روى ذلك بلين (ك ٣٤ فصل ٧) وكان ذلك لسنة ٣٠٤

ثم انتهز بتلمايس فرصة غيبوبة انتيكون وابنه ديمتريوس عن سورية فحمل عليها واسترجع فونيقي واليهودية وسورية المجوفة ما عدا صور وصيدا لان انتيكون كان ترك فيهما عدداً غفيراً من المحافظين وحاصر بتلمايس صيدا ولكن ورد عليه خبر لم يكن صحيحاً وهو ان انتيكون انتصر على عسكر المتحدين وانه قادم لنجدة صيدا فاعطى اهلها هدنة خمسة اشهر وقفل الى مصر (رواه ديودر الصقلي وهو اخر اخباره)

عد ٤٠٦

سلوقوس ودمتريوس في سورية

قد مرّ (عدد ٣٨٤) ان الملوك الاربعة المتحدين بعد انتصارهم على انتيكون في وقعة ايبسوس اقتسموا مملكته فكانت سورية الشمالية من مملكة

سلوقوس واستمرت فلسطين الى عكا وسورية المجوفة تحت ولاية بتلمايس ملك مصر على ان مملكة سلوقوس كانت فسيحة الانحاء تشتمل على ما مرَّ ذكره من سورية وما بين النهرين ومملكة الفرس الى الهند ولكنها سميت مملكة سورية لان سلوقوس بنى انطاكية واقام فيها هو وخلفاؤه المعروفون بالسلوقيين نسبة اليه وسمى سلوقوس المدينة التي بناها انطاكية نسبة الى ابيه او ابنه انطيوكس لان كليهما سميا بهذا الاسم وكانت هذه المدينة عاصمة الشرق اعواماً متطاولة في مدة السلوقيين والقياصرة الرومانيين وكان انتيكون بنى على مقربة منها مدينة سماها انتيكونية فنقضها سلوقوس وبنى بانقاضها مدينة ونقل اليها سكان انتيكونية وبنى ايضاً سلوقية وسماها باسمه ومن قائل انها كانت على ضفة دجلة وهي سلوقية ما بين النهرين الان ومن قائل انها كانت عند مصب العاصي محل السويدية الان ومن قائل انه بنى المدينتين على دجلة والعاصي وهو الاظهر وسماهما باسم واحد وبنى ايضاً باميا على اسم امرأته ابنة ارتباس الفارسي وكانت على العاصي قريبة من حماه واللاذقية على اسم امه لوذيقه الى غيرها من المدن (سترابون ك ١٦ صفحة ٧٤٩)

اما ديمتريوس بن انتيكون فانهزم بعد وقعة ايبسوس الى افسس برجاله وفرسانه ثم سافر الى ايذا حيث كان ترك سفنه وماله وامرأته ديدامية املاً ان يرحب به اهلها لما صنعه اليهم من المعروف فارسلوا اليه وفداً يبلغه ان الشعب لا يقبل احداً من الملوك وانهم شيعوا امرأته بكرامة الى ماكارا (مدينة بين ايذا وقرنتية) فابدى لهم شكواه وعتابه وسأل ان يردوا عليه سفنه فردوها فسار بها ونزل على بعض املاك ليسيماك فاغنى رجاله بما غنم منها واشتد ساعده وكان ليسيماك عقد عهدة مع بتلمايس وتزوج بنته فوجس سلوقوس من هذه المعاهدة وصالح ديمتريوس وعاهده وتزوج ابنته ستراتونيس فسر

ديمتريوس بعضد اتخذه واتى بابنته واسطوله من بلاد اليونان الى سورية واحتل في طريقه بعض مدن قيليقية وكان بليسترك اخو كسندر ملك مكدونية يلي هذا الاقليم فمضى الى سلوقوس يشكو اليه امره معيباً عليه اتحاده مع ديمتريوس عدو سائر الملوك وعلم ديمتريوس فانقض على خزينة هذا الاقليم فاستلبها وعاد الى سفنه وسار الى سلوقوس فزف اليه بنته وعاد الى قيليقية فاستحوذ عليها ودرجت امرأته ديدامية وكان قد صالح بتلمايس بواسطة سلوقوس فتزوج بابنته وعظم شانه واستفحل امره اذ ملك قيليقية وكان قد بقي له من املاكه قبرس وصور وصيدا واسطول كبير وناهيك به عزة من اعتضاده بسلوقوس وبتلمايس

وانتبه سلوقوس الى ان تعظيمه شأن ديمتريوس وتقويته اياه وبال عليه فسأله ان يتخلى له عن قيليقية ويدفع اليه مبلغاً جزيلاً من المال فلم يجب سؤله ورغب اليه سلوقوس ان يرد عليه صور وصيدا لانهما من مملكة سورية وهو ملكها فقال له لو ضويقت في حروب عديدة كحرب ايسوس لما شريت صداقة سلوقوس بهذا الثمن الفاحش وهبّ الى صور وصيدا وحصنهما تلافياً من اخذ سلوقوس لهما وبعد ان أمن على املاكه في اسيا مضى الى اثينا ينكل بها جزاءً على صنعهم القبيح به بدلاً من صنعه المعروف اليهم فحاصر مدينتهم وافتتحها واجتزأ بالتوبيخ لهم على قبح معاملتهم له واقام لهم حكاماً اجمعوا على استحسان توليتهم ثم مضى الى المورة وحارب ملكها وانتصر عليه وبلغه حينئذٍ اخبار شائعة ان ليسيماك اخذ كلما كان بملكه في اسيا الصغرى وان بتلمايس اخذ قبرس وهو محاصر سلمينا حيث كانت امه وزوجته واولاده فاسرع في العود فوجد بتلمايس افتتح سلمينا ورد عليه اهله دون فداء لكنه اخذ بعد ذلك صور وصيدا واستحوذ سلوقوس على قيليقية فلم يبق لديمتريوس

شيء من املاكه (بلوترك في ترجمة ديمتريوس)

قل ما وجد رجل مثل ديمتريوس كثر عليه اقبال الدنيا وادبارها فبعد ان امسى معدماً كما رأيت حدث ان قضى كسندر ملك مكدونية فتنازع ابناه انتيباتر واسكندر الملك وكانت امهما تفضل اسكندر الصغير فقتلها ابنها انتيباتر فاستنجد اسكندر ديمتريوس ليثأر من اخيه بدمها فلبى ديمتريوس دعوته على انه لم يبلغ مكدونية الا وكان بيروس ملك الابير اصلح الاخوين فالتقى اسكندر ديمتريوس بالترحاب وبلغه تبدل الحال وانه لم يعد في حاجة الى معاونته فامتعض ديمتريوس وكان اسكندر يكرم مثواه ويجامله وهو وجس من قوته ودهاه وبلغ ديمتريوس يوماً ان اسكندر يروم ابعاده عنه فعاجله بالقتل غيلة فهاج المكدونيون عليه اولاً لاقدامه على هذه الجريمة الفظيعة فاعتذر لهم ديمتريوس عن فعلته وجعلهم لمقتهم لانتيباتر (لاغتيال امه) يوثرونه عليه فرضوا عنه وملكوه فيهم سنة ٢٩٤ ق م واستمر على منصة الملك في مكدونية سبع سنين واخذ سنة ٢٨٨ يعد العدد ويحشد الجيش ليسترجع ملك ابيه في اسيا فانضوى تحت رايته مئة الف جندي ونيف وجهز خمس مئة سفينة فجدد بتلمايس وليسيماك وسلوقوس محالفتهم عليه وانضم اليهم بيروس ملك الابير وقد كشف في اثينا عن صفيحة كتبت عليها خطوط موذنة بعهدة بين بتلمايس واثينا والمورة واحزابهم غايتها المدافعة عن الحرية العامة ضد من يخربون بلاد اليونان وينقضون السنن والرسوم التي افترضها قدماؤهم وزحفت عساكر ليسيماك وبيروس الى مكدونية فافتتح بيروس بيريا (في مكدونية) حيث كانت نساء اكثر الجنود واولادهم فانشقوا عن ديمتريوس وحازبوا بيروس ونادوا به ملكاً على مكدونية فاضطر ديمتريوس ان ينهزم متنكراً بزي جندي ويعود الى بلاد اليونان حيث بقيت بعض المدن خاضعة له فترك ابنه انتيكون والياً عليها ومضى الى اسيا يتطلب

غنيمة فاخذ بعض اعمال من مملكة ليسيماك فهب اكاتوكل بن ليسيماك لمقاومته وبعثه على الانهزام فاداه تطوافه الى ترسيس في قيليقية وارسل منها يشكو حالة عسره الى سلوقوس صهره طالباً امداده بما يقوم باوده واود من بقي معه من جنوده فرفق به سلوقوس اولاً وكتب الى عماله ان يقدموا له كلما يحتاج اليه ثم تذكر دهاءه وخاف ان يمكر به فعمد على اهلاكه وسار بجيشه اليه فقر ديمتريوس من وجهه وارسل اليه ان يبعثه العبود نحو المشرق ليقضي ما بقي له من الحياة مطمئناً فلم يركن سلوقوس الى صدق مقاله وضبط الطرق عليه اما ديمتريوس فلجاء الى القوة وعبر تلك المخافر ودخل الى سورية فماوذته شجاعته لكنه اصيب بمرض عضال فتركه بعض جنوده وهمّ بعد ابلاله من المرض ان يباغت سلوقوس فيقتله وفشا سر خديعته وضاقت به الحيل فعزم ان يفر الى سفنه فوجد المعابر مخفورة بتحرز فاختبأ في بعض الغابات الى ان الجأه الجوع ان يستسلم لسلوقوس فاخذه اسيراً سنة ٢٨٦ واقامه في مدينة في جوار اللاذقية تاركاً له فيها حريته فقضى ما بقي من عمره مستكناً متحملاً مصابه بصبر جميل متشاغلاً بالصيد واللعب سلواناً لنفسه ولكنه عكف على معاقرة الخمرة فاصابه مرض قضى به سنة ٢٨٣ بعد ان استمر اسيراً ثلث سنين ولم يكن له من العمر حينئذٍ الا اربع وخمسون سنة (بلوترك في ترجمة ديمتريوس)

عد ٤٠٧

محاربة سلوقوس ليسيماك وقتله واغتيال سلوقوس

روى يوستينوس (ك١٧ ف ١) وابيان (في تاريخ السوريين صفحة ١٢٨) وغيرهما ان ليسيماك زوج ابنه اكاتوكل بليسندرة ابنة بتلمايس ثم تزوج هو باختها ارسينوا وكان له ابناء فعظمت الغيرة بين الاختين احتساباً لمن يكون

الوريث بعد وفاة ليسيماك واشتدت الضغائن بينهما واتى بتلمايس جيرانوس اخو بتلمايس فيلادفوس ملك مصر الى قصر ليسيماك وكانت ليسندرة شقيقة له فتوهمت اريسنوا انه اذا توفي ليسيماك قتلها جيرانوس واتبع بها بنيها ليماك اكاتوكل صهره وما انفكت تزعج ليسيماك الملك زوجها بشكواها اكاتوكل ووشايتها به انه يبدي موامرات على حياة ابيه واخذ تاجه حتى القى ابنه في السجن ثم قتله وفرت لسندرا واولادها واخوها جيرانوس واسكندر بن ليسيماك الاخر الى سلوقوس وحملوه على اعلان الحرب على ليسيماك وانحاز كثير من اعوان ليسيماك الى سلوقوس اشمئزازاً من غدره بابنه وكان سلوقوس ميالاً الى هذه الحرب طمعاً بتوسيع نطاق ملكه فعزم عليها راغباً

وقبل ان يزحف بجيشه على ليسيماك تخلى لابنه انطيوكس عن اعمال كثيرة من ملكه ولم يبقَ لنفسه الا الاعمال التي بين الفرات والبحر وزوجه ايضاً بامرأته ستراتونيس لانه ظهر له شغفه بها ثم سار في اسيا الصغرى فلم يلق معارضاً حتى انتهى الى سرد (في ولاية ازمير الان) فحاصرها وافتتحها وغنم خزائن ليسيماك التي كانت فيها فسير ليسيماك الدردنل واتى آملاً ان يوقف سلوقوس عن تقدمه فانتشب القتال بينهما فاستظهر سلوقوس على ليسيماك وقتله واستحوذ على مملكته كلها وسر بانتصاره وبان يرى ايضاً نفسه قد بقي وحده في الحياة من قادة اسكندر وقد ظفر بالظافرين وهذا الانتصار قد اكسبه لقب نيكانور (ومعناه الظافر والمنتصر) الذي سمى نفسه ويسميه به المؤرخون تمييزاً له عن خلفائه الذين سموا سلوقوس وكان ذلك لسنة ٢٨١

على انه لم يعش بعد هذا الظفر الا ستة اشهر فانه مضى الى مكدونية ليضع يده على ما كان لليسيماك فيها ويقضي ما بقي من عمره في وطنه العزيز فحالف عليه جيرانوس بتلمايس الذي كان غمره بنعمه واحسانه واكرم مثواه

عند فراره اليه واصحبه معه في هذه الغزوة ناوياً ان يجلسه على عرش ابيه في مصر فابى خلقه الذميم الا الخيانة وغمط النعمة وقتل المحسن اليه غيلةً سنة ٢٨٠ ق م وقد ملك سلوقوس بعد ان سمى ملكاً في اثر وقعة ابسوس عشرين سنة وكان ملك قبل ذلك احدى عشر سنة اذا جعل بدء ملكه في السنة الثانية عشرة بعد وفاة اسكندر الكبير فجملة سني ملكه احدى وثلاثون سنة وكان حسن الاخلاق محباً العدل مستمسكاً بالدين لين العريكه شفوقاً يحبب الرعية به بحلمه

هذا مثال صورة سلوقوس الاول على سكته ففي الوجه الاول مثال راسه وعليه خوذة ذات قرنين واذن ثور وفي الوجه الثاني مثال الظفر قائماً متجها نحو اليمين رافعاً يديه على خوذة ودرع وترس وقد كتب على الصورة سلوقس باسيليوس اي الملك سلوقوس

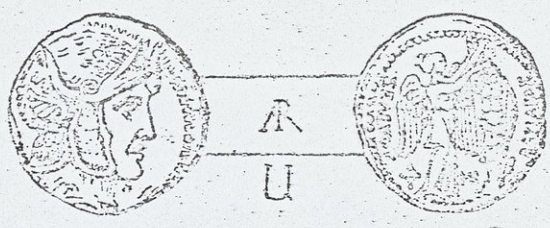

واما جيرانوس الخائن فحسب اصدقاء ليسيماك انه قتل سلوقوس ثأراً بليسيماك فملكوه فيهم وكان يخشى اخته ارسينوا ارملة ليسيماك ويحذر منازعة ابنائها له فاكرهها على الزواج به على عادتهم القبيحة ثم قتل ابنيها ونفاها فسلط الله عليه النال (وهم قبيلة اتت من الشمال فدوخت البلاد وتوطن السواد الاعظم منها في فرنسا فسميت غالية) واعمى بصيرته عن التحوط في المحاربة لهم فاخذوه اسيراً وقتلوه وكان في هذه الاثناء ان بتلمايس المعروف بسوتر

بن لوغوس تخلى عن ملكه سنة ٢٨٥ لابنه بتلمايس فيلادلفوس (تأويل الكلمة محب اخيه) ثم توفى سنة ٢٨٤ بعد ان ملك عشرين سنة سمى فيها ملكاً وتسع عشرة سنة بعد وفاة اسكندر الكبير فجملة سني ولايته في مصر تسع وثلاثون سنة وكان عالماً محباً للعلماء الف كتاباً في ترجمة اسكندر لم يبلغ الينا ولكن اكثر القدماء من الثناء عليه وكان مثالاً للحكمة والعدل والشفقة وقد رفع مصر في مدة ملكه الى اعلى مقام بين الممالك الاخرى وكان يجانب الاسراف والعظمة ومما يذكر له في هذا الشان ان بعض اعوانه قال له يوماً ان الملك يلزمه غنى اكثر مما هو عليه فقال ان عظمة الملك الحقيقية ليست بان يكون غنياً بل بان يغني غيره وهو الذي اخذ في انشاء مكتبة اسكندرية الذائعة الصيت ثم زادها ابنه بتلمايس فيلادلفوس وبعض خلفائهما وقد استمرت فونيقي وسورية المجوفة والعربية وجزيرة قبرس خاضعة لمملكة مصر في ايامه

وهذا مثال سكة بتلمايس الاول ترى في وجهها الاول صورة رأسه مكللاً وفي الوجه الثاني صورة نسر كتب عليها بتلمايس سوتاروس

الفصل الثالث

في انطيوكس الاول والثاني وسلوقوس الثاني والثالث ملوك سورية وما كان في ايامهم

عد ٤٠٨
في انطيوكس الاول

قد مر ان سلوقوس قبل حملته على ليسيماك تخلى لابنه انطيوكس عن بعض املاكه وبعد مقتله سنة ٢٨٠ استبد بالملك كله وسمى سوتراي المخلص لانه نجى مملكته من حملات الغال المشار اليهم انفاً ومن الاحداث المعروفة في ايامه انه زوج ابنته اباميا بماغاس والي ليبيا فثار ماغاس على بتلمايس فيلادلفوس ملك مصر مع انه كان اخاه لامه واستقل في ولايته بعد ان كانت خاضعة لمصر بل سولت له نفسه بان يثل عرش بتلمايس ويملك في مكانه وحشد جيشاً كبيراً وضرب اسكندريه واستحوذ عليها ولكن نشأت فتنة في بلاده بعثته على العود اليها فانتهز بتلمايس هذه الفرصة ولما شعث جنده وهب لمقاومته واستنجد ماغاس بحميه انطيوكس وتعاهدا ان يثب كل منهم على مصر من جهة ودرى بتلمايس بما اسراه فاشغل انطيوكس في الدفاع عن مدنه البحرية لانه ارسل اليها جنوداً يحتلون بعضها وينكلون بسكان بعضها فاضطر ان يلزم مملكته دون براح ورأى صهره انلا طاقة له وحده على حرب بتلمايس وكسر جيشه في وقعة فرغب عن عزمه على الاستيلاء على مصر وكان ذلك لسنة ٢٦٤ ق م

وقد توفي في هذه الاثناء فيلاتر ملك برغام في اسيا الصغرى فطمع

انطيوكس في ان يأخذ ماكان له من البلاد ويُلحقه بمملكته فحشد الجيش وسار به فالتقاه اومان ابن اخي فيلاتر وخليفته مدافعاً عن ملكه فاستظهر اومان على انطيوكس المعتدي وشتت عسكره ولم يفقد شيئاً من املاكه بل زادها بانتصاره زيادة كبيرة وكان ذلك لسنة ٢٦٢ وعاد انطيوكس الى انطاكية مدحوراً فوجد احد ابنائه انشأ فتنة في مدة غيابه فقتله روى ذلك تروك بومباي وقال بعضهم وهو ارجح ان رواية تروك مغلوط فيها ثم سمى انطيوكس الاول ابنه الاخر ملكاً في حياته ودعاه باسمه انطيوكس وكان وزقه من ستراتونيس ابنة ديمتريوس التي كانت زوجة لابيه سلوقوس ثم زوجه اياها كما مر وعاش انطيوكس الاول بعد ذلك مدة قليلة وقضى سنة ٢٦١ في رواية وسنة ٢٦٠ في رواية اخرى وذكر له بعضهم حروباً مع المكدونيين والغلاطيين وغيرهم لم نظفر بتفصيل احداثها

عد ٤٠٩

في انطيوكس الثاني وما كان في ايامه

ان انطيوكس هذا ابن انطيوكس الاول رقي منصة الملك سنة ٢٦٠ ولقب ثاوس اي الاله تمييزاً له عمن سمى بهذا الاسم من ملوك سورية وكان اول من لقبه بهذا الاسم اهل ميلات في اسيا الصغرى لانه انقذهم من جور والٍ اسمه تيرك كان عصى بتلمايس فيلادلفوس ملك مصر (الذي كان له املاك في اسيا الصغرى) واستقل في ذلك الاقليم وبغى وجار فلجأ اهل ميلات الى انطيوكس فظهر عليه وقتله فاحبوه كالالهة وسموه الهاً وهي عادة سيئة كثر التملق بها في تلك القرون وسمى اهل ازمير امه ستراتونيس آلهة ايضاً وكان باروز المؤرخ البابلي الشهير في ايام هذا الملك لانه قدم له كتابه وقال بلين (ك ٧ فصل ٥٦) ان تاريخه كان ينطوي على مراقبات فلكية مدة اربع

مئة وثمانين سنة ولما كان ولاة بابل من المكدونيين تعلم باروز اللغة اليونانية وارتحل اولاً الى جزيرة كوس مولد ابقراط وانشأ مدرسة يعلم فيها علم الهيئة

ثم انتقل الى اثينا فاكسبه علمه ارفع منزلة من الاكرام حتى اقاموا له تمثالاً وجعلوا له لساناً من ذهب وقد بلّغ الينا يوسيفوس واوسابيوس شذرات من تاريخه جلت لنا الاقتباس عن كثير من آيات العهد القديم وكانت ذات فائدة كبرى في معرفة ملوك بابل

وكان في ايامه ان بتلمايس ملك مصر اراد ان يحتكر لمملكته التجارة في البحر وكان ذلك للصوريين فكانوا يستأثون السلع بالبحر الاحمر الى ايلة وتقلها القوافل الى مرفا بين فلسطين ومصر فتشحن الى صور فبنى بتلمايس مدينة على الشاطي الغربي من البحر الاحمر وسماها برنيس (او برنيقة) باسم امه وكانت السلع تأتيها من الهند والعربية وفارس والحبشة وتقلها القوافل الى النيل وتسير به الى اسكندريه فتشحن منها الى المغرب وتستاقي منه البضائع اليها فتحمل الى الافاق في المشرق وانشأ بتلمايس كثيراً من السفن تمخر في البحر المتوسط والبحر الاحمر فكان هذا داعياً للتحاسد بين انطيوكس وبتلمايس وتلاه داع اخر للقتال وهو ان ماغاس ملك ليبيا المار ذكره صالح بتلمايس ووعده ان يزوج بنته برنيس الوحيدة بابن بتلمايس البكر ويترك له مملكته مهراً لها وادركت الوفاة ماغاس قبل اتمام وعده فهمّت امرأته اباميا اخت انطيوكس بان تخلف هذا الوعد فاستدعت ديمتريوس اخا ملك مكدونية واعدة بان تزوجه بنتها وتسلم اليه ملك ابيها فلبى دعوتها لكنه اسآ الى الوزراء وقادة الجيش فتحالفوا عليه واغتالوه على فراشه فاتت برنيس الى مصر وزفت الى ابن بتلمايس وانهزمت امها الى اخيها انطيوكس وطفقت تغريه بمحاربة بتلمايس ملك مصر وليس على دهاء النساء عسير

فقد انتشبت سنة ٢٥٥ ق م بين انطيوكس وبتلمايس حرب طالت مدتها ووخمت عاقبتها ولم يشهدها بتلمايس لنحافة صحته بل كان يكل امرها الى قادة جيشه واما انطيوكس فكان يرأس جيشه الذي جمعه من كل اصقاع ملكه في كل وقائعه ولم يتحفنا المؤرخون بتفصيل ما كان ولعله لانه لم تكن في هذه الحروب عائدة كبرى لاحد الفريقين او لم تكن فيها احداث مهمة وان طال زمانها على ان عاقبتها كانت سيئة على مملكة سورية لانه بينما كان انطيوكس متشاغلاً في حرب مصر نشأت مشاغب وثورات في الاعمال الشرقية من المملكة ولم يتمكن انطيوكس من تداركها عن قرب فعظمت وافضت الى انفصال البرتيين عن مملكة سورية واقامتهم رجلاً اسمه ارساس ملكاً عليهم وكذلك عصى تيودت والي بقطريان (في تركستان) وجعل نفسه ملكاً وحذا هذا الحذو سائر القبائل في تلك الاصقاع حتى خسر انطيوكس سنة ٢٥٠ وسنة ٢٤٩ كل الاقاليم الشرقية من مملكته ولم يبقَ له منها شيء في ما وراء دجلة

فهذه الشؤون بعثت انطيوكس على الاستفاقة ومصالحة بتلمايس ملك مصر فعقد الصلح بينهما سنة ٢٤٩ وكان من شرائطه ان يطلق انطيوكس لاوذيقة امرأته ويتزوج ببرنيس بنت بتلمايس وان يمنع ابنيه من امرأته الاولى من ارث الملك ويعهد بالتاج الملكي الى البنين الذين يرزقهم من ابنة بتلمايس وبعد التوقيع على العهدة طلق انطيوكس امرأته لاوذيقة وان كانت اخته لابيه وله منها ابنان واتى بتلمايس ببنته الى سلوقية عند مصب العاصي (السويدية) والتقاه انطيوكس اليها فزفت اليه برنيس بمعظم الاحتفاء على ان مثل هذه الزيجات المنعقدة لمآرب سياسية او مطامع سيئة قلما تخلو من الغائلة وسوء العاقبة

عد ٤١٠

نبوة دانيال على ما ذكرنا من الاحداث

ان دانيال تنبأ بهذه الاحداث قبل وقوعها بثلاثة قرون ونيف نبوات بينة حتى تذرع الملحدون بوضوحها للتكذيب بانها كتبت في ايامه وقد ابنا فساد مدعاهم في عد ٣٥٣ واليك ما قال في الفصل الحادي عشر عد ٢ « ها ان ثلاثة ملوك يقومون من بعد في فارس » يريد بهولاء الملوك كورش الذي كان مالكاً عندما كتب دانيال وكمبيس ابنه ودارا ابن هيستسب « والرابع يستغني بغنى اوفر من الجميع وعند تقويه بغناه يثير الجميع على مملكة ياوان) اي مملكة اليونان ويريد بهذا الملك كيخسرو الذي حشد الجيش العرمرم وحارب اليونان كما مر ثم يقول النبي (عد ٣) « ويقوم ملك جبار يتسلط سلطاناً عظيماً ويفعل كيف يشاء » وليس من لا يتبادر الى فهمه دون تكلف ان المراد بالملك الجبار ذي السلطان العظيم انما هو اسكندر الكبير ويحققه كلامه التالي (عد ٤) « ومتى قام تنكسر مملكته وتقسم الى اربع رياح السماء ولا تكون لعقبه ولا في مثل سلطانه الذي تسلطه لان مملكته تمزق الى غير اولئك ايضاً » وقد رأيت ان مملكة اسكندر الفسيحة الارجاء قد قسمت بعد منازعات وخصومات الى اربع ممالك ولم يكن في احداها احد من اعقابه الا ابنه الصغير الذي كان له اسم ملك فقط قبل هذه القسمة وقام في هذه المملكة امراء من غير اعوانه انشأوا فيها ممالك مستقلة كالكابدوك وارمينيا وهرقلية على البصفر كما اشار النبي الى ذلك بقوله « تمزق الى غير اولئك ايضاً »

ثم يقول النبي (عد ٥) « ويتقوى ملك الجنوب » يريد بالجنوب ملك مصر لوقوعها في جنوبي اليهودية وبالشمال سورية لوقوعها في شماليها وبهذا الملك بتلمايس بن لاغوش « لكن احد هولاء الملوك يقوى على هذا ويتسلط

ويكون سلطانه عظيماً ، ويريد بهذا سلوقوس نيكانور ملك سورية فان بتلمايس كان يلي مصر وليبيا والقيروان والعربية وفلسطين وسورية المجوفة وبعض الاعمال البحرية في اسيا الصغرى وقبرس وبعض الجزائر وبعض جزائر الارخبيل وبعض مدن ببلاد اليونان منها قرنتية . لكن سلوقوس كان ملكه اكثر اتساعاً وسلطانه اكثر امتداداً لانه كان يلي كل ما كان في سورية الشمالية وجبل طورس الى نهر الهندوس في الهند واعمالاً في اسيا الصغرى وملك قبيل موته على تراسة ومكدونية ايضاً

واليك ما قال النبي فيما ذكرناه في العدد السابق في حرب انطيوكس وبتلمايس وعهدة الصلح بينهما واتيان بتلمايس بابنته ليزوجها بانطيوكس (عدد ٦) « وبعد انقضاء سنين يتعاهدان (اي انطيوكس وبتلمايس) وتأتي بنت ملك الجنوب الى ملك الشمال للمسالمة لكنها لا تملك قوة الذراع ولا يقوم نسلها وتسلم هي والذين اتوا بها وولدها ومن قواها في تلك الاوقات ، وسترى تمام نبوة دانيال في هذه الفقرة الاخيرة لان انطيوكس طلق امرأته برنيس بنت بتلمايس ثم قتلها ضربها كما سيمر بك وحسبك ما مر دليلٌ على صحة تنزيل الاسفار المقدسة وشهادة الله لها اذ ينذر انبياؤه باحداث يستحيل على قوة بشرية ادراكها قبل قرون من وقوعها فتتم في اوقاتها بكل دقايقها وقرائن احوالها

﴿ عد ٤١١ ﴾

وفاة بتلمايس وما يعزى اليه من العناية بالترجمة السبعينية

لم يعش بتلمايس فيلادلفوس بعد عوده من سورية الى مصر الا سنتين وقضى نحبه سنة ٢٤٧ وله من العمر ثلاث وستون سنة ملك في ثماني وثلاثين سنة منها (على ما في قانون بتلمايس الفلكي) وترك ابنين وابنة ولدتهم له ارسينوا

بنت ليسيماك اكبرهم بتلمايس افرجات ملك بعده واصغرهم المسمى ليسيماك باسم خاله عصى اخاه فقتله والبنت هي برنيس التي زوجها بانطيوكس الثاني وكان لبتلمايس فيلادلفوس معائب ونقائص منها تعميه ديمتريوس فالر الفيلسوف الشهير وتسميه بموته لانه اشار على ابيه عند مذاكرته في شان الخلافة بما يخالف مصلحة بتلمايس وان كان منطبقاً على الانصاف ومنها ان غناه الفاحش جره الى الاسراف والترف والعكوف على الملاذ كما يحدث عادة ومنها انه لم يكن شجاعاً ولا رجل حرب على انه كان له محامد ومآثر كثيرة منها محبته للعلم والعلماء ورغبته في تقديم الصنائع ورواج سوقها وكرمه وجوده على العلماء والشعراء حتى كان في وليجته كثير من مشاهيرهم وقد زاد كثيراً في عدد كتب المكتبة التي انشأها ابوه واقام كثيراً من المدارس والمنتديات العلمية ووسع نطاق التجارة في بلاده وعنى بنجاحها وتأمين طرقها واحسن معاملته للتجار الاجنبيين ليكثر ترادهم الى بلاده وذلك مما اسعد مملكته وانمى ثروتها ورفع صرادق الامن فيها وكان اساساً لنجاح مصر قروناً عديدة

ومما يعزى اليه من المآثر عنايته بترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية فان كاتباً يونانياً اسمه ارستاي كان عاملاً عند بتلمايس فيلادلفوس كتب رسالة مطولة انبأنا بها ان هذا الملك اشار عليه ديمتريوس فالر رئيس مكتبته المار ذكره انفاً ان يجعل هذه المكتبة بترجمة لشريعة اليهود فصوب مشورته وكتب الى اليعازر رئيس احبار اليهود ان يرسل اليه رجالاً خبيرين بشريعة اليهود واهلاً لان يترجموها الى اليونانية وانفذ رسالته اليه بيد ارستاي المذكور واطلق لمئة وعشرين الفاً من اليهود المقيمين في مصر ان يعودوا الى مواطنهم فبعث اليه اليعازر اثنين وسبعين رجلاً من علماء اليهود ستة من كل سبط من اسباطهم الاثني عشر فترحب بتلمايس بهم واكرم

مثواهم فترجموا له التوراة اي اسفار موسى الخمسة الى اليونانية في أثنين وسبعين يوماً في جزيرة فاروس (التي كانت عند مدخل مرفا الاسكندرية ثم الحقت باليابسة واقيمت فيها منارة) فاجزل جوائزه لهم وبعث هدايا ثمينة الى رئيس الاحبار فصدق العلماء اخبار ارستاي هذه ورووها عنه وقد افرد يوسيفوس الفصل الثاني من الكتاب الثاني عشر من تاريخ اليهود لتفصيل اخبار هذه الترجمة والثناء على بتلمايس فيلادلفوس وروى فيلون الاسكندري والتلمود والقديس يوستينوس واكليمنضوس الاسكندري والقديس ايريناوس ان بتلمايس اقام كلاً من المترجمين في مخدع منفرداً فكانت ترجماتهم متطابقة وحسب القديس ايرونيموس هذا التفريق بين المترجمين من الاقاصيص لكنه لم ينبذ رسالة ارستاي بل اجمع العلماء على صحتها ولكن امترى في صحتها لويس فيناس في صدر القرن السادس عشر وسكاليخر في اواخره وتابعهما بعدئذٍ على رأيهما كثير من اهل النقد زاعمين ان تلك الرسالة ليست لارستاي . قال الاب فيكورو (في الموجز الكتابي عدد ١٠٥) «وان كان لتلك الرسالة سمة الاقاصيص الا انه لا يخلو اصلها من الصحة ومن نبذها من المنتقدين نبذاً مطلقاً وزعم ان الترجمة اليونانية للتوراة وضعت خاصة لسد حاجة اليهود المقيمين في الاسكندرية فقد تجاوز حد الاعتدال كثيراً فيمكن ان يظن ولا محالة ان اليهود حسنوا وبالغوا في ايراد اخبار عن هذه الترجمة ولكن لا يمكن البتة ان يقال انهم اختلقوا كل ذلك لان اسم الترجمة السبعينية نفسه الذي كان لهذه الترجمة من اقدم الدهر لا بد ان قد كان منشأه عن حدث وضعي»

ان المؤرخين العرب المسلمين متفقون على ان التوراة اليونانية عني بترجمتها بتلمايس الثاني قال ابو الفدا في المجلد الاول من تاريخه (صفحة ٥) «واما التوراة

فهي التوراة التي اختارها المحققون من المؤرخين وليس فيها ما يقتضي الانكار من جهة الماضي من عمر الزمان وهي توراة نقلها اثنان وسبعون حبراً قبل ولادة المسيح بقريب من ثلثمائة سنة لبطليوس اليوناني الذي كان بعد الاسكندر ببطليوس واحد (اي بطليوس الثاني) ... ولذلك اعتمدنا على هذه التوراة دون غيرها ، ثم قال (في صفحة ٣٤) ، لما مات الاسكندر ملك بعده بطليوس بن لاغوس عشرين سنة ثم ملك بعده بطليوس محب اخيه (ترجمة كلمة فيلادلفوس) وهو الذي نقلت له التوراة وغيرها من كتب الانبياء من اللغة العبرانية الى اللغة اليونانية ... قال ابو عيسى ان بطليوس الثاني محب اخيه المذكور لما تولى وجد جملة من الاسرى منهم نحو ثلاثين الف نفس من اليهود فاعتقهم كلهم وامرهم بالرجوع الى بلادهم ففرح بنو اسرائيل بذلك واكثروا له من الدعاء والشكر وارسل رسولاً وهدايا الى بني اسرائيل المقيمين في القدس وطلب منهم ان يرسلوا اليه عدة من علماء بني اسرائيل لنقل التوراة وغيرها الى اللغة اليونانية فسارعوا الى امتثال امره ثم ان بني اسرائيل تزاحموا على الرواح اليه ... واختلفوا ثم اتفقوا على ان يبعثوا اليه من كل سبط من اسباطهم ستة نفر فبلغ عددهم اثنين وسبعين رجلاً فلما وصلوا الى بطليوس المذكور احسن قراهم وصيرهم ستاً وثلاثين فرقة وخالف بين اسباطهم وامرهم فترجموا له ستاً وثلاثين نسخة بالتوراة وقابل بطليوس بعضها ببعض فوجدها مستوية لم تختلف اختلافاً يعتد به وفرق بطليوس النسخ المذكورة في بلاده وبعد فراغهم من الترجمة اكثر لهم الصلات وجهزهم الى بلدهم وسأله المذكورون بنسخة من تلك النسخ فاسعفهم بنسخة فاخذها المذكورون وعادوا بها الى بني اسرائيل ببيت المقدس فنسخة التوراة المنقولة لبطليوس حينئذ اصح نسخ التوراة واثبتها، هذا رأيه وكذا قال ابن خلدون في الجزء الثاني

من تاريخه (صفحة ١٨٩)

قال كثيرون من المؤرخين ان السبعين عالماً ترجموا اسفار العهد القديم كلها والصحيح الذي يعول عليه انهم لم يترجموا الا اسفار موسى الخمسة وهي التوراة اولاً لان التقليد الصحيح ينبئنا بانهم لم يترجموا الا التوراة وان باقي الاسفار التي تشتمل عليها الترجمة السبعينية الان قد ترجمها غير اولئك العلماء والحقوها بترجمتهم للتوراة رغبةً في افادة اليهود الذين توفر عددهم تلك الايام في افريقية حتى كان في الاسكندرية حينئذٍ خمسا السكان من اليهود والثلاثة الاخماس من غيرهم ثم تيسيراً لاتمام فرضهم بتلاوة هذه الاسفار وقد كان اكثرهم يجهل العبرانية او لا يحسن ادراكها قال القديس ايرونيموس (في تفسيره نبوة ميخا فصل ٢ عد ٩) « ان الظاهر من تقليدات يوسيفوس واليهود انهم (اي السبعين عالماً) لم يترجموا الا اسفار موسى الخمسة وقدموها لبتلمايس الملك »

ثانياً لان المحققين اثبتوا ان بين ترجمة التوراة وبين ترجمة غيرها من الاسفار في السبعينية اختلافاً في استعمال الالفاظ وتركيب الجمل والنسق وذلك مؤذن بان هذه الترجمات لم تكن كلها في زمن واحد ولم يترجمها مترجم واحد فترجمة التوراة كانت نحو سنة ٢٧٠ ق م وترجمة سائر الاسفار كانت على التعاقب فقال فم الذهب (مقالة ٥ في متى) ان الترجمة السبعينية كانت كانها كاملة سنة ٢٣٠ ق م وقال بعض المحققين انها لم تكمل كلها الا على عهد بتلمايس محب امه الذي ملك من سنة ١٨١ الى سنة ١٤٦

واليك مثالاً لسكة لبتلمايس الثاني فيلادلفوس فعلى الوجه الاول صورتا راسه وراس ارسينوا الثانية زوجه والتاج عليهما وفي الوجه الثاني صورتا راس ابيه وراس امه برنيس وقد كتب على الوجه الاول ثاون الغون اي

الالهين الاخوين

عد ٤١٢

قتل لوذيقة انطيوكس الثاني وامراته برنيس ثم مقتل لوذيقة واخذ سورية

لم يبلغ انطيوكس الثاني نعي حميه بتلمايس الثاني المذكور الا وطلق ابنته برنيس واسترد امرأته الاولى لوذيقة مع ابنائها وكانت لوذيقة موقنة بتقلبه وعدم ثباته على حال فخافت ان يطلقها ثانية ويعود الى برنيس ضرتها فيخسر ابناؤها حق الملك بمقتضى عهدته مع بتلمايس بان يختنه ابناء برنيس لا ابناء لوذيقة فدست هذه سماً لانطيوكس قضى به سنة ٢٤٦ ق م (بلين ك ٧ فصل ١٢ ويوسيفوس ك ١٧ فصل ١)

واليك مثالاً لسكته فترى على الوجه الاول راسه والتاج عليه وعلى الوجه الثاني صورة هرقل جالساً على صخرة مغطاة بجلد اسد وبيناه مثال الظفر ويسراه ممتدة الى الصخرة وكتب على جانبيه باليونانيه باسيلاوس انطيوخس اي الملك انطيوكس

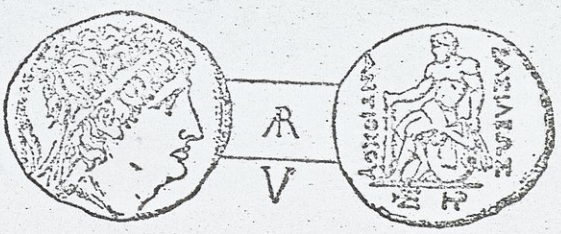

وانامت لوذيقة في فراشه رجلاً اسمه اريتمون يشبه الملك كل الشبه هيئة

وصوتاً فاوصى كثيرين من عائديه ان يرفق كبار الدولة والشعب بامرأته لوذيقة العزيزة وبابنها سلوقوس واذاعت باسمه امراً بان يخلفه بكره سلوقوس على منصة الملك وبعد ذلك نشرت خبر موته فرقي ابنها سلوقوس عرش الملك على انها لم تكن في مأمن من ضرتها برنيس وابنها وتغصب ملك مصر لهما فدبرت على اهلاكها بالاتفاق مع ابنها سلوقوس ودرت برنيس بمكيدتها ففرت الى برج في دفنة (مدينة على العاصي في الجنوب الغربي من انطاكية) فاغتالها من اقامتهم لوذيقة على حراستها وقتلوا ابنها اولاً ثم اتبعوها به مع جميع المصريين الذين لحقوا بها الى هنالك

وتمت بذلك كما مر نبوة دانيال الذي قال (فصل ١١ عد ٦) « وبعد انقضاء سنين يتعاهدان (اي ملك الجنوب وملك الشمال بتلمايس وانطيوكس) وتاتي بنت ملك الجنوب الى ملك الشمال للمسالمة لكنها لا تملك قوة الذراع ولا يقوم نسلها وتُسلَم هي والذين اتوا بها وولدها ومن قواها في تلك الاوقات »

ولما كانت برنيس مخفورة في دفنة ذاع خبرها فرق لمصابها كثيرون من سكان مدن اسيا الصغرى وارسلوا جيشاً الى انطاكية لانقاذها وسارع اخوها بتلمايس افرجات (الذي كان خلف اباه في ملكه) بعسكر جرار الى سورية لينجي اخته وابنها على ان كلا الجيشين لم يبلغا دفنة الا بعد مقتل برنيس وابنها فصرف بتلمايس والاسياويون عزيمتهم الى ان يثأروا بدمهما واتحد الجيشان تحت قيادة بتلمايس فتشفى من غيظه العادل بقتله لوذيقة وباستيلائه على سورية وقيليقية ثم عبر الفرات واستحوذ على كل مدن ما بين النهرين الى بابل ودجلة (ابيان في السوريين فصل ٦٥ ويوستينوس ك ٢٧ فصل ١ والقديس ايرونيموس في تفسير نبوة دانيال فصل ١١) ولولا ان ترغمه على العود الى مصر فتنة

نشأت في مملكته لدانت له اقاليم مملكة سورية كلها واقام في انطاكية احد قادة جيشه ليلي ما ملكه الى جبل طورس واخر ليلي ما وراءه وعاد الى مصر موقرًا بغنيمة كبيرة قدرت بما قيمته ميتان وعشرون مليوناً من الفرنكات عدا آنية الذهب والفضة وخلا نحواً من الفين وخمس مئة تمثال بعضها من تماثيل مصر التي كان كمبيس اخذها الى بلاد فارس من مصر عند حملته عليها فسر بذلك رعاياه المصريون الشديدو التمسك باصنامهم وشكروا له صنيعه ولقبوه حينئذٍ افرجات وتأويله المحسن على قول بعضهم .وقد تمت بذلك نبوة دانيال الذي قال (فصل ١١ عد ٧) « ويقوم مكانه فرع من اصولها (اي من اصول بنت ملك الجنوب ويروى من اصوله اي اصول ملك الجنوب اي ملك مصر والمعنى واحد) ويزحف بجيش ويدخل حصن ملك الشمال ويجري فيهم عمله ويغلب ويسبي الهتهم الى مصر مع مسبوكاتهم والآنية النفيسة من الفضة والذهب ويبقى اكثر من سني ملك الشمال (كذافي ترجمة الاباء اليسوعيين المطبوعة في بيروت وفي بعض الترجمات ويحرز كل نوع من الفوز على ملك الشمال) ويدخل ملك الجنوب الى مملكته (اي مملكة الشمال) ويرجع الى ارضه » (اي ارض مصر) فوضوح هذه النبوات جعل الملحدين يحسبونها اخباراً بعد وقوع احداثها وقد ابنا بطلان زعمهم

ومما رووه ان برنيس امرأة بتلمايس نذرت عند ذهاب الملك في هذه الحملة ان تجز شعرها ان عاد سالماً وتقدمه للالهة فوفت نذرها عند عوده غانماً وارسلت شعرها الى هيكل في قبرس كان بناه بتلمايس فيلادلفوس تكرمة للزهرة وبعد قليل لم يوجد هذا الشعر فحنق الملك زوجها على كهنة الهيكل وكان في اسكندرية وقتئذٍ فيلسوف من سامس اسمه قونون فقال للملك اخماداً لغضبه ان شعر برنيس تقل الى السماء واشار الى سبع كواكب قريبة من ذنب

الاسد لم يكن علماء الهيئة قد وضعوا لها اسماً قائلاً ان هي الا شعر برنيس وتابعه على قوله بعض العلماء حينئذٍ تملقاً له وللملك فكان هذا اسم تلك النجوم الى اليوم

وروى يوسيفوس (في كتابه رد مزاعم ابيون) ان بتلمايس عند رجوعه من حملته هذه مر باورشليم وقدم لاله اسرائيل كثيراً من الذبائح تكرمة له لنصره على ملك سورية ولعل الكهنة اطلعوه على نبوات دانيال فاعتقد ان من اولاه الظفر انما هو الاله الذي انذر بهذه الاحداث بفم انبيائه قبل وقوعها بقرون وكان ذلك لسنة ٢٤٥

عد ٤١٣

سلوقوس الثاني وما كان في ايامه

ان سلوقوس الثاني لما رأى بتلمايس عاد الى مصر جهز اسطولاً ومضى يسترد الى طاعته المدن التي ثارت عليه ولكن ثار عاصف شديد غرق سفنه وعسكره ولم ينجَ الا سلوقوس وقليل من حاشيته وخرجوا الى البر عراة كأن السماء سلحت عليه الرياح والامواج انتقاماً منه كما قال القديس يوستينوس وكان شعبه قد مقتوه واشمأزوا من قتله زوجه وابنه فلما حلت به هذه النازلة رقوا لحاله وقالوا كفاه عقاب الله له وعادوا الى الاستمساك والالياذ بعقوته فتيسر له استرداد بعض اعمال ملكه وحشد جيشاً يدوخ به من استمروا على العصيان على انه لم ينجح لان بتلمايس استظهر عليه واهلك نصف جيشه فعاد الى انطاكية سنة ٢٤٤ مذعوراً نادباً سوء حظه لانه لم يلح طالع سعده الا افل

وكان اهل ازمير ومناسيا من محازبي اسرة ملوك سورية وقد مر انهم نزلوا انطيوكس ثاوس ابا سلوقوس وستراتونيس امه منزلة الالهة فتحالفوا على افراغ مجهودهم بانجاد سلوقوس فشكر لهم واولاهم نعماً ومواهب فنقشوا

صورة معاهدتهم على نجدته على عمود من رخام وقد كشف عن هذا العمود ونقله توماكونت دي اروندل الى اكسفرد في ايام كرلوس الاول ملك انكلترا وهو الان في كلية اكسفرد

ورأى سلوقوس ان انضمامه الى اخيه انطيوكس اكبر ذريعة يتوسل بها الى تقويته فلجأ اليه ووعده ان يوليه على اعمال اسيا الصغرى الملحقة بمملكة سورية على شريطة ان يأتي بجيشه ليتعاضدا في الحرب فقبل اخوه شرطه واتى اليه معتمداً لا المحافظة على مملكتهما بل اتخاذها لنفسه لانه كان طماعاً يلتقف كل ما وصلت يده اليه حلالاً كان او حراماً ولذلك لقب هيركس اي الصقر او البازي وعلم بتلمايس باتفاقهما عليه فصالح سلوقوس خشية ان يقوى عليه الاخوان ووقع الملكان سنة ٢٤٣ على هدنة بينهما مدة عشر سنين

اما انطيوكس فاستمر يحشد الجند ويعد العدد مظهراً انه يصنع ذلك انجاداً لاخيه ومبطناً ثل عرشه والملك مكانه ودرى سلوقوس بما اضمره اخوه فعبر جبل طوروس قاصداً ايقافه واحتج انطيوكس بوعد سلوقوس له بالولاء على اعمال اسيا الصغرى وانكر اخوه عليه التزامه بالقيام بوعده اذ تملص من الحرب التي استنجده من اجلها فلم ينكف انطيوكس عن مطامعه ولا اجابه سلوقوس على سؤله فانتشب القتال بينهما قرب انكوره في غلاطية واستظهر انطيوكس على اخيه ونجا سلوقوس بنفسه وشاع انه قتل على ان انطيوكس قلما انتفع بانتصاره لان الجنود الذين استأجرهم من الغال صدقوا ما شاع عن قتل اخيه فهموا ان يلحقوه به ويصنعوا ما طاب لهم في اسيا بعد مقتل الاميرين فاضطر انطيوكس ان يدفع لهم كلما كان له من المال لجنوده (يوستينوس ك ٢٧ فصل ٢) وعاد سلوقوس وانطيوكس الاخوان الى النزاع والقتال غير مبالين بانتزاع ارساس والي البرتيين واومان ملك برغام بعض

اعمال مملكتهما وبعد وقائع عديدة بينهما ظهر سلوقوس على انطيوكس وهزمه لكنه استمر يسطو على بعض الاماكن بما بقي معه من الجند الى ان طرد اخيراً من ما بين النهرين ولجأ الى ارياراط ملك الكبادوك الذي كان تزوج بابنته فنقل على حميه وصمم على ابعاده عنه فهرب انطيوكس الى مصر ليلجا الى بتلمايس عدو اسرته فقبض عليه بتلمايس واودعه السجن بتحرز فبقي فيه الى سنة ٢٢٦ فتيسر له الفرار ولكن قتله اللصوص في طريقه (ابيان في السوريين ك ٦٥ ويوستينوس ك ٢٧ وايرونيموس في تفسيره نبوة دانيال فصل ١١)

ولما أريح سلوقوس من القلق الذي احدثه اخوه هم اولاً بتامين مملكته ثم سار بجيشه نحو المشرق عازماً ان يكبح من ثاروا عليه ويسترد الاقاليم التي اخذها منه ارساس والى البرتيين على انه لم ينجح بحملته هذه وارغم ان يعدل عن عزيمته لانه حدث شغب في مملكته فاضطره ان يسارع بالعود اليها ليخمد سعير الثورة فيها وان يدع مجالاً لخصمه ليتقوى ويستعد لحربه وبعد ان اخمد سلوقوس شبوب الفتنة في بلاده عاد لمحاربة ارساس فكانت هذه الحملة شراً من الاولى لان جنوده انكسرت ووقع هو اسيراً بيد عدوه وكان البرتيون يعيّدون كل سنة ليوم انتصارهم هذا ويعتدونه اول يوم لتحرير بلادهم وسموا ارساس ملكاً عليهم وكان عندهم بمنزلة كورش عند الفرس واسكندر عند المكدونيين وقد عظم ملكهم حتى غالب الرومانيين فلم ينتصروا عليه واما سلوقوس فبقي عند البرتيين خمس سنين او ستاً الى ان توفي سنة ٢٢٦ او سنة ٢٢٥ بكبوة جواده به ويلقب بكلنيشيوس اي الظافر وقد ملك نحو عشرين سنة وترك ابنين اسم الاكبر سلوقوس والاصغر انطيوكس وابنة زوجها لمتريدات ملك بنطوس وخلفه ابنه سلوقوس فكان الثالث بهذا الاسم

واليك مثالاً لسكة سلوقوس الثاني فترى في الوجه الاول صورة راسه والتاج

عليه وفي الوجه الثاني صورة ابولون واقفاً وبيمناه حربة وقد ضربت في هرقلية وكتب عليها سلوقوس باسيلاوس اى سلوقوس الملك

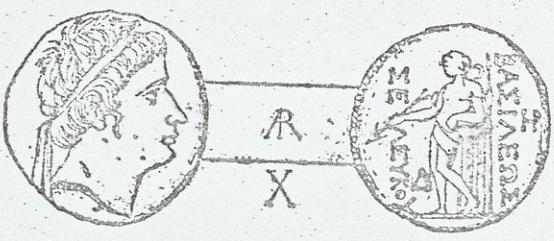

وروى يوسيفوس (ك ١٢ في تاريخ اليهود فصل ٣ و٤) انه كان في ايام سلوقوس الثاني وبتلمايس افرجات سنة ٢٣٣ ان اونيا رئيس احبار اليهود تقاعد عن دفع الجزية المعتاد دفعها كل سنة لبتلمايس وقدرها عشرون وزنة وذلك كناية عن مئة وعشرة الاف فرنك وتراكم المبلغ لتأخرهم عن الدفع سنين فارسل بتلمايس اثنين احد عماله الى اورشليم ليرغم اهلها على دفع الخراج الموظف عليهم وهددهم بالطرد من ارضهم فعظم القلق في اورشليم واوفدوا يوسف ابن اخي اونيا الحبر وكان اشتهر بذكائه وتقواه وانصافه فنال حظوة كبيرة عند بتلمايس واكرم مثواه وبرأ ساحة عمه من جريمة التقاعد عن الدفع ثم طرحت ضرائب سوريه المجوفة واليهودية والسامرة في المزاد ولم يدفع بعض تجار اليهودية في بدلها الا ثمانية الاف وزنة وذلك عبارة عن اربعة وعشرين مليوناً من الفرنكات فالتزمها يوسف بستة عشر الف وزنة اي ضعفي البدل وساله الملك كفيلاً يضمن المبلغ فقال انه يقدم كفيلاً لا يعترض احد على صلاحيته فقال الملك سمّه فقال هو الملك والملكة فضحك الملك ولما كان يتيقن صدقه وعلو مداركه أقطعه تلك الاعمال عشر سنين فقام بما وجب عليه مرضياً الملك واهل وطنه.

وادركت الوفاة بتلمايس افرجات وخلفه ابنه بتلمايس فيلوباتر اي محب ابيه سنة ٢٢٢

واليك مثالاً لسكة بتلمايس الثالث ففي الوجه الاول صورة راسه مكللاً وفي الوجه الثاني صورة قرن رمز على الخصب والاقبال

وقد كتب عليها بتلمايس باسيلاوس اي بتلمايس الملك

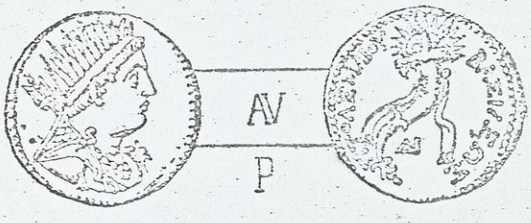

عد ٤١٤

في سلوقوس الثالث

اما سلوقوس الثالث ابن سلوقوس الثاني فملك سنة ٢٢٦ ولقبوه بشيرونوس وتأويله الصاعقة ولكن لم يكن في لقبه معنى يصدق عليه لانه كان ضعيف الجسم واهن العزيمة وكانت مدة ملكه قصيرة وكانه لم تكن له سلطة لا على الجنود ولا في اعمال المملكة ولولا تدبير ابن خاله اخايوس شؤون المملكة لاستحوذ عليها بتلمايس او غيره من اعدائها لانها كانت في اسوأ حال من جرا اعمال ابيه الذميمة ولما كان اتال ملك برغام استولى على اسيا الصغرى كلها حشد سلوقوس جيشاً وسار به يصحبه اخايوس لقتال اتال وترك تدبير المملكة لقائد اسمه هرمياس ولم يكن لسلوقوس مال يدفعه الى جنوده وكان الجنود يزدرونه لضعفه فتحالف عليه نيكاتور واباتوريوس من عماله ودسوا له سماً فقتلوه بسنة ٢٢٣ في السنة الثالثة لملكه فثأر اخايوس من قاتليه لانه امات العاملين

وكل من اشترك معهما في هذه الجريمة الفظيعة واحسن تدبير الجيش والمدافعة حتى منع انال ان يستفيد من هذه الفعلة الذميمة ولولا حسن تدبيره لما بقي شيء من املاك سورية في اسيا الصغرى فعرض الجنود وكثير من اهل الاقاليم تاج الملك على اخايوس فابى كل الاباء وسعى بان يكون التاج محفوظاً لوارثه الشرعي وهو انطيوكس اخو الملك المتوفى وكان اخوه ارسله الى بابل ليقتبس العلوم وحسن التربية فاستدعاه اخايوس الى انطاكية واجلسه على العرش سنة ٢٢٢ ق م وهو انطيوكس الملقب الكبير الاتي ذكره (يوستينوس لـ٧ فصل ٣ وغيره)

واليك مثالاً لسكة سلوقوس الثالث ففي الوجه الاول صورة راسه والتاج عليه وفي الوجه الثاني صورة ابولوّن وبيده اليمنى حربة وقد كتب عليها سلوقوس باسيلاوس اي سلوقوس الملك

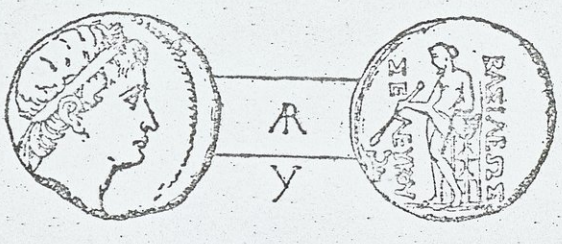

الفصل الرابع

في انطيوكس الثالث الملقب بالكبير

عد ٤١٥

في حروب انطيوكس الاولى في شرقي المملكة وفي سورية

استوى انطيوكس الثالث على منصة الملك سنة ٢٢٢ وهمَّ باصلاح شؤون المملكة واعادتها الى رونقها السابق وبعث مولون احد قواد جيشه لبلي بلاد ماداي واخاه اسكندر لبلي فارس وعهد الى اخايوس المشار اليه بولاية اعمال اسيا الصغرى واقام ابيجان رئيساً على حرسه واستوزر هرمياس كما كان في ايام اخيه فاسترد اخايوس كلما كان اثال اخذه من مملكة سورية واكرهه ان يقتصر على مملكته في برغام اما مولون واسكندر فازدريا حداثة الملك وجاهرا بالعصيان عليه واستبد كل منهما في ما ولى عليه فاستدعى انطيوكس رجال مشورته سنة ٢٢١ وسألهم ما يرون أيزحف بجيشه الى المشرق ويكبت العاصين ام يسير الى الجنوب ليسترد ما اختلسه ملك مصر من مملكته في سورية فقال ابيجان انه يلزم الملك ان يسارع الى المشرق فاما ان يرهب العاصيان صولة الملك ويذلا له واما ان يصرا فتبعث هيبته اهل البلاد على مقاومتهما وتسليمهما اليه فقاطعه هرمياس الوزير وقال ان مضيَّ الملك بجيش يسير الى العاصيين يعرضه لخطر الوقوع في يد الثائرين فالاولى ان يحمل على بتلمايس الذي لا هم له الا في بلاده فعمل بقول الوزير وعهد بقيادة الجيش لمحاربة مولون واخيه الى كسنيون وتيودت وسار الملك بفريق من الجيش نحو سورية المجوفة ليستردها

من ملك مصر

ولما بلغ الملك الى سلوقية (السويدية) وجد لوذيقة ابنة متريدات ملك بنطوس اتوا بها ليتزوجها فاقام ثمة مدة للاحتفاء بزفها اليه فكدر صفاء كأس الهناء خبر انتصار مولون واخيه على جيشه فانتبه الى غلطه بالانقياد لرأي هرمياس وهمَّ ان يضرب عن سفره الى سورية المجوفة ويعود الى الشرق ليخمد انفاس الثائرين فعارضه هرمياس قائلاً انه يجدر بالملك ان ينطلق لقتال ملك مثله ويحط من قدره ان يقاتل عماله اذا عصوا بل يبعث عليهم بعض رجال حربه فانقاد ايضاً الملك لقوله ضعفاً لا تيقناً بسداده وارسل الى المشرق كسانياس ليترأس على القائدين المرسلين اولاً ولم يكن محنكاً ولا اهلاً لهذا المقام وثقلت رياسته على سالفيه فانتصر مولون واسكندر على الجيش الملكي وبددوا شمله واستحوذوا على بابل وسائر مدن ما بين النهرين

اما انطيوكس فسار بجيشه الى سورية المجوفة وانتهى الى السهول الواقعة بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي فوجد تيودت والي سورية المجوفة من قبل بتلمايس قد حصن معابر الجبلين تحصيناً محكماً حتى يئس الملك من العبور بين تلك الحصون واضطر ان يعود على اثاره واستدعى رجال ندوته ووفاوضهم في امر العاصيين فعاد ايجان الى اثبات رأيه في المسارعة لكبتهما وان لا يترك لهما مجالاً ولا زماناً لئلا يزدادا قوة وجرأة اما هرمياس فاخذ يقرع ايجان ويطعن به ويستحلف الملك ان لا يرغب عن حملته على سورية المجوفة والا فيحسب ذلك عليه جبانة وخفة وتقلباً وحاشاه من ذلك وهو الكمي الحكيم واطرق المستشارون خجلاً وصبر انطيوكس على جسارة هرمياس كعادته ولكن اجمع رجال الندوة على الاعجال بتدارك العاصيين واظهر هرمياس من نفسه تصويب رأيهم

واخذ يغري بالاسراع الى تنفيذه فسار الملك بجيشه الى اباميا (المعروفة بقلعة المضيق) على مقربة من حماه ولم يخرجوا منها الا وحصل شغب بين الجنود لعدم وفاء علائفهم فقلق الملك واعتاص عليه وجه التخلص فاتاه هرمياس يضمن له وفاء العلائف للجنود بحيث لا يسمح لايجان ان يصحبه في هذه الحملة وكان في نيته ان يحطّ من قدر ايجان في ذهن الملك وميله اليه عالماً ان الملوك ينسون خدم رجالهم ان بعدوا عنهم فثقل على الملك اجابة سؤله وكان متيقناً حاجته الى ايجان لاخلاصه ومهارته في فن الحرب لكنه رأى ان لا مناص له من ارضاء هرمياس فامر ايجان ان يتخلف عنه في اباميا فسر هرمياس بنيل مأربه الا انه خشي ان يعود ايجان لخدمة الملك فيثار منه فاحتال ان دس بين اوراق ايجان رسالة لفقها وامضاها باسم مولون احد الثائرين موذنة بمؤامرة يهتم بها ايجان على الملك وامر هرمياس الكسيس والي قلعة اباميا ان يمضي يوماً الى ايجان ويبلغه انه مأمور بالكشف عن اوراقه ولدى الكشف وجد تلك الرسالة المزورة فارسلها الى الملك فلم يتلوم بفحص ولا محاكمة بل تلاها على مسمع بعض اعوانه فاعتقلت السنتهم عجباً ودهشةً وامر بقتل ايجان ففتل

ثم عبر انطيوكس الفرات وكان فصل الشتاء فاراح جنوده مدة ثم جمعهم في ربيع سنة ٢٢٠ وباغت احد العاصيين فظهر عليه ظهوراً تاماً وبدد شمل جنوده وبلغ به اليأس الى ان انتحر وكان اخوه اسكندر في فارس وكان لهما اخ اخر اسمه نيولاس فر الى اسكندر يخبره بما كان ولما رأيا ان لا قوة لهما على قتال الملك الظافر قتلا اولاً امهما ونساءهما واولادهما ثم انتحرا كيلا يقعا في يد الملك فهذا جزآء من عصى ملكه وعاند ولي امره ثم دان من بقي من عسكر العاصيين للملك (بوليبيوس) فعاد الى سلوقية على دجلة معتنياً

بتدبير الاعمال التي اخضعها واختار لها عمالاً امناً خبراً ومضى بجيشه الى جرجيا (كرجستان) فذل له ملكها ارتابان فصالحه على ما حسن له من الشروط . وبلغه وقتئذٍ أن قد ولد له ابن فعم السرور الملك واعوانه والجنود وطفق هرمياس وزيره يفكر كيف يغتال الملك ليكون ولياً على ابنه محرزاً السلطان المطلق في المملكة وكان الجميع يمقتونه لتشامخه وقحته والشعب يئس من ظلمه وقسوته ولم يكن احد يجسر ان يبلغ الملك شكاوي رعاياه من وزيره خيفة جوره وكان للملك طبيب لسمه ابولوفان احرز ثقته به وكان يدخل عليه دون حاجب فقص يوماً على الملك جور وزيره واعتسافه وهضمه حقوق الرعية وحذره من غدره له لئلا يحل به ما حل باخيه من الاغتيال فاليك مثالاً للخدمة الصادقة ولنفع المقربين الى الولاة اذا احتكموا وصدقوا وما احسن قول من قال ان اعظم نعمة يمن الله على الملوك بها انما هي ان يقيهم كلام المتملقين وصمت الصادقين . فانتبه الملك بنصيحة طبيبه الى مراقبة اعمال وزيره فتحقق ما اسرّه الطبيب اليه واعتزل يوماً من معسكره بحجة ترويح نفسه واستصحب هرمياس ونفراً من الجند الموثوق بهم ولما خلا بهم المكان امر الجند بقتل هرمياس فبطشوا به فجزاه الله بما جنى علىٰ ابيجان وغيره فشمل المملكة السرور لقتله وتسارع اهل اباميا عند سماعهم بخبر مقتله الى رجم امرأته واولاده بالحجارة لشدة حنقهم من مظالمه (بوليب ك ٥ صفحة ٤٠١ وغيره)

عد ٤١٦

حرب انطيوكس وبتلايس في سورية

قد عاد انطيوكس الى انطاكية بعد ان اصلح احوال الاعمال الشرقية في مملكته وقضى ثمه فصل الشتاء مكثراً من مذاكرة وزرائه فيما يترتب عليه ان يصنعه لتأمين مملكته وردها الى مجدها السالف وكان حينئذٍ امران مهمان

استنقاذ ما اختلسه بتلمايس من مملكته في سورية كما مرّ واخضاع اخايوس الذي استبد في ولاية اسيا الصغرى وسمى ملكاً بعد ان كان ابى تاج ملك سورية كما رأيت واجمع الملك ووزراؤه على ان يحاربوا بتلمايس اولاً وامر الجنودان يجتمعوا في ابامیا ليسيروا الى سورية المجوفة الا ان ابولوفان طبيب الملك اثبت في مجلس بحضرته ان الحملة على سورية المجوفة وترك سلوقية ورآهم بيد اعدائهم غلط مبين وكان موقع سلوقية عند مصب العاصي (في مكان السويدية الان او على مقربة منها) وكان بتلمايس افرجات عند غزوته سورية ليأر بدم اخته برنيس استحوذ عليها واقام فيها حامية مصرية وكانت هذه المدينة مرفا لانطاكية عاصمة الملك فاورد ابولوفان كل هذه الحجج باجلى بيان حتى بعث الملك ووزراؤه على العمل بقوله فحاصر الجنود سلوقية وافتتحوها وطردوا المصريين منها ٢١٩ ق م ثم سار الملك بجيشه الى سورية المجوفة وكان تيودت واليها المشار اليه آنفاً قلب ظهر المجن لبتلمايس ووعد انطيوكس بتسليم هذه البلاد اليه ذلك ان اعوان بتلمايس محب ابيه زينوا له ان تيودت كان له ان يصنع اكثر مما صنع عند حملة انطيوكس الاولى كأن يقبض عليه او يقتله فاستدعى الى اسكندرية فقرفه اعوان الملك وهددوه بالقتل فبرأ ساحته واخرسهم بحججه فردوه الى ولايته لكنه لم ينسَ افترآهم عليه وسوء معاملتهم له ورأى فحش الملك واعوانه وعكوفهم على ملاذهم وتعسفهم الرعية وتقاعدهم عن فروضهم حتى قيل عن الملك انه قتل اباه تعجيلاً لارثه الملك وانه لقب بفيلوباتر اي محب ابيه من باب التسمية بالاضداد وامات امه برنيس وأخاه ماكاس لئلا يزاحمه فلما رأى تيودت هذه الحال وسمع اخبار هذه الفظائع اثر ان يخدم مولى اخر واستحوذ لدن عوده على صور وعكا وجاهر بميله الى انطيوكس واخذ يراسله ويستدعيه ليغشى البلاد وكان لبتلمايس عامل اخر في سورية

يسمى نقولا ضبط معابر لبنان ليمنع انطيوكس من الاتيان الى فلسطين ودافع شديد الدفاع الى ان ارغم على تخلية تلك المعابر واستحوذ انطيوكس على صور وعكا حيث قبل تيودت جيشه بالترحاب وكان في عكا مخازن المؤن والعدد لجنود بتلمايس ففتحها انطيوكس وكان لملك مصر هناك اربعون سفينة امر انطيوكس عليها ديونات واوعز اليه ان يسير بها الى بالوس (فرمي) وعزم هو ان يزحف برًا اليها ليفتح مصر ولكن قيل له ان الوقت حينئذٍ وقت فتح اسداد النيل فيستحيل المسير في ارض مصر فاضرب عن عزمه وتشاغل بفتح مدن سورية الجنوبية ودان بعضها له طائعاً ثم استولى على دمشق بحيلة اصطنعها على دينون واليها . وكانت نهاية اعمال الحرب في هذه السنة سنة ٢١٩ حصار دورا (الطنطورا) التي كان نقولا قد حصنها واقام فيها مدافعاً دفاع الابطال حتى قنط انطيوكس من فتحها وهادن نقولا اربعة اشهر واقام تيودت واليـاً على كل ما كسبه في هذه الحملة وارجع جنوده تقضي فصل الشتاء في سلوقية (السويدية)

وهم بعضهم في مدة الهدنة بايقاع الصلح بين الملكين وكان كل منهما يرغب في كسب الزمان فبتلمايس ليتيسر له الاستعداد للحرب وانطيوكس لينتهز فرصة يردّ بها اخايوس الى طاعته وكان بتلمايس يدعي ان سوريه المجوفة وفونيقي والسامرة واليهودية وقعت في نصيب بتلمايس في قسمة المملكه بعد مقتل انتكيون بين بتلمايس وسلوقوس وكسندر وليسيماك ولذا يطلب بقاء هذه الاعمال في حوزته وكان انطيوكس يزعم ان الاعمال المذكورة وقعت في نصيب سلوقوس ملك سورية وهو وارثه وخليفته في ملك سورية فمي له وكان بينهما مشكلة اخرى فان بتلمايس كان يتطلب ان تشتمل عهدة الصلح بينهما اخايوس وانطيوكس يرفض ذلك رفضاً شديداً معيباً على بتلمايس تشيعه

لوال عصى مولاه وهو يتحين اختلاس ملكه

فانقضت مدة الهدنة ولم يقض امر فعاد الملكان سنة ٢١٨ الى المحاربة فعهد بتلمايس الى نقولا المذكور آنفا بقيادة جيشه لما ابداه من بينات البسالة والامانة وامرّ على اسطوله باريجان واوعز اليه ان يسير الى موانئ فونيقي لضرب الاعداء فجمع نقولا الجيش في غزة اولاً ثم سار به فضبط المعابر التي بين البحر ولبنان اذ لا بد لانطيوكس من العبور من هناك واما انطيوكس فامر ديونات رئيس اسطوله ان يسير سفنه للقاء العدو وسار هو في راس جيشه برًا والتقى الاسطولان والجيشان عند معابر لبنان التي ضبطها نقولا وانتشبت الحرب بحرًا وبرًا عند نهر الكلب على ما يظن اما في البحر فكانت الحرب سجالاً واما في البر فاستظهر انطيوكس واكره نقولا ان يتقهقر الى صيدا تاركاً في ساحة القتال اربعة الاف رجل بين قتيل واسير واتبع الاسطول المصري نقولا الى ميناه صيدا فتعقب انطيوكس الجيش المصري بحرًا وبرًا الى صيدا لكنه وجدها منيعة وعدد جيش العدو وافرًا وله ما يكفيه مؤونةً وعددًا زماناً طويلاً فارسل اسطوله الى صور وزحف هو بجيشه الى الجليل فاستولى على مدن عديدة وعبر الاردن واستحوذ على تلك البلاد التي كانت نصيباً لسبطي روأبين وجاد ونصف سبط منسى ودنا فصل الشتاء فعاد الى السامرة وولى عليها ايبولوكس وشيراس اللذين تركا مولاهما بتلمايس وانحازا اليه وترك لهما خمسة آلاف من جنوده لضبط البلاد واتى بباقي جنده يقضي فصل الشتاء في عكا (بوليب ك ٥ صفحة ٤٢١)

ثم في الربيع سنة ٢١٧ استأنف القتال بين الملكين فان بتلمايس ارسل الى فرمي سبعين الف راجل وخمسة الاف فارس وثلاثة وسبعين فيلاً واخذ بنفسه امرة جنده واتى فخيم في رافيا في جهة غزة والتقى جيشا العدوين هناك وكان

جيش انطيوكس ينيف قليلاً على جيش عدوه فانه كان تحت امرته اثنان وسبعون الف راجل وستة الاف فارس ومئة فيل وفيلان ودل الجيشان على مقربة احدهما من الاخر وكانت بينهما اولاً مناوشات على الماء والكلا ودخل تيودت المذكور آنفاً ذات ليلة المعسكر المصري يحجبه الظلام ويصحبه نفران من تبعته فظنه الجنود مصرياً وانتهى الى خباء بتلمايس عازماً ان يقتله ويدك دكن الحرب بضربة واحدة فلم يجده فقتل طبيبه وهو يحسبه الملك وجرح اثنين فقلق الجيش ونجا تيودت في جناح الظلام وعاد الى معسكره

وفي الغد صف الملكان جيشهما وقام كل منهما امام صفوفه ليشجع جنوده ولم تكتف ارسينوا اخت بتلمايس وامرأته ان تجرىء الجنود قبل التحام القتال بل لم تغادر بعلها في معمعة النزال فظهر انطيوكس في ميمنة جيشه على ميسرة جيش بتلمايس وتوغل في لحاقهم على غير روية فكان ذلك وبالاً عليه لان ميمنة جيش بتلمايس انتصرت على ميسرة جنده وتحولت لضرب قلب جنده من جانبه فقويت عليه وكسرته قبل ان يتمكن انطيوكس من العود لنجدته ورقب احد القادة القدماء حركة قسطل الحرب فاستدل منها على ان قلب جيشهم قد انكسر ودل انطيوكس على ذلك فاسرع عائداً لنجدة جنده ولكن فاته اصلاح غلطه لانه وجد عسكره تشتت شمله فانحاز هو عن العدو الى غزة تاركاً في ساحة القتال عشرة آلاف قتيل واربعة آلاف اسير . ولم يرَ من نفسه القوة على استئناف القتال فعاد بقية جنده الى انطاكية تاركاً ما كسبه من البلاد وتزاحمت اقدام الوفود من مدن فلسطين وفونيقي عند بتلمايس يبدون له خضوعهم وسرورهم بعودهم الى ولايته على عادة الكثير من مواطنينا الى اليوم ان يبادروا المغلوب شامتين ويتزلفوا الى الغالب متملقين وجاء في سفر المكابيين الثالث (فصل ١ وليس هو من الاسفار المنزلة) ان

بتلمايس اراد بعد انتصاره ان يجول في المدن التي استولى عليها وانتهى الى اورشليم وقدم محرقات وتقادم لاله اسرائيل ورغب في ان يدخل الى قدس الاقداس الذي لم يكن الدخول اليه مباحاً الا لعظيم الاحبار مرة في السنة فمانعه عظيم الكهنة واللاويون مبينين له حرمة المحل ونهي الهم عن الدخول اليه وعظم قلق الشعب فلم يثن الملك عن عزمه بل ازداد رغباً في الدخول واتصل الى موقف الكهنة فالقى الله عليه رعباً شديداً اسقطه على الحضيض فحمل الى الخارج كانه ميت ثم ترك المدينة وقلبه موعب حنقاً على اليهود ولسانه ناطق بالوعيد لهم واثار عليهم بعد ذلك اضطهاداً ذريعاً لا سيما على من توطن منهم في الاسكندرية وحاول اكراههم على عبادة اصنامه

اما انطيوكس فارسل الى بتلمايس بعد عوده الى انطاكية يسأله الصلح لانه رأى انكساره اذهب مهابته في اعين شعبه وخشي ان يلاحقه بتلمايس من جهة ويثب عليه اخايوس من اخرى فيثلاً عرشه ويتشطرا مملكته وفوض الى وفده ان يتساهلوا مع بتلمايس في التخلية عن الاعمال التي كانت سبب النزاع وهي سورية المجوفة اي كل ما بين لبنان الغربي ولبنان الشرقي من البلاد وفلسطين وفونيقي فوقع بينهما اولاً على هدنة مدة سنة وقبل انقضائها وقع على الصلح على الشرائط المذكورة اي ان يتخلى انطيوكس لبتلمايس عن فلسطين وفونيقي وسورية المجوفة ورغب بتلمايس في هذا الصلح مع مقدرته على اخذ مملكة سورية كلها طلباً لراحته وحرصاً على ترفه وملاذه فساء هذا الصلح شعبه وافضى استياؤهم الى الثورة عليه ونكب عن حرب خارجية فدهمته حرب اهلية (بوليب ك ٥ صفحة ٤٢٨ ويوستينوس ك ٣ فصل ١ والقديس ايرونيموس في تفسير نبوة دانيال فصل ١١)

وقد تمت بذلك نبوة دانيال (فصل ١١ عد ١٠) حيث قال « ولكن ابني

ذاك (سلوقوس الثاني ابي انطيوكس الثالث وفي رواية احد ابني ذاك) يتهيجان ويجمعان جمهور جيوش كثيرة ويزحف احدهما (انطيوكس الثالث في حربه الاولى) ويطمو ويعبر ويحل ويحارب حتى الى حصنه (اي حصن بتلمايس) فيستشيط ملك الجنوب ويخرج ويقاتل ملك الشمال (انطيوكس الثالث في الحرب الثانية) فيبرز جمهوراً عظيماً (من الجنود) فيجعل الجمهور (اي جمهور جنود سورية) في يده فيستأصل الجمهور (السوري) ويرتفع قلبه ويصرع ربوات لكن لا يعتز » اشارة الى ما مر من ثورة المصريين على بتلمايس

﴿ عد ٤١٧ ﴾

﴿ في قتل انطيوكس اخايوس وانتهائه بغزوته الى الهند ﴾

بعد ان اطمأن انطيوكس بعقده الصلح مع بتلمايس صرف همه الى قتال اخايوس الذي استبد في اسيا الصغرى ليرده الى طاعته فعبر جبل طورس سنة ٢١٦ واتفق مع اتال ملك برغام على مهاجمة اخايوس عدو كليهما فضايقاه من كل جهة حتى ارغم ان يترك ساحة الحرب ويلوذ في مدينة سرد فحاصره انطيوكس فيها وتعسر عليه فتحها مدة سنة ونيف كثرت فيها الوقائع على الاسوار الى ان فتحها انطيوكس بحيلة احتالها احد قواده وفر اخايوس الى القلعة وتحصن فيها مدافعاً دفاع الابطال ولكن خانه اكريتيان كان احدهما في مصر فارسله بتلمايس لينقذ اخايوس حليفه وزوده مبلغاً وافراً من الدراهم وقال الخائن ان له صديقاً في معسكر انطيوكس يحفر جانباً من القلعة المتحصن فيها اخايوس فيفريه بفتح مجال له للفرار ومضى الى صديقه وكشفا الامر لانطيوكس وعاهداه ان يسلماه اخايوس بهذه الحيلة فنقدهما مبلغاً اخر واوصل احدهما الى اخايوس الرسائل التي اتى بها من مصر فخدع وخرج من حصنه

ليهرب فقبضا عليه وسلماه الى انطيوكس فقطع راسه (بوليب ك ٥) وكان ذلك مصداقاً لقول الرسول (رسالته الى طيطوس فصل ١ عد ٢) « ان اهل قريطش (اي اكريت) كذبة ماكرون » وكان مقتل اخايوس لسنة ٢١٥

ثم اقام انطيوكس بعد مقتل اخايوس مدة في اسيا الصغرى ينظم امور مملكته وسار بجيشه سنة ٢١٢ ق م نحو المشرق وكان ارساس الثاني ملك البرتيين انتهز فرصة حرب انطيوكس وبتلمايس واستولى على ماداي فحاربه انطيوكس واستظهر عليه وطرده من هذه البلاد وغنم ما وجده فيها ولا سيما في هيكل انيا او انايت الآلهة حيث وجد اعمدة منشاة بالذهب وكثيراً من الاجر مصنوعاً من فضة وبعضه من ذهب ايضاً فسك ذلك انطيوكس فكان منه ما قدره بعضهم باثنين وعشرين مليوناً من الفرنكات ثم جد انطيوكس في لحاق ارساس الى بلاده وكانت بينهما وقائع عديدة فلم ينتصر انطيوكس على عدوه كل الانتصار ولكنه قصر ولايته على تخوم بلاده ثم صالحه على ان تبقى له بلاد البرتيين ويلزمه ان ينجد انطيوكس في محاربته اهل الاعمال التي ثارت عليه وكان ذلك لسنة ٢٠٨

وفي السنة التالية اي سنة ٢٠٧ زحف بجيشه الى مملكة بكتريان في تركستان وكانت تخومها تتصل قديماً بالهند فحارب ملكها اوتيدم وضائقه فاوفد اليه يطلب الصلح محتجاً بانه لم يكن من رعيته وعصاه بل ان اسلافه ملكوا هذه البلاد بما اراقوا من دمائهم في الحروب وابان له انه ان طالت الحرب بينهما اتى التتر فاخذوا البلاد من كليهما وكان انطيوكس اعياه الجهاد فقبل الصلح وارسل اليه اوتيدم ابنه فوقع على الصلح بينهما سنة ٢٠٦ وكان من شرائطه ان يقدم لانطوكيوس فيلة فاخذها انطيوكس وعبر جبل قوه قاف وانتهى الى الهند فجدد عهدته مع ملكها واخذ منه افيالاً فكانت جملة الافيال التي اتى

بها في هذه الحملة مئة وخمسين فيلاً ثم عاد في طريق فارس وبابل وما بين النهرين الى انطاكية سنة ٢٠٥ وحملاته هذه اكسبته لقب الكبير (بوليب ك ١٠ صفحه ٦٢٠)

﴿ عد ٤١٨ ﴾

وفاة بتلمايس فيلوباتر واسترداد انطيوكس فلسطين وما تبعها

لم تكن مدة مذ عاد انطيوكس الى انطاكية الا وبلغه نعى بتلمايس فيلوباتر (محب ابيه) فقد توفي سنة ٢٠٤ شهيد الخمرة والملاذ كما اصاب ويصيب اكثر من يمكنون عليهما وكان عمره سبعاً وثلاثين سنة رقي عرش الملك في العشرين منها واستمر عليه سبع عشرة سنة وخلفه ابنه بتلمايس ابيفان وعمره خمس سنين فقط .

وهذا مثال لسكة بتلمايس الرابع ففي الوجه الاول صورة راسه والتاج عليه وفي الوجه الثاني صورة نسر وجهه الى اليمين . وقد كتب عليها بتلمايس فيلوبتروس

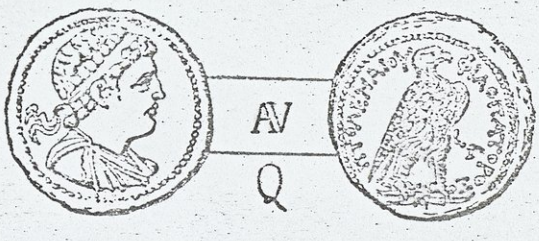

وكان انطيوكس ملك سورية وفيلبوس ملك مكدونية يتوددان بتلمايس ويظهران الاستعداد لانجاده لكنهما على فور خبر وفاته هبا لمناصبة طفله طامعين خلافاً لفروض الانسانية والعدل ان ينتزعا منه ملكه الذي ورثه عن ابيه وعقدا عهدة على قتل الوريث وتشطير مملكة مصر ليأخذ فيلبوس كاريا

وليبيا والقيروان ومصر وانطيوكس ما بقي من المملكة واحتل هذا فلسطين وسورية المجوفة واستحوذ على مدنها وما يليها بوقتين او ثلث ولكن لم يهنأ الملكان بغنيمتهما الباردة الاّ وسلط الله عليهما الرومانيين فنكلوا بمملكة فيلبوس وانتزعوها اخيراً من يده وضايقوا انطيوكس وخلفاءه لان رجال دولة مصر لما راوا موامرة فيلبوس وانطيوكس على ملكهم الصغير لجأوا الى الرومانيين طالبين حمايتهم وعرضوا عليهم الوصاية على الملك القاصر وتدبير شوون المملكة الى ان يبلغ اشده وكان الرومانيون حرصى على ان لا يزداد فيلبوس وانطيوكس قوة وصولة وغنى باخذهما مصر فلم يترددوا في قبول الوصاية وعينوا ثلاثة مفوضين يحملون بلاغاً الى الملكين لينكفا عن الاعتدا على ملك مصر الذي هم اوصيا عليه والا فيشهرون الحرب عليهما وكان من المفوضين مرقس اميل لابيدوس اقامه رجال الندوة في رومه وصياً على بتلمايس فاتى اسكندرية واخذ يتعاطى مهام وصايته فدبر شوؤن المملكة كما يسرت له الحال ونصب ارستومان وزيراً للملكة فاحسن تدبيرها بحكمة وامانة (طيطس ليف ٣١ عدد ١٤)

واضطر انطوكيس ان يسير بجيشه الى اسيا الصغرى لمحاربة اتال ملك برغام فانتهز ارستومان هذه الفرصة فارسل سكوباس قائد جيش مصر ١٩٩ الى سورية يسترد الاعمال التي اخذها انطيوكس فاخذ اليهودية ومدناً كثيرة في غيرها واقام حامية في قلعة اورشليم وعاد يقضي فصل الشتا في الاسكندرية موقراً بالغنائم التي اخذها من المدن التي فتحها (القديس ايرونيموس في تفسير نبوة دانيال فصل ١١ ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ٣) اما انطيوكس فارغمه الرومانيون ان يغادر محاربة اتال ويصطلح معه ففعل مكرهاً وعاد الى سورية فلم يصبر على ما فعله المصريون في بلاده ابان غيابه فجيش الجيش وغشا سورية الجنوبية وكان سكوباس رجع من الاسكندرية اليها فالتقى الجيشان في

بانياس من قضاء مرج عيون فظهر انطيوكس على الجيش المصري وبدده شذر مذر وفر سكوباس الى صيدا بعشرة الاف جندي بقيت من جيشه فتبعه انطيوكس وحاصر المدينة وضايقه بمنع الزاد عن المدينة فارسلت حكومة مصر ثلاثة من احسن قادة جندها ونخبة عسكرها لرفع الحصار فلم يكن لهم اليه سبيل لان انطيوكس احتاط في كل شيء واضطر سكوباس ان يقبل شروطاً مذلّة له ولحكومته وعاد بمن بقي من جنده الى الاسكندرية عزّلا لاسلاح لهم وعراة ليس لهم من الملابس الا ما يسترهم (بوليب ك١٥ وابيان في السوريين ك ١ ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ٢ فصل ٣) وسار انطيوكس من صيدا الى غزّة فناوأه اهلها لكنه قهرهم واباح جنوده ان تنتهب مدينتهم وترك حاميته في المعابر لئلا تتعقبه جنود مصر وعاد على عقبه فاخضع لسلطته فلسطين كلها وسورية المجوفة ولما علم اليهود دنو انطيوكس من بلادهم خرجوا للقائه وبايديهم مفاتيح مدنهم وحصونهم واتى اورشليم فخف للقياه الكهنة والشيوخ بمعظم الاحتفاء وعاونوه على طرد المحافظين الذين كان سكوباس اقامهم في قلعة اورشليم فجاد عليهم بنعم وامتيازات وصدر امره ان لا يدخل اجنبي داخل اسوار هيكلهم وفي ذلك اشارة الى محاولة بتلمايس ان يدخل جبراً الى قدس الاقداس فاصابه ما اصابه كما مرّ (في عد ٣٩٨) وكان ذلك سنة ١٩٨ (يوسيفوس في المحل المذكور انفاً)

قد كان بذلك تمام نبوة دانيال (فصل ١١ عد ١٢ وما يليه حيث قال «فان ملك الشمال (انطيوكس الثالث) يرجع ويبرز جمهوراً اكثر من الاول وبعد انقضاء الاوقات والسنين (اي بعد بعض سنين) يزحف بجيش عظيم ومال كثير وفي تلك الاوقات يقوم كثيرون (اي فيلبوس ملك مكدونية واهل سورية) على ملك الجنوب (بتلمايس ايفان) ويترفع بنو عتاة شعبك

(اي بعض اليهود) لتمام الرؤيا فيسقطون ويأتي ملك الشمال (انطيوكس الثالث) ويركم تلاً ويأخذ المدن الحصينة فلا تقوم امامه اذرع الجنوب (المصريون) ولا شعب مختاريه ولا تكون قوة للمقاومة (في وقعة بانياس) فالآتي عليه يفعل كيف يشاء (في حصار صيدا كما مر) ولا احد يقوم امامه فهو يقوم في الارض الفاخرة (اليهودية) فتصير بتمامها تحت يده »

وكان انطيوكس مولعاً بالفتح وعزم ان يرد مملكة سورية الى تخومها الاولى على عهد سلوقوس نيقانور فبعد ان استحوذ على سورية كلها همّ ان يصنع كذلك في اسيا الصغرى لكنه خشي ان يفترص المصريون غيابه ويسطوا على املاكه ويمنعوه اكمال رغائبه فارسل وفداً الى مصر يعرض زفاف ابنته قلوبطرة الى بتلمايس ابيفان متى بلغ العروسان مبلغ الزواج وانه في يوم الزفاف يتخلى عن اعمال سورية الجنوبية مهراً لبنته فاستحسن رجال دولة مصر ما عرضه ووقّع الفريقان على عهدة بهذا المعنى ووثق المصريون بكلام انطيوكس فتركوه يصنع ما عنّ له في غير مملكتهم (القديس ايرنيموس في تفسيره نبوة دانيال فصل ١١)

﴿ عد ٤١٩ ﴾

حملة انطيوكس على اسيا الصغرى ومناصبة الرومانيين العداوة له

بعد ان اطمأن انطيوكس من ناحية المصريين بعهدته معهم زحف بجيشه الى اسيا الصغرى سنة ١٩٦ فاستولى فيها على مدن عديدة حتى افسس وكانت حينئذٍ ازمير وغيرها من المدن اليونانية في اسيا ناعمة باستقلالها وحريتها ورأى اهلها ان انطيوكس عازم ان يبسط سلطته عليها فجزموا ان يدافعوا عن استقلالهم ورأوا من تقسهم الضعف عن مناواة عدوهم القدير فلجأوا الى الرومانيين طالبين حمايتهم ورئي في رومه ان لامناص من قصر انطيوكس عن التقدم

نحو المغرب لما ينجم عن ذلك من سوء العاقبة فلبوا دعوة المدن اليونانية بطيبة خاطر وارسلوا للحال وفداً الى انطيوكس وكان قبل بلوغ الوفد اليه ارسل فريقاً من جيشه فحاصر ازمير وعبر بالفريق الاخر من جيشه الهردنل واخذ بعض مدن تراسة ووجد ليسيماكية متهدمة فاخذ يجدد بناها ليجعلها عاصمة لملك ابنه سلوقوس في تراسة وبلغ يومئذٍ وفد الرومانيين اليه في تراسة يصحبهم بعض مفوضي المدن اليونانية في اسيا ولم يكن بين الملك والوفد في المقابلة الاولى الا المجاملة ولكن عند الشروع في بيان الغرض من ارسال الوفد تبدلت المجاملة بالنفرة لان كرنيلوس احد الوفد طلب الى انطيوكس ان يرد على بتلمايس كل المدن التي اختلسها منه في اسيا وان يتخلى عن المدن التي كانت تخص فيلبوس ملك مكدونية اذ لا يحق له ان يجني ثمرة حرب الرومانيين لهذا الملك وان يترك المدن اليونانية في اسيا وشأنها واستقلالها وقال ان الرومانيين يستغربون عبور انطيوكس الى اوربا بجيش جرار براً وبحراً ولا يتاولون ذلك الا بمعنى انه يروم مناواتهم فاجابه انطيوكس ان بتلمايس سيحصل على ما يروم عند زواجه بابنته كما ابرم الامر بينهما وان المدن اليونانية في اسيا التي تلتمس البقاء على استقلالها يلزمها ان تسأل في ذلك انطيوكس لا الرومانيين وقال انه يجدد بناء ليسيماكية لتكون عاصمة لملك ابنه سلوقوس لان تراسة تخصه فان جده سلوقوس نيقانور اخذها من ليسيماك وقد اتى هو ليضع يده على ميراثه وانه لا يرى وجهاً لمنازعتهم له على المدن التي اخذها من فيلبوس وختم كلامه بانه يسأل الرومانيين ان لا يتداخلوا فيما يكون في اسيا ويقتصروا على ما يكون في ايطالية

فطلب الوفد ان يرخص لمفوضي ازمير وليسيماك بالدخول الى غرفة الاجتماع فرخص لهم واطلقوا الناسان بشكواهم فاحتدم انطيوكس شديد

الاحتدام وقال ليس الرومانيون قضاة في هذه الامور فارفض المجلس على نفرة وخلاف مبين

وشاع وقتئذٍ ان بتلمايس ابيفان ملك مصر توفي فاسرع انطيوكس الى اسطوله ميمماً مصر ليستحوذ عليها وترك ابنه سلوقوس في ليسيماكية ليتم ما بدأ فيه على انه علم في اثناء مسيره ان خبر وفاة بتلمايس لم يكن صحيحاً فمضى الى جزيرة قبرس عازماً ان يستولي عليها فهب عاصف غرق كثيرًا من سفنه وجنوده فاضطر ان يضرب عن عزمه وتحول بما بقي من اسطوله الى سلوقية (السويدية) ومضى يقضي فصل الشتاء في انطاكية (طيطوس ليف ك ٣٣ عد ٣٨ وبوليب ك ١٧ وابيان في حروب سورية صفحة ٨٦)

واما خبر وفاة بتلمايس فمصدره مؤامرة دبرها عليه سكوباس رئيس جيشه فان هذا رأى الجيش كله طوع يديه وان الملك صغير لا يحسن كبته فسولت له نفسه ان يقتله ويأخذ تاجه ويستبد بملكه فدرى بذلك ارستومان وزيره فقبض على سكوباس واثبت جريمته وقتله وكل من شاركه فيها (بوليب ك ١٧ صفحة ٧٧١)

عد ٤٢٠

حروب انطيوكس والرومانيين

لم يجاهر انطيوكس الرومانيين بالعداوة بل احب قبل ذلك ان يعزز قوته باتخاذ الملوك مجاوريه حلفاء له فمضى الى رافيا في تخوم فلسطين من جهة مصر بابنته قلوبطرة فزوجها لبتلمايس ابيفان وتخلى عن سورية المجوفة وفلسطين مهرًا لها على شرط انه يبقي له نصف دخل هذه الاعمال كما نص في المعاهدة على ان هذا الزواج عاد وبالاً على انطيوكس لان ملكة مصر آثرت نفع زوجها على نفع ابيها فتمت بذلك نبوة دانيال (فصل ١١ عد ٧) حيث قال

« ويجعل (ملك الشمال انطيوكس) وجهه ليدخل بقدرة مملكته كلها (اي مملكة بتلمايس) ثم يصالحه ويعطيه بنت النساء وفي نيته ان يفسدها لكنها لا تثبت ولا تكون له » بل تؤثر نفع بتلمايس بعلها

بعد عود انطيوكس الى انطاكية زوّج بنتاً اخرى له باريارات ملك الكبادوك واراد ان يزوج الثالثة باومان ملك برغام فلم يرضها حرصاً على رضى الرومانيين عنه ثم زحف انطيوكس الى اسيا الصغرى فبلغ افسس عازماً على معاقبة اهل بيسيديا لشغبهم وارسل ابنه الى اعمال المشرق ليؤمنها وقد وفد عليه حينئذٍ انيبال القرطاجني عدو الرومانيين الشهير وقد كان استمر في قرطاجنة ست سنين مستكناً بعد عقد الصلح مع الرومانيين ثم وشي به ان بينه وبين انطيوكس مراسلات الغرض منها محاربة الرومانيين في ايطاليا فارسل رجال ندوتهم وفداً للبحث عن هذه الوشاية حتى اذا وجدت صحيحة امروا اهل قرطاجنة بتسليمه اليهم ودرى انيبال ما يسرون فقر بنفسه الى صور وشخص منها الى انطاكية فلم يجد انطيوكس فتتبعه الى افسس وسر انطيوكس بلقياه لما عهد به من المهارة في الحرب ولما اعتاده من كسر جنود الرومانيين وعزم على الحرب واخذ يستعد لها سنة ١٩٦ وسنة ١٩٥ وتوفرت المداولات بين الفريقين سنة ١٩٣ ولكن لم يكن الغرض منها الا كسب الوقت لتكملة العدد الحربية واستطلاع كل منهما ما اعتمد عدوه وكان الرومانيون انتصروا سنة ١٩٧ على فيلبوس الخامس ملك مكدونية حليف انطيوكس فاشتد بأسهم واستخفوا بانطيوكس وكان انيبال يرى انه يلزم محاربة الرومانيين في ايطاليا ولم يكن يطلب الا مئة سفينة وعشرة الاف راجل والف فارس ليمضي بهم الى قرطاجنة آملاً ان يبعث اهلها على الانضمام اليه وانه اذا لم ينجح بضمهم اليه سار توّا الى ايطاليا باسطوله ولا تعوزه الوسائل لاشغال بال الرومانيين وانه

يلزم الملك ان ينشوا اوربا بباقي جيشه فيقيم في مكان ما في بلاد اليونان ويهدد الرومانيين بانه سيزحف الى ايطاليا وارسل انيبال رجلاً من صور الى قرطاجنة ليعد اهلها لقبول ما يرتئيه فاقتضح امره وظهر مأربه فانهزم من قرطاجنة واخبر رجال ندوة قرطاجنة الشعب الروماني بما كان

وكان فيلبوس احد وفد الرومانيين في اسيا الصغرى وعلم ان انطيوكس مشتغل في حرب بيسيديا وان انيبال في افسس فاتاه واكثر من الترداد اليه مجداً بان يوثقه بان لا خوف عليه من قبل الرومانيين فلم يثق انيبال بكلامه لكنه صيد بمكيدته بان اوقعت كثرة تردده اليه شبهة انطيوكس باخلاصه وتحرزه منه ولذلك لم يعد يستدعيه عند عقد مشوراته وشعر انيبال بتغير الملك عليه فقابله ومن جملة ما قال « اني منذ صبوتي اليت اني اكون عدواً للرومانيين ما حييت وهذه اليمين هي التي جعلتني احاربهم ستاً وثلاثين سنة وابعدتني عن وطني والجأتني اليك فان خيبت آمالي ارغمتني ان اجول الارض مهيجاً على عداوة الرومانيين وان عولت على حربهم فاكتب اسمي في اعلى جريدة محبيك وان اضطررت الى مسالمتهم فاسألن رأي غيري فلا اشير على احد بالمسالمة لهم » فاظهر له انطيوكس عوده الى الثقة به . وكانت منازعات بين عشائر اليونان في بلادهم واختلاف بين عشيرة الاتوليين وبين الرومانيين فاستدعى اليونان انطيوكس ليأمن بلادهم ويفصل هذا الخلاف فاتى بلاد اليونان فاستاء الرومانيون من ذلك وعالنوه بالحرب فحاربه بعض اليونان وانحاز بعضهم الى الرومانيين واشار عليه انيبال ان يستقدم كل جنده من اسيا فلم يُصغِ له اوضاق الوقت على قدومهم واستحوذ انطيوكس على مدن كثيرة في تساليا واتى كلشيس (المعروفه الان باغريبو في بلاد اليونان) فاغرم ببنت مضيفه كانه ابن عشرين سنة وقد جاوز الخمسين وذهل عن مهامه وصرف مدة الشتا بملاهي زواجه ولهي جنده

بملاذهم اقتفاء به ولم يتفق الا عندما علم ان اشيل قائد الرومانيين قد باغته في تساليا فهب لمناوأته لكنه لم يجد من جند اليونان محازبيه الا قليلين وفاته تدارك خديعته ولم يتيسر له الا ان يضبط مضايق جبل ترموبيل وان يستنجد الاتوليين (عشيرة يونانية) وحال المطر والعواصف دون بلوغ الجيش من اسيا ولم يكن يصحبه الا عشرة الاف رجل وزحف اليه اشيل بعسكر جرار وارسل كاتون نائبه بفريق من الجند ليتسلق على الجبل ويتمكن من ضرب العدو فعمل وشتت اولاً بعض جنود انطيوكس الذين عارضوه في طريقه ثم شن الغارة على قلب جيش العدو والتقاه اشيل من الجهة الاخرى فاوقع باعدائه واصيب انطيوكس بضربة حجر كسرت اسنانه فبعثه الالم على مغادرة ساحة القتال ولم يستطع جيشه ان يقفوا امام الرومانيين فذعروا واعمل الرومانيون السيوف فيهم فهلك منهم خلق كثير وكان ذلك لسنة ١٩٢ ق م واوفد اشيل البشائر الى رومه فطرب اهلها بها وامر رجال ندوتها باقامة صلوات عامة وتقدمة ذبائح للالهة شكراً لهم على ما اولوا جنودهم من الظفر وكانوا قدموا مثل هذه الذبائح عند مضي جنودهم للحرب وليت المسيحيين عباد الاله الحق يتشبهون بعباد الالهة الكذبة في الخشوع لله وشكره . (طيطوس ليف ك ٣٦ وابيان في السوريين صفحة ٣٤٣)

اما انطيوكس فعاد الى افسس راكناً الى كلام المتملقين بان الرومانيين لا يجسرون ان يعبروا اسيا وكان انيبال ناصحاً له ان لا يطمئن الى تزويق كلامهم فانه لا مناص له في اقرب حين من مدافعة الرومانيين في اسيا براً وبحراً فيلزمه اما ان يتخلى عن الملك اما ان يستعد للقتال لان الرومانيين عازمين ان يتولوا على العالم كله . فادرك الملك عظم الخطر الملم به وامر بتعجيل قدوم الجيش من المشرق وجهز اسطولاً وسار الى تراسة فحصن ليسيماكية وغيرها

من الحصون ليمنع الرومانيين من العبور الى اسيا بالدردنل وعاد الى افسس وامر بوليكسانيد امير اسطوله ان يضرب اسطول الرومانيين الذي كان قد بلغ الى جزر الارخبيل فضربه ولكن ظهر الرومانيون عليه وغرقوا عشراً من سفنه واخذوا منه ثلث عشرة سفينة فهم انطيوكس بتجهيز اسطول اخر وارسل انيبال الى سورية ليأتيه بسفنها واقام ابنه سلوقوس على فريق من الجيش ليحافظ على سواحل البحر ومضى هو بالفريق الاخر يقضي فصل الشتاء في فريجيا

اما الرومانيون فاقاموا على قيادة جيشهم سنة ١٩٠ كرنيليوس شيبيون بدلا من اشيل وتطوع اخوه شيبيون الافريقي بان يكون نائباً له وزحفا بجيش الرومانيين من تسالية الى مكدونية وتراسة ليعبرا به الى اسيا واوعزا الى اسطول الرومانيين بان يلتقيهم لتيسر معبر الجنود واتى لنجدتهم اسطول رودس فوثب اسطول انطيوكس على سفن الرودسيين في مرسى ساموس فغرق وحرق تسعاً وعشرين سفينة منه فتغيظ الرودسيون منه والتقوا انيبال الذي كان آتياً بسفن سورية وفونيقي تجاه بنفيليا فاستظهروا بمتانة سفنهم ومهارة بحارتهم على هذا القائد العظيم وهزموه الى البر وحصروه حتى استحال عليه ان ينفع انطيوكس بشيء وحاول انطيوكس ان يستميل اليه ملك بتنيا فخاب امله لان الرومانيين سبقوه الى صداقته فعاد الى افسس واستعرض جيشه وامر بوليكسانيد امير اسطوله ان يضرب اسطول الرومانيين مرة اخرى ففعل ولكن انتصر الرومانيون عليه وارغموه ان ينهزم الى افسس فاعمى الله بصيرة انطيوكس وامر جيشه الذي كان في ليسمياكية وغيرها من المدن المجاورة الدردنل ان يترك هذه المدن مخافة ان يقع في ايدي الرومانيين فغادرها تاركاً ماكان له فيها من المؤن غنيمة باردة وعبروا الى اسيا (طيطوس ليف وابيان في المحال المذكورة)

ولما علم انطيوكس ان الرومانيين عبروا الى اسيا تيقن هلاكه وود لو

نار الحرب على انطيوكس فذُعر وانهزم ودارت الدوائر عليه لانه قتل من عسكره نحو من خمسين الف رجل واسر الف واربعمائة ولم يقتل من عسكر الرومانيين الا ثلث مئة راجل وثمانون فارساً وانهزم انطيوكس وعاد مدحوراً الى سورية ولم يشهد هذه الوقعة انيبال اذ استمر محصوراً في بثينيا ولاشيبيون الافريقي لانه بقي مريضاً ودانت جميع مدن اسيا الصغرى الى الرومانيين وكان ذلك لسنة ١٩٠ ق م (طيطوس ليف ك ٣٧ وبوليب ف ٢٠ وابيان في المحل المذكور) وقد تمت بذلك نبوة دانيال حيث قال (ف ١١ ع ١٨) « يصرف (اي انطيوكوس الثالث ملك الشمال) وجهه نحو الجزائر (اي جزائر البحر المتوسط وبلاد اليونان) ويأخذ كثيراً منها ويزيل قائد (روماني وهو شيبيون الاسياوي) تعييره حتى لا يعود يعيره » وفي نسخة وعاره يقع عليه

عد ٤٢١

الصلح بين انطيوكس والرومانيين وغرامة الحرب

لما بلغ انطيوكس الى انطاكية بعث وفداً الى القائد الروماني يرأسه انتيباتر ابن اخيه يسأل الصلح والامان فوجد الوفد القائد في افسس وكان اخوه شيبيون بلَّ من مرضه فتوجهوا اليه اولاً ثم سار بهم الى القائد فلم يلتمسوا معذرة لانطيوكس بل سالوا الصلح باسمه متذللين ومما قالوا « قد غفرتم انتم الرومانيين ابداً بعزة نفسكم عن الملوك والشعوب الذين انتصرتم عليهم ولا شك في انكم تصنعون الان كذلك بعد انتصار جعلكم سادة العالم كله حتى ضارعتم الالهة فدعوا المنافسة للناس جانباً وارفقوا بالمائتين » فعقد القائد لجنة مشورته وجزموا على ما يجيبون ثم ادخلوا الوفد واخذ شيبيون الافريقي في الكلام فقال ان الرومانيين لا تهولهم الشدة ولا ينتفخون بالظفر وعليه فلا يطلبون بعد الحرب الا ما طلبوه قبلها ولهذا يلزم انطيوكس ان يتخلى عن كل ما وراء جبل طورس من اسيا

الصغرى ويفي نفقات الحرب البالغة خمسة عشر الف وزنه وهي عبارة عن ثلاثة وثمانين مليوناً من الفرنكات فينقد الان خمس مئة وزنة ويدفع الفين وخمس مئة وزنة بعد ان يثبت رجال الندوة عهدة الصلح ويقسط الباقي انجماً الى اثنتي عشرة سنة فيدفع كل سنة الف وزنة ويقدم عشرين رجلاً يختارهم الرومانيون رهائن ويسلم الى الرومانيين انيبال عدوهم وتواس الاتولي الذي تسبب باصطلاء هذه الحرب فقبل الوفد هذه الشروط برمتها

وبعث القائد بكوتا مع وفد انطيوكس الى رومه ليطلع رجال الندوة على ما كان ويلتمس اثباته ونقد انطيوكس القائد الخمس مئة وزنة في افسس وقدم له الرهائن وكان منهم انطيوكس ابنه الذي رقي بعداً الى منصة الملك وسمي انطيوكس ابيفان اما انيبال وتواس فمذ شعرا بتعاطي امر الصلح فرا قبل التوقيع على عهدته وكان بلوغ كوتا ووفد انطيوكس الى رومة باعثاً على اعظم السرور والابتهاج وفرضت الحكومة اقامة الصلوات العامة وتقدمة الذبائح للالهة ثلاثة ايام متتالية شكراً للالهة على ما قيضوا لجيشهم من الظفر . ثم مثل اوفد انطيوكس بحضرة رجال الندوة ولم يسألوا الا اثبات عهدة الامان والصلح التي اجراها شيبيون القائد فاثبتها رجال الندوة ثم ايدت في ديوان الشعب وكان ذلك ١٨٩ ق م (طيطوس ليف ك ٣٧ عد ٤٥ وبوليب راس ٢٤)

وقد جاء في سفر المكابيين الاول (فصل ٨ عد ٦ الى ٨) استطراداً ذكر بعض الشروط المذلة التي وضعها الرومانيون على انطيوكس فاننا نرى يهوذا المكابي عند كلامه في اقتدار الرومانيين وقهرهم الملوك يقول . وكسروا انطيوكس الكبير ملك اسيا الذي زحف لقتالهم ومعه مئة وعشرون فيلاً وفرسان وعجلات وجيش كثير جداً . وقبضوا عليه حيًّا وضربوا عليه وعلى الذين يملكون بعده جزية عظيمة ورهائن ووضائع معلومة . وان يتركوا

تملص من حرب جناها على نفسه دون روية في عواقبها وبعث وفداً الى رومة يعرض شرطاً للصلح وكان رئيس الوفد هركليد البيزنطي وكان يأمل عقد الصلح بعناية شيبيون الافريقي لان ابنه كان اسيراً عند انطيوكس فاستهل هركليد كلامه في الندوة الرومانية بالتماس عذر لمولاه عن قبول الصلح فيما مضى لدواعٍ قد زالت الان وانه لرغبته في ان يثبت للرومانيين انه لا يبقى ملكاً في اوربا بل يترك كلما فيها للرومانيين قد تخلى عن ليسيماكية واستقدم جنوده منها وانه مستعد ان يتخلى عن ازمير ولمساك واسكندرية في ترويا وغيرها من المدن لمحالفيهم كما طلبوا اليه اولاً وانه لا يأبى ان يدفع نصف نفقات الحرب واختتم كلامه مذكراً رجال الندوة بتقلب الايام وعدم ثباتها على حال وانه لا يمكن التعويل على حسن الحظ في كل آن ويكفي ان تشمل تخوم ملكهم اوربا الواسعة الارجاء وانهم اذا طمعوا ان يكون لهم شيء في اسيا فلا يأنف مولاه من تنويلهم ما يبتغون بحيث توضع تخوم راهنة لا يتجاوزونها فيما بعد . فكان الجواب على كلامه ان مولاه تسبب في انتشاب الحرب فيغرم بدفع نفقاتها كلها وانه لا يكتفي بتخليه عن المدن التي ذكرها بل يلزمه ان يطلق الحرية لجميع سكان اسيا كما اطلقها لجميع اليونانيين وان ذلك يستلزم تخليه عن كلما كان في اسيا الصغرى وراء جبل طورس

ولما رأى هوكليد انه لم ينجح في الندوة حاول ان يستميل شيبيون الافريقي فاتاه واعداً من قبل الملك بان يرد عليه ابنه دون فدية ولجهله اخلاق الرومانيين اسمعه ان الملك يفقده مبلغاً وافراً ويخوله سلطاناً مطلقاً لديه ان عاونه على عقد الصلح فاجابه شيبيون «لا اتعجب من جهلك اخلاقي واخلاق الرومانيين لجهلك حالة مولاك الذي اوفدك الينا وقد زعمت انه لا ينبغي الاعتماد على الحظ في كل حين وان هذا يحملنا على الصلح فمولاك بتركه لنا ليسيماكية

وعدم معارضتنا في عبور الدردنل قد وضع لنا حكمة في فمه ونيراً على عنقه ولم يبقَ له الا ان يذل لنا في كلما نريد واما رده عليَّ ابني فلا يغيريني شيئاً فيما اني قرد اشكر له على هذا الاحسان وهذه الهدية الثمينة ولكن بما اني رجل الحكومة فلا يحق له ان يأمل شيئاً من قبلي فاذهب وقل له انه اذا وثق بي فليطرح سلاحه ويتقبل كلما يعرض عليه من شرائط الصلح فهذا مايشير به عليه صديق مخلص وامين له .

وقد رأى انطيوكس ان الشروط التي توضع عليه بعد الانكسار في الحرب لا تكون اشد عليه منها قبلها فآثر الحرب ولو غلب فيها على قبول شرائط الصلح المذلة له دونها واستعد للقتال وعرف ان شيبيون مريض فارسل اليه ابنه وكان علة لشفائه وبعد ان عانق ابنه طويلاً قال له اذهب فقل لوفد الملك اني شاكر له وليس لي ما ابدي له به دليل عرفاني جميله الا مشورتي عليه ان يؤخر ايقاد الحرب الى ان يعلم اني عدت الى المعسكر لانه كان متخلفاً عن الجيش لمرضه وكان يأمل ان الملك يزيد البصر في غائلة الحرب اياماً عملاً بمشورة شيبيون وكان جيشه سبعين الف راجل وثنى عشر الف فارس واربعة وخمسين فيلاً وكان جيش الرومانيين منظماً ورجاله مدربين في القتال وجيش انطيوكس لفيفاً مؤلفاً من اخلاط من امم عديدة ولما طال المكث وجيش الملك لم يبدِ حراكاً خشي الرومانيون ان يدخل فصل الشتاء فيؤذي البرد رجالهم في الخيم فصف القائد الروماني صفوفه للحرب واقترب من معسكر الملك فخرجت جيوش انطيوكس اليهم وانتشب القتال وظفر انطيوكس بفرسانه على ميسرة الرومانيين ورأى مرقس اميليوس احد امراء الجيش فرار جنودهم فاسرع بفريق منهم منجداً وموبخاً الهاربين على جبانتهم وامر جنده ان يبطشوا بطلائع الفارين ففعلوا واثر الفارون العود لساحة القتال على القتل فعادوا واضرموا

بلاد الهند ومادي وخيار بلادهم واخذوها منه واعطوها لاومنيس الملك ،وكل ذلك يطابق ما رويناه عن المؤرخين القدماء فالجزية الفاحشة والرهائن والتخلي عن كل البلاد الواقعة وراء جبل طورس رويناها عنهم كما رأيت وربما كانت كلمة الهند خطأ من النساخ صوابه بلاد اليونان في اسيا ولم يفِ انطيوكس الجزية المضروبة عليه كلها اذ لم يعش بعد الصلح الا سنتين كما سترى فلزم من ملك بعده ان يفي ما بقي من انجمها في مدة السنين العشر مصداقاً لما جاء في الكتاب وقد اجمع كل المؤرخين القدماء الذين كتبوا اخبار هذه الاحداث ان اومنيس او اومان ملك برغام عاون الرومانيين بنفسه ورجاله على انطيوكس فاعطوه كلما طلب ولم ينفرد كاتب سفر المكابيين الا بذكره ان الرومانيين قبضوا على انطيوكس حياً وهذا يؤذن به قوله عهدة شديدة الجور والقسوة عليه (ملخص عن معجم الكتاب لفيكورو في كلمة انطيوكس الثالث)

ذيل في سفري المكابيين

لما كنا نستشهد كثيرًا سفري المكابيين في كلامنا الآتي كان الجدير بنا ان نطرف قرأنا بلمعة يتبين منها صحة هذين السفرين وكاتبهما وترجمتهما وزمان كتابتهما فالكنيسة الكاثوليكية تحصي هذين السفرين بين الاسفار المنزلة ستدًا الى تقليد الاباء والمجامع منذ القرون الاولى للنصرانية وما حواه هذان السفران من تاريخ سورية ومصر يطابق ما رواه المؤرخون العالميون القدماء وتاريخ السنين الوارد فيها يوافق كل الموافقة التواريخ التي تؤخذ عن مسكوكات الملوك اليونان في سورية ومصر وقد نفى البروتستانت السفرين من عداد الكتب المنزلة على ان اكثر علمائهم الان يثبتون ان كل ما انطويا عليه من اخبار فلسطين والمكابيين يستوجب التصديق ولا مرية في صحته لكنهم

يوردون بعض اعتراضات على بعض آياتهما نرد اكثرها في محالها

اما كاتب السفر الاول فغير معروف ويظهر من قوله في آخره « وبقية اخبار يوحنا ... مكتوبة في كتاب ايام كهنوته » انه كتبه لبضع سنين من موت سمعان الذي كان سنة ١٣٥ ق م وربما كان ذلك قبل وفاة يوحنا هركان سنة ١٠٧ وقد كتب هذا السفر بالعبرانية لقول القديس ايرونيموس « اني وجدت سفر المكابيين الاول بالعبرانية واما السفر الثاني فباليونانية وهذا ظاهر من نسق عبارته » على ان النص العبراني الاصلي مفقود الان وترجمته اليونانية عربية في القدم لان يوسيفوس اعتمد عليها في كتابه تاريخ اليهود وكثيراً ما انتحل كلماتها كلمة كلمة وله ترجمة سريانية قديمة طبعت في جامعة (الكتاب بعدة لات) لاجاي الباريسة وفي جامعة ولتن اللوندنية وهي مأخوذة عن اليونانية وبينهما طباق بيّن

واما سفر المكابيين الثاني فليس تكملة للاول بل هو مستقل بنفسه وهو قسمان حوي الاول رسالتين من اليهود في فلسطين الى اخوتهم في مصر وينطوي الثاني على تاريخ بعض الاحداث واما كاتبه فغير معروف ايضاً ويظهر انه كان في اورشليم وكان من اليهود المتخرجين بعلوم اليونان وقد كتب في اليونانية كما مر ولا يمكن ان يعين زمان كتابته لكن من المؤكد انه لم يكتب قبل سنة ١٢٤ ولا بعد سنة ٦٣ اذ اخذ بومبايوس اورشليم فيمكن ان يكون قد كتب في زمان يوحنا هركان الاول الذي قضى سنة ١٠٧ او بعيده

﴿ عد ٤٢٢ ﴾

﴿ مقتل انطيوكس الكبير وذكره في سفري المكابيين ﴾

قد ارتبك انطيوكس في اعداد المال الذي وجب عليه للرومانيين فمضى مطوفاً في اعمال المشرق يجبو ما يتكفل بوفاء الغرامة وترك تدبير ملكه مدة

غيابه الى سلوقوس ابنه الذي جعله وريثاً له ولما انتهى الى بلاد العيلاميين في فارس قيل له ان في هيكل يوبيتر بالوس كنزاً عظيماً فلم يقوَ الملك الوثني مع فاقته القصوى الى المال على ان ينبذ هذه التجربة الشديدة وسولت له نفسه ذريعة تذرع بها للنهب محتجاً بان اهل هذه البلاد ثاروا عليه فدخل الهيكل ليلاً وابتزّ كلما كان في الهيكل من اقدم الدهر فحنق الشعب وثار عليه وقتله وكل حاشيته وكان ذلك لسنة ١٨٧ ق م (روى ذلك سترابون ك ١٦ فصل ٧٤٤ والقديس يوستينوس ك ٣٢ فصل ٢ وديودر فقرة ٢٦ والقديس ايرونيموس في تفسير نبوة دانيال اذ قال (ف ١١ ع ١٩) ، ويصرف (انطيوكس الكبير) وجهه الى حصون ارضه ويعثر ويسقط ولا يوجد ،

وهذا مثال لسكة انطوكيس الكبير ففي الوجه الاول صورة راسه والتاج عليه وفي الوجه الثاني ابولون جالساً وبيمينه سهم وفي شماله قوس كتب عليها باسيلاوس انطيوخس اي الملك انطيوكس

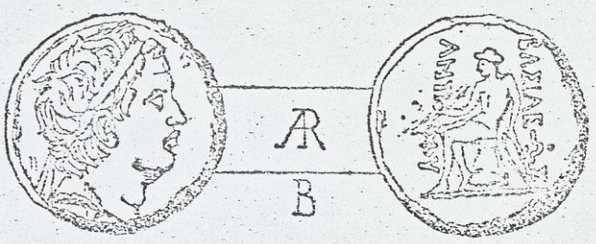

قد مرّ ان كاتب سفر المكابيين الاول ذكر استطراداً انطيوكس الكبير واستظهار الرومانيين عليه لكن لم يقل شيئاً في موته وجاء في سفر المكابيين الثاني (فصل ١ عد ١٣ الى ١٦) ، فانه اذ كان الملك في فارس يقود جيشاً لا يثبت امامه احد نكبُوا في هيكل النناية بحيلة احتالها عليهم كهنة النّاية .

وذلك انه جاء انطيوكس ومن معه من اصحابه الى هناك متظاهراً بانه يريد ان يقارنها وفي نفسه ان يأخذ المال على سبيل الصداق . فابرز كهنة النتاية الاموال ودخل هو مع نفر يسير الى داخل المعبد ثم اغلقوا الهيكل . فلما دخل انطيوكس فتحوا باباً خفياً كان في ارض الهيكل وقذفوا حجارة رموا بها القائد ثم قطعوهم قطعاً وجزوا رؤسهم والقوها الى الذين كانوا في الخارج ، ولكن جاء في سفر المكابيين الاول (فصل ٦ عد ١ فصاعداً) ما مؤداه ، ان انطيوكس الملك كان يجول في الاقاليم العليا وسمع بذكر المايس وهي مدينة بفارس مشهورة باموالها من الفضة والذهب وان بها هيكلاً فيه كثير من الاموال وسجوف الذهب والدروع والاسلحة فاتى وحاول ان ينهب المدينة فلم يستطع لان اهل المدينة ثاروا عليه وقاتلوه فهرب ومضى من هناك راجعاً الى بابل وجاءه مخبر بان الجنود التي وجهت الى ارض يهوذا قد انكسرت فبهت واضطرب جدا وانطرح على الفراش واوقع الغم في السقم ومات هناك انطيوكس في السنة المئة والتاسعة والاربعين ، لتاريخ السلوقيين وجاء في سفر المكابيين الثاني (فصل ٩ عد ١ وما يليه) ما ملخصه ، ان انطيوكس كان منصرفاً عن بلاد فارس بالخزي وكان قد زحف على مدينة اسمها بر سابوليس وشرع ينهب الهياكل ويعسف المدينة فبادر الجموع الى السلاح فدفعوه فانهزم بالعار ولما كان عند احتاه بلغه ما وقع لنكانور واصحاب تيموتاوس في اليهودية فاستشاط على اليهود مهدداً فضربه الرب ضربة معضلة فلم يفرغ من تهديده حتى اخذه داء في احشائه ومغص اليم في جوفه ولم ينكف عن كبريائه بل كان يحث على الاسراع في السير حتى سقط من عجلة فترضضت جميع اعضاء جسمه حتى نتن جسده وانبعثت منه الديدان وتساقط لحمه فارعوى عن ضلاله وكتب الى اليهود رسالة رقيقة (مثبتة في الفصل المذكور) لكن الله لم يعفُ عنه بل مات بعد آلام

مبرحة على الجبل في ارض غربة ،

وقد كان في تفسير هذه الايات وتوفيق احداها مع الاخرى اشكال عند المفسرين لاسيما لعدم التفريق بين انطيوكس وانطيوكس بعدد او لقب كما نصنع الان وقد سمي ثلاثة عشر ملكاً من ملوك سورية باسم انطيوكس ووهم كثير منهم ان انطيوكس الذي ذكر في الفصل الاول من سفر المكابيين الثاني انه قتل في الهيكل وانطيوكس الذي ذكر انه مات في مرضه انما هما واحد ولا يخفى ما في ذلك من التناقض البيّن بين موت احدهما قتيلاً وموت الاخر من مرض وان اتفق الخبران بذكر نهب هيكل فهب الكاتب غير ملهم فلا ينقض قوله الاول بقوله الثاني فالصحيح اذاً ان انطيوكس الذي قتل في الهيكل وجاء ذكره في الفصل الاول من سفر المكابيين الثاني انما هو انطيوكس الثالث الملقب بالكبير وقد ذكرنا آنفاً اقوال المؤرخين القدماء انه مات كذلك وان انطيوكس الذي مات مريضاً في الطريق والذي جاء ذكره في الفصل السادس من سفر المكابيين الاول وفي الفصل التاسع من سفر المكابيين الثاني انما هو انطيوكس الرابع الملقب بابيفان مضطهد اليهود وهو ابن انطيوكس الثالث وقد اوجز صاحب السفر الاول بخبر موته واسهب صاحب السفر الثاني فيه (ملخص عن المعجم الكتابي لفيكورو في كلمة انطيوكس الثالث)

ان انطيوكس الثالث الكبير لم يضطهد اليهود كما فعل ابنه انطيوكس الرابع ابيفان على انهم تحملوا اشد الضيق ولا سيما في سني ملكه الاولى لدى حربه مع ملك مصر قال يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ٢١ فصل ٣) ، ان محاربة هذا الملك (انطيوكس الكبير) لبتامايس محب ابيه ولابنه الملقب ابيفان اوقعت اليهود في اشد الضيق غالباً كان ام مغلوباً حتى كانوا حينئذ اشبه بسفينة تلطمها الامواج من كل جهة اذ كانوا في وسط المتحاربين ، ولو لم يقتل

انطيوكس في هيكل التنائية لعاد الى اليهودية ومصر ليحشد ما يفي به غرامة الرومانيين وليثأر من ملك مصر ولهذا نرى اليهود الذين كتبوا الرسالة المثبتة في اول سفر المكابيين الثاني الى اخوانهم المتوطنين في مصر يقولون « انهم شكروا الله الشكر الجزيل على انه خلصهم من اخطار جسيمة » وقد رقي انطيوكس هذا منصة الملك سنة ٢٢٣ ق م واستمر عليها الى سنة ١٨٧ فمدة ملكه ست وثلاثون سنة وخلفه ابنه سلوقوس الرابع

الفصل الخامس

في سلوقوس الرابع وانطيوكس ابيفان ابني انطيوكس الكبير

عد ٤٢٣

في سلوقوس الرابع

خلف انطيوكس الكبير بكره سلوقوس الرابع ولقب فيلوباتور اي محب ابيه وكان خامل الذكر ذليلاً لاذلال الرومانيين مملكة سورية واثقالها بغرامة الحرب اذ كان يترتب عليه بمقتضى عهدة الصلح مع ابيه ان يدفع لهم كل سنة الف وزنة وهو عبارة عن خمسة ملايين وخمس مئة الف فرنك وقد مرّ ان بتلمايس ابيفان ملك مصر كان تزوج بقلوبطرة ابنة انطيوكس فولدت في سنة وفاة ابيها ابناً خلف اباه وسمي بتلمايس فيلوماتور اي محب امه وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ٤) ان اهل المملكة كلها سروا

بشرى ولادته وذهب كثيرون من اعيان سورية ووجهائها الى الاسكندرية للتهنئة بمولده ولما كان يوسف ابن اخت اونيا الحبر (قد مر ذكره) هرماً لم يتمكن من المسير ارسل هركان اصغر بنيه وكان هركان ذكياً رقيقاً لطيف المحاضرة فرحب الملك والملكة بهولاء الاعيان وادبوا لهم فاراد بعض الجلساء ان يسخر من هركان لصغر سنه فوضعوا امامه العظام التي جردوا اللحم عنها وقال احدهم للملك «هاك مولاي كم من العظام امام هركان فكذلك ابوه يلتقم دخل سورية كلها» لان الملك كان اقطعه اياها فضحك الملك وقال لهركان من اين لك هذه العظام كلها فاجابه «لا عجب مولاي لان الكلاب تاكل اللحم مع العظام كما صنع هولاء واما الناس فياكلون اللحم ويتركون العظم كما صنعت» فضحك الملك حتى استلقى وخجل من عبثوا به وقدم هركان وحده اكثر مما قدمه اعيان سورية معاً فاحرز مسرة الملك والملكة واحباه واكرماه

وعزم بتلمايس ايفان ان يثير حرباً على سلوقوس ملك سورية واخذ يستعد لها فسأله احد اعوانه من اين له المال لنفقة هذه الحرب فقال له ان اصدقاءه يغنونه عن المال فتوهم اعوان الملك وعماله انه يريد ان يثقلهم بنفقات الحرب وكان تعسف الرعية وجار فيها وتوفرت ثوراتهم عليه وكان عماله يؤثرون نفعهم على اداء فروض الامانة له فدسوا له سماً فقضى به سنة ١٨١ بعد ان ملك اربعاً وعشرين سنة وخلفه ابنه بتلمايس محب امه المار ذكره وعمره ست سنين وكانت امه قلوبطرة تدبر الملك

وهذا مثال لسكة بتلمايس الخامس فترى في الوجه الاول صورة راسه والتاج عليه وفي الوجه الثاني صورة صاعقة مجنحة وقد كتب

عليها بتلمايس ابيفان

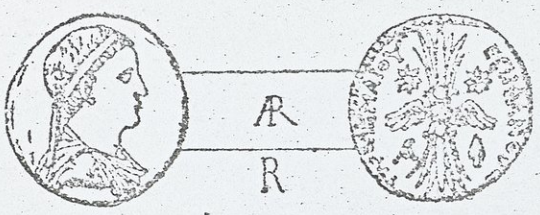

ولم يكن في ايام سلوقوس الرابع ما يستحق الذكر الا ما رواه لنا صاحب سفر المكابيين الثاني في الفصل الثالث وهو ان اورشليم كانت حينئذٍ عامرة آمنة وسنن الله محفوظة بعناية اونيا الكاهن العظيم حتى ان سلوقوس كان يؤدي من دخله الخاص جميع النفقات اللازمة لتقدمة الذبائح ووقع خصام بين سمعان من سبط بنيامين الذي كان مقلداً الوكالة على الهيكل وبين اونيا الحبر لظلم اجراه على المدينة فانطلق سمعان الى ابلونيوس قائد جيش سلوقوس في بقاع سورية وفونيقي واخبره ان الخزانة التي في اورشليم مشحونة بالاموال وان ذلك لا يختص بتقدمة الذبائح فاعلم ابلونيوس الملك بذلك وهو لحاجته المعلومة للحال ارسل هليودورس وامره بجلب هذه الاموال ولما بلغ اورشليم احسن اونيا ملتقاه فحدثه هليودورس بما كوشف به الملك وسأله عن حقيقته فاجابه الحبر ان ذلك المال هو ودائع الارامل واليتامى وانه كله اربعون قنطار فضة (نحو مئتي الف فرنك) ومئتا قنطار ذهب (نحو ستة ملايين فرنك) ولا يجوز هضم حق من ائتمنوا قداسة الهيكل ومهابته فاصر هليودورس على تنفيذ امر الملك بحمل الاموال الى خزائنه وكان في المدينة ارتعاش شديد وانطرح الكهنة بحللهم امام مذبح الرب خاشعين وكاد فؤاد اونيا الحبر يتفطر لعظم المصاب وتبادر الناس افواجاً للصلوة العامة في الهيكل وازدحمت النساء في

الشوارع باسطات ايديهن الى السماء وشخص هليودورس الى الخزانة بشرطه لكن الله صرع كل من اجترأ على الدخول الى الهيكل واخذهم الانحلال والرعب وظهر لهم فرس عليه راكب مخيف وجهازه فاخر وضرب هليودورس بحوافر يديه وترآى له فتيان عجيبا القوة بديعا البهاء فوقفا على جانبيه يجلدانه جلداً متواصلاً حتى اثخناه بالضرب فسقط لساعته على الارض وغشيه ظلام كثيف فحملوه الى الخارج وهو ابكم لا يبدي حراكاً فبارك اليهود الرب الذي مجد مقدسه وسأل بعض اصحاب هليودورس اونيا الحبر ان يبتهل الى العلي ليمن عليه بالحيوة اذ كان اصبح على اخر رمق وخشى الحبر ان يتهم اليهود بمكيدة كادوها لهليودورس فقدم الذبيحة من اجل خلاصه فظهر الفتيان بهيئتهما الاولى لهليودورس وقالا له عليك بجزيل الشكر لاونيا لان الرب منّ عليك بالحياة من اجله وانت فاخبر الجميع بقدرة الله العظيمة فقدم هليودورس ذبيحة للرب وخشع اليه وشكر اونيا ورجع بجيشه الى سلوقوس معترفاً بما عاينه وعاناه من اعمال الله ولما سأله الملك من يراه اهلاً ليرسله الى اورشليم قال ان كان لك عدو او صاحب دسيسة فارسله الى هناك يعد اليك مجلوداً ان نجا فان في الموضع قدرة الهية لا محالة.

اما سلوقوس الملك فجزاه الله عن هذه الجريمة بيد من ارسله لسلب الهيكل وذلك ان انطيوكس الكبير كان قدم ابنه الاخر انطيوكس رهينة للرومانيين بمقتضى شرائط عهدة الصلح كما مرّ واستمر انطيوكس هذا في رومة ثلث عشرة سنة واحب سلوقوس ان يستقدمه اليه لداع يعلمه الله فارسل ابنه الوحيد المسمى ديمتريوس ليكون بدلاً منه في رومة فاصبح كلا وارثي الملك بعيدين عن سلوقوس فابنه لسفره الى رومة واخوه لانه لم يكن عاد اليه فانتهز هليودوروس فرصة غيابهما فدس سماً للملك ليأخذ تاجه فمات سنة ١٧٥

بعد ان ملك احدى عشرة أو اثنتي عشرة سنة وتمت بذلك نبوة دانيال (فصل ١١ عد ٢٠) حيث قال « ويقوم بعده (اي بعد انطيوس الكبير) من يجيز المختلس (اي يؤدي الرومانيين المختلسين غرامة الحرب) في فخر المملكة وفي ايام قلائل ينكسر لا في غضب ولا في قتال » وفي رواية اخرى « ويقوم مكانه رجل خامل الذكر وليس اهلاً لاسم ملك فيهلك بعد سنين قلائل لا بقتل ولا بقتال »

ودونك مثالاً لسكة سلوقوس الرابع حيث ترى في الوجه الاول مثال راسه والتاج عليه وفي الوجه الثاني رسم ابولون وفي يمينه سهم وفي شماله قوس وقد كتب عليها باسيلاوس سلوقوس اي الملك سلوقوس

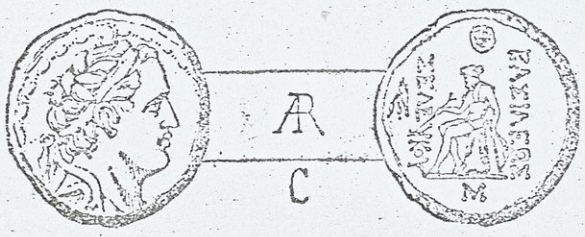

﴿ عد ٤٢٤ ﴾

في ملك انطيوكس الرابع الملقب ايفان وصفاته

لما كان انطيوكس عائداً من رومة مرَّ باثينا فبلغه فيها منعى اخيه سلوقوس الرابع وان لهليودورس الدعيّ جماً غفيراً من المحازبين وان بتلمايس ملك مصر يدّعي ملك سورية مدلى اليه بنسب امه بنت انطيوكس الكبير واخت سلوقوس وانطيوكس هذا قلجأ انطيوكس الى اومان ملك برغام واخيه اتال فعاوناه على طرد هليودورس وارتقائه عرش الملك واخذ لنفسه لقب ايفان وتأويله الشريف على ان اخلاقه السيئة الذميمة جعلت بعضهم يسميه ايمان وتأويله

والمجنون والاحمق ولم يكتف بلقب ابيفان بل سمى نفسه في بعض مسكوكاته الهاً وغازياً وقد وصفه بوليب المؤرخ الذي كان معاصراً له بما ياتي . انه كان يحب العزلة عن قصره واعوانه فيطوف هنا وهناك في المدينة مصحوباً بخادم او خادمين فقط وكان كثير التردد الى حوانيت الصاغة الذين يصنعون الحلى الفضية والذهبية مكثراً البحث مع الحفارين والنقاشين مبدياً غرامه بصناعتهم وكان يود مخالطة سفلة القوم ومحادثتهم ويأكل ويشرب مع ضيوفهم متطفلاً على موائدهم واذا علم ان بعض الشبان التأموا في موضع للهو باغتهم بحضوره بينهم وكان اكثرهم يفر منه وكان يتعرى من ملابسه الملكية ويتدثر بالوشاح الروماني فياخذ بيد بعض السفلة ويعانق غيرهم ويسالهم ان ينتخبوه لمقام في مملكته فاذا حاز الانتخاب استوى على كرسي من عاج على عادة الرومانيين وسمع الدعاوي متأنياً وابدى الرصانة والعناية في احكامه حتى حار فيه العقلاء فكان بعضهم يحسبه ساذجاً وبعضهم ممسوساً وكان في تنويله المواهب للناس يهب بعضهم عظيمات وبعضهم ثمرًا وبعضهم ذهباً ويكرم احياناً من لم يعرفهم ولم يرَهم وكان يستحم في الحمامات التي يستحم بها عامة الناس وعند تكاثرهم فيها . فبهذه الصفات وصفه بوليب (ك ٢٦ فصل ١٠) وغيره من المؤرخين وقالوا انه كان مولعاً بالسكر بغيضاً للوجهاء متقلباً قاسياً كثيرون

ولذلك صح ما تنباء به عليه دانيال اذ قال (فصل ١١ عد ٢١) . ويقوم مكانه (اي مكان سلوقوس الرابع) حقير لا يعطى مزية ملك لكنه يدخل بدسيسة ويحوز الملك بالتملق . (لاومان واخيه كما مرّ ولبعض كبراء قومه) وهو لم يملك ملكاً شرعياً لان الملك كان يحق لديمتريوس ابن اخيه سلوقوس وقد جاء ذكره في الاسفار المقدسة اكثر من كل من سواه لسبب اضطهاده اليهود فقد ذكره دانيال (فصل ١١ من عدد ٢١ الى عدد ٤٥) وسفر المكابيين

الاول (فصل ١ من عدد ١١ الى عد ٦٧ وفي الفصلين الثاني والثالث والسادس من عد ١ الى عد ١٦) وسفر المكابيين الثاني (من الفصل ٤ عد ٧ الى الفصل التاسع عد ٢٩) كما سترى

عد ٤٢٥

في غزوتي انطيوكس ابيفان الاولين لمصر

كانت قلوبطرة اخت انطيوكس تدبر مملكة مصر بعد وفاة زوجها بتلمايس ابيفان بما انها وصية على ابنها بتلمايس فيلوماتور (اي محب امه) وقد احسنت القيام بمهام الملك واحكمت اصلاح شؤونه على انها ادركتها الوفاة سنة ١٧٣ ق م فعهد بتدبير الملك الى لياي احد اشراف البلاد وبتربية الملك الصغير الى اولاي احد الخصيان فطالبا انطيوكس بان يرد على ملكهما فلسطين وسورية المجوفة فكان هذا الطلب باعثاً على الحرب بين المملكتين وكان المصريون يحتجون بان هذين الاقليمين وقعا منذ بادئ بدء قسمة الملك بين خلفاء اسكندر في نصيب بتلمايس الاول واستمرا كذلك الى ان غصبهما انطيوكس الكبير من بتلمايس ابيفان ثم وهبهما مهراً لابنته ام الملك بمقتضى عهدة الصلح بين انطيوكس الكبير وبتلميس ابيفان اما انطيوكس ابيفان فكان يجحد الامرين ويدّعي ان سوريه كلها مع فلسطين وسورية المجوفة وقعت بعد قسمة مملكة اسكندر في نصيب سلوقوس نيقانور وان شرط هبة الاقليمين مهراً لم يكن الا تلجئة فهو فاسد باطل لم يعمل به. وكان حينئذ بلوغ بتلمايس فيلوماتور السنة الخامسة عشرة من ملكه واعدت الحفلات للاحتفاء بتتويجه على عادة المصريين فارسل انطيوكس ابولونيوس احد كبراء دولته ليهني الملك وجلّ غرضه ان يكشف عما هناك من المقاصد والاستعداد لاخذ فلسطين وسورية المجوفة ولدى عوده انبأ الملك بتصميم المصريين على الحرب فسار الى يافا متفقداً تخوم البلاد آمراً بتحصينها

(مكابيين ٢ فصل ٤ عد ١١) ومر على اورشليم فاستقبله اهلها بعظم الاحتفاء ولم يغنهم ذلك عن شره وقسوته بعداً عليهم وعلى اليهود اجمعين واجتاز الى فونيقي وعاد الى انطاكية .

ثم اوفد ابولونيوس المذكور الى رومة يلتمس معذرة له في ابطائه عن اداء قسط الغرامة في اجله ودفعه حينئذٍ ثم قدم لبعض وجهاء الشعب آنية ذهبية من قبل مولاه وسأل تجديد العهدة معه والمودة له كما كانتا في ايام ابيه محققاً انه حليف امين مخلص الاخاء للرومانيين وانه لم ينسَ تفضلهم عليه وتلطفهم به اذ كان رهينة عندهم وكانوا يعاملونه كملك فعاد ابولونيوس وصحبه في وفادته شاكرين لما لقوه من الاكرام والتجلة من قبل رجال الندوة والشعب (طيطوس ليف ك ٤٢ عد ٦) فاطمأن انطيوكس الى صداقة الرومانيين ورأى ان لا ينتظر خروج اعدائه في مصر عليه فسار بجيشه الى تخوم مصر وارسل الى الرومانيين وفداً اخر يثبت لهم حقوقه على فلسطين وسورية المجوفة لكي يقفهم عن المعارضة له لاتخاذهم حماية مصر فالتقى الجيشان المصري والسوري على مقربة من بالوز (المعروفة الان بفرما) وانتشب القتال سنة ١٧١ فاستظهر انطيوكس على المصريين واقتصر يومئذٍ على تحصين تخومه كيلا يكون لاعدائه سبيل او مطمع في الاجتياز الى فلسطين وعاد الى صور يقضي فصل الشتاء فيها واحل جنوده في جوارها وجد في التأهب لحملة اخرى على مصر حتى اذا كان الربيع سنة ١٧٠ سير جيشه براً واسطوله بحراً لمناواة بتلمايس فانتصر عليه ثانية واخذ بالوز وتوغل في مصر ونهى جنوده عن قتل المصريين فاناله حلمه ميلهم اليه فكان كلما انتهى الى بلد خرج اهله اليه مستسلمين فاخذ القطر المصري كله الا الاسكندرية . اما بتلمايس ابن اخته فاما أخذ في الحرب واما اتى طائعاً الى خاله انطيوكس فاكرم مثواه وكان يعامله

كصديق ونسيب ويأكل على مائدته واظهر انطيوكس من نفسه اولاً ان يدبر مملكة ابن اخته كوصي عليه حتى اذا تمكن في البلاد فعل ما شاء فيها وانتهب وجنوده كل نفيس فيها (مكابيين ١ فصل ١ عد ١٧ الى ٢٠ ومكابيين ٢ فصل ٥ عد ١ وايرونيموس في تفسير نبوة دانيال وديودر في المنتخبات صفحة ٣١١)

اما اهل الاسكندرية فاما رأوا ملكهم بتلمايس فيلوماتور امسى اسير خاله انطيوكس واطلق له التصرف بملكه كيف شاء اعتبروه ساقطاً من منصة الملك فرقوا اليها اخاه سنة ١٦٩ وسموه اولاً بتلمايس افرجات اي المحسن ولما رأوا سوء تصرفه لقبوه كاشرجات اي المسيء ثم سموه فيسكون (اي البطن الذي لا يهمه الا بطنه) لانه كان منهوماً مولعاً بالمآكل اما بتلمايس فيلوماتور فلم يكن وغداً او جباناً بطبعه لكن اولاي الخصي وزيره المذكور عوده الترف والعكوف على الملاذ في صبوته ليستمر على ذلك في شبابه ويظل هذا الوزير الخائن قابضاً على زمام الملك مدبراً شؤونه كما يطيب له

وهذه صورة لسكة بتلمايس السادس فيلوماتور ففي الوجه الاول مثال رأسه متوجاً وفي الوجه الثاني مثال نسر عليه سعف نخل واقف على صاعقة . وقد كتب عليها بتلمايس فيلوماتور

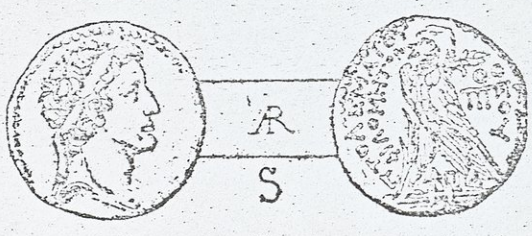

وقد تمت بذلك نبوة دانيال حيث قال (فصل ١١ عد ٢٥ وما يليه) «ويستنهض (ملك الشمال انطيوكس ابيفان) قوته وقلبه على ملك الجنوب (بتلمايس

فيلوماتور) بجيش عظيم فيتهيج ملك الجنوب للقتال بجيش عظيم قوي جداً لكنه لا يقوم لانهم يفكرون افكاراً عليه والذين ياكلون طعامه هم يكسرونه فيطمي على جيشه ويسقط قتلى كثيرون وقلبا هذين الملكين انما هما للسوء يتكلمان بالكذب على مائدة واحدة وذلك لا ينجح.

عد ٤٢٦

تزلف اليهود الى انطيوكس واخذه اورشليم وانتهابه الهيكل

ان معاشرة اليهود لاسيادهم اليونان في مصر وسورية ابعدتهم شيئاً فشيئاً عن ايمان اجدادهم وعاداتهم الحميدة فنشأ بينهم حزب يجنح الى اقتباس تصورات اليونان والعمل بعاداتهم وكان مركز هذا الحزب اورشليم واصحابه بعض الشبان المقلقين ذوي المطامع وحسبوا تسنم انطيوكس عرش الملك وسيلة يتزلفون بها اليه لنفوذ كلمتهم في اليهودية واتخذ الملك ذلك ذريعة للمداخلة في امور قومهم ودينهم وارسلوا اليه نفراً منهم يكاشفونه بما في نفوسهم ويستميحونه ان يطلق لهم العمل به فتلقى رسلهم بالترحاب واباحهم العمل بكل ما نووا فاقاموا مدرسة وثنية في المدينة المقدسة واستطرقوا عادات اليونان وهذا ما اشار اليه صاحب سفر المكابيين الاول (فصل ١ عد ١٢ وما يليه) حيث قال . وفي تلك الايام خرج من اسرائيل ابناء منافقون فاغروا كثيرين قائلين هلمَّ نعقد عهداً مع الامم حولنا فانا منذ انفصلنا عنهم لحقتنا شرور كثيرة فحسن الكلام في عيونهم وبادر نفر من الشعب وذهبوا الى الملك فاطلق لهم ان يصنعوا بحسب احكام الامم فابتوا مدرسة في اورشليم على حسب سنن الامم . وعملوا لهم غلفاً وارتدوا عن العهد المقدس ومازجوا الامم وباعوا انفسهم لصنيع الشر.

وكان من هولاء رجل اسمه ياسون اخو اونيا الثالث رئيس الاحبار سولت له نفسه ان يأخذ الرئاسة من اخيه فتزلف الى انطيوكس وكان اسمه

يشوع فبدله بياسون وهو لفظ يوناني كما روى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ٥) وقد ذكر لنا خبره سفر المكابيين الثاني (فصل ٤ عد ٧ وما يليه) فقال ما ملخصه « انه وفد على الملك ووعده بثلاث مئة وستين قنطار فضة (مليون وتسع مئة وثمانين الف فرنك) وبثمانين قنطار (اربع مئة واربعين الف فرنك) من دخل اخر وضمن له فوق ذلك مئة وخمسين قنطاراً غيرها ان رخص له الملك في اقامة مدرسة لترويض الشبان وان يكتب اهل اورشليم في رعوية انطاكية فاجابه الملك الى ذلك وتقلد الرياسة وما لبث ان صرف شعبه الى عادات الامم والنحى الاختصاصات التي انعم بها الملوك على اليهود وابطل رسوم الشريعة وادخل سنناً تخالفها واقام مدرسة لترويض الشبان وساق نخبتهم اليها فتمكن الميل الى عادات اليونان والتخلق باخلاق الاجانب حتى لم يعد الكهنة يحرصون على خدمة المذبح واستهانوا بالهيكل وكانوا يستخفون بآثار ابائهم ويتنافسون بمفاخر اليونان ولذلك احاقت بهم رذيلة شديدة لان مخالفة شريعة الله لا تذهب سدى ولما جرت في صور المصارعة التي كانت تجرى مرة في كل خمس سنين وكان الملك حاضراً ارسل ياسون رسلاً ومعهم ثلاث مئة درهم فضة لتقدم ذبيحة لهركليس (هرقل الاله) فاستهجن الرسل انفاقها على الذبيحة فقالوا ان تنفق في بناء سفن واستمر ياسون في الحبرية ثلاث سنين (اي من سنة ١٧٤ الى سنة ١٧١) على ان الله لم يترك هذه الجرائم دون عقاب لان ياسون الذي قتل اخاه قتله منلاوس وذلك ان ياسون وجه منلاوس هذا الى الملك يحمل اليه اموالاً ويفاوضه في امور مهمة فتزلف منلاوس الى الملك واحال رياسة الاحبار الى نفسه بان زاد ثلاث مئة قنطار فضة على ما اعطى ياسون فرجع ومعه اوامر الملك وكانت له اخلاق غاشم عنيف واحقاد وحش ضار فطرد ياسون وفر الى بلاد العمونيين لكن

منلاوس لم يفِ الملك ما وعد به من الاموال واستخلف ليسيماكوس اخاه وسرق آنية ذهبية من الهيكل اهدى بعضها الى اندرونكس الذي كان الملك اقامه نائباً عنه مدة غيابه في طرسوس (ترسيس) وباع بعضها في صور وغيرها فاقام اونيا الحجة عليه وهو معتزل في دفنة (على مقربة من انطاكية) فاغرى منلاوس اندرونكس ان يقبض على اونيا فارسل اليه رجلاً خدعه وعاهده بقسم حتى خرج من حماه فاغتاله ولم يرعَ للعدل حرمة وشق على كثير من سائر الامم قتله بغياً ولما عاد الملك الى انطاكية رفع اليه الامر فاستآء جداً فنزع الارجوان عن اندرونكس ومزق حلله واطافه في المدينة وقتل قاتل اونيا في المكان الذي اغتاله فيه واما ليسيماكوس فسلب ايضاً باغراء منلاوس اخيه كثيراً من مال الاقداس وذاع خبر سلبه واجتمع الجمهور عليه فسلح ثلاثة الاف رجل للتنكيل بهم فتناول بعضهم حجارة وبعضهم هراوى وبعضهم رماداً حثوه من كل جانب على اصحاب ليسيماكوس فجرحوا بعضاً وصرعوا بعضاً وهزموهم باجمعهم وقتلوا سالب مال الاقداس عند الخزانة ورفع كبراء اليهود الدعوى على منلاوس الى الملك وهو في صور ورأى منلاوس نفسه محكوماً عليه فارشى بطلماوس احد اعوان الملك بمال جزيل فاستمال الملك اليه وحكم بتبرئته وهو علة كل شر وقضى بالموت على ثلاثة رجال من اليهود كان الجمهور ارسلهم لاقامة الدعوى عليه وحل بهم العقاب الجائر فشق هذا الجور حتى على الصوريين وبذلوا نفقات دفنهم بسخاء واستقر منلاوس في الرياسة وكان يزداد خبثاً وشراً وضراً لاهل وطنه . . وجاء في الفصل الخامس في سفر المكابيين الثاني المذكور (عده وما يليه) ما موداه، . وارجف قوم ان انطيوكس مات في مصر فاتخذ ياسون (الذي كان فر الى بلاد العمونيين) جيشاً ليس باقل من الف نفس وهجم على اورشليم بغتة ودفع الذين على

الاسوار واوشك ان يأخذ المدينة فهرب منلاوس الى القلعة وطفق ياسون يذبح اهل وطنه بغير رحمة ولم يفطن ان الظفر بالاخوان انما هو عين الخذلان لكنه لم يحز الرياسة لان الجمهور تقوى عليه فهرب ثانية الى ارض بني عمون فطرده ارتاس زعيم العرب وجعل يفر من مدينة الى اخرى والجميع ينبذونه ويمقتونه مقت من هو قتال لاهل وطنه حتى دُحر الى مصر ومات ثمّ غريباً جزاءً لتغريبه كثيرين ولم يبكه احد عقابا له لانه ابكى كثيرين ،

ولما سمع انطيوكس بثورة ياسون اتهم اليهود بالانتقاض عليه فزحف من مصر ببعض جيشه واخذ اورشليم عنوة وامر جنوده ان يقتلوا كل من صادفوه ويذبحوا المختبئين في البيوت فطفقوا يهلكون الشبان والشيوخ والنساء والاطفال حتى اهلك منهم ثمانين الفاً في ثلاثة ايام وبيع منهم عدد ليس باقل من عدد القتلى ودخل الهيكل وكان دليله منلاوس الخائن للشريعة والوطن واخذ من الآنية المقدسة مع ما اهدته ملوك الاجانب تكرمة للموضع المقدس فكان ما حمله انطيوكس من الهيكل الفاً وثماني مئة قنطار وبادر الى الرجوع الى انطاكية وكان ذلك لسنة ١٧٠ ق م طالع ايضاً سفر المكابيين الاول (ف ١ عد ٢١ وما يليه

عد ٤٢٧

في حملة انطيوكس الثالثة على مصر

قد مرَّ (في عد ٤٢٥) ان الاسكندريين استقطوا بتلمايس فيلوماتور عن منصة الملك اذ رأوه اسير خاله انطيوكس ورقوا اليها بتلمايس افرجات اخاه فلما بلغ ذلك انطيوكس تذرع به للعود الى مصر فجهز حملته الثالثة عليها مظهراً انه يريد ارجاع ابن اخته الملك المعزول الى ملكه ومبطناً الاستيلاء المطلق على مملكة مصر وسار بجيشه توًا الى الاسكندرية عامداً الى ان يحاصرها

فاستشار بتلمايس افرجات وزيريه فاشارا عليه ان يستدعي جميع قواد الجيش ويفاوضهم في طريقة للتملص من النازلة وبعد مفاوضات عديدة اجمع رأيهم على ان قرائن الاحوال تقضي عليهم بمصالحة انطيوكس وان يكلف سفراء دول اليونان الذين في الاسكندرية ان يتوسطوا الصلح فمضى هولاء السفراء يصحبهم مفوضان من قبل بتلمايس الى انطيوكس فتقبلهم بالترحاب واكرم مثواهم ووعدهم ان يصغي في الغد لما يكاشفونه به ولما كان اليوم الثاني تكلم سفير اخائيا اولاً ثم غيره من السفرآء واجمعوا على ان اولاي وزير بتلمايس فيلوماتور هو الذي تسبب بالحرب بسوء تصرفه وحمله الملك الصغير السن عليها وتطرقوا الى مدح الملك الجديد وتخميد غضب انطيوكس عليه ليستميلوه الى تعاطي الصلح معه فوافقهم انطيوكس على ما ذكروا من سبب الحرب واخذ يؤيد حقه في الاستيلاء على فلسطين وسورية المجوفة موردًا حججه على ذلك وابرز صكوكاً تبين منها حقه في الولاية على هذين الاقليمين حتى اقر له به اعضاء هذه اللجنة (بوليب فصل ١٨) وارجأ الكلام في شرائط الصلح الى وقت اخر وجعلهم يرجون عقده

على انه بعد هذا الجواب ارتحل من محله وحل تجاه الاسكندرية واخذ في حصارها ولما رأى ذلك بتلمايس افرجات واخته قلوبطرة وجها وفدًا الى رومة يشكوان سوء حالهما ويستنجدان الشعب الروماني فمثل الوفد امام رجال الندوة وعليهم ثياب الحداد وقالوا ان جميع الشعوب والملوك يجلون سلطة الشعب الروماني ولا سيما انطيوكس لما لهذا الشعب الكريم عليه من الايادي وعليه فاذا المنه رجال الندوة انهم يستهجنون محاربته لملوك هم حلفاء لهم انصرف انطيوكس للحال ولا مرية عن الاسكندرية وعاد بجيشه على عقبه الى سورية واما اذا ابت حكومة رومة اجابة سؤل بتلمايس وقلوبطرة فلا

يبقى لهما بعد طردهما من الملك الا ان يفرا الى رومة ولا يليق بالشعب الروماني ان يهمل حلفاءه دون انجاد ولا امداد في اقصى حاجتهم اليهما . فكان لكلامهم اشد وقع في قلوب رجال الندوة ولم يكن من السداد في سياسة الرومانيين ان يتركوا انطيوكس يعظم ويبسط سطوته على سورية ومصر فاوفدوا ثلاثة رجال الى مصر يبلغون انطيوكس وبتلمايس ان يتنكبا عن كل عدوان وينكصا عن كل حرب ومن خالف منهما لم يعتد الشعب الروماني صديقاً ولا حليفاً

وكان قبل سفر الوفد الروماني من رومة ان شخص الى الاسكندرية عمدة من الرودسيين لتعاطي الصلح بين الملكين ومضوا الى انطيوكس واكثروا من ايراد الحجج الداعية الى الصلح فقاطعهم الحديث قائلاً لا حاجة الى هذا التطويل ان التاج لاكبر الاخوين وانا عاهدته وسالمته فان دُعي وأُجلس على عرش الملك انقضت الحرب قال هذا وجل غرضه منه ان يلقي الفتنة ويوقد الحرب بين الاخوين حتى اذا انتهكتهما عاد اليهما وكان راى من نفسه عجزه عن فتح الاسكندرية فانصرف بجيشه عنها وولى بتلمايس فيلوماتور ابن اخته على سائر البلاد واستبقى لنفسه بالوز (فرما) لتكون له بمنزلة مفتاح لمصر ليدخلها كلما عنَّ او طاب له وبعد ان دبر ولايات مصر كما حسن له عاد الى انطاكية سنة ١٦٩

على ان احتفاظ انطيوكس على بالوز لنفسه فتح عيني بتلمايس فيلوماتور فصحا من سكر ترفه وادرك ان خاله لم يستبقِ لنفسه مفتاح مصر الا حتى اذا اجهدته واخاه الحرب بينهما واعجزتهما عن دفعه التقم مملكتهما كفريسة له ولذا ارسل يقول لاخيه انه راغب في مصالحته واتمت قلوبطرة اختهما الوفاق بينهما على ان يملك الاخوان في مصر معاً وعاد فيلوماتور الى الاسكندرية وانبسط الامان في مصر كلها وفرح اهلها لا سيما الاسكندريون لزوال ما

عانوه من مشاق الحرب (بوليب فصل ٨ وطيطوس ليف ك ٤٧)

عد ٤٢٨

في حملة انطيوكس الرابعة على مصر

لما اتصل بانطيوكس خبر اتفاق الملكين الاخوين في مصر استشاط غضباً وعزم ان يفرغ قوته في المناوأة لهما فسير اسطوله الى قبرس للاحتفاظ عليها وسار بجيش عرمرم عامداً الى الاستيلاء على مصر غير مستر غرضه كما كان يفعل قبلاً فالتقاه في طريقه رسل من قبل فيلوماتور يقولون له انه غير جاحد نعمته بل يعترف انه لم يلِ مصر الا بايديه ويستحنفه بان لا ينقض بسلاحه واعتسافه ما بناه بحلمه وان يكاشفه بما يحبّ فلم يصانع انطيوكس هذه المرة ولم يداهن بل جاهر بانه عدو للاخوين كليهما وقال للرسل انه يرغب في ان تترك له قبرس وبالوز الى ما شاء الله مع جميع الارضين الواقعة على ضفة النيل من جهة بالوز وانه لا يصالحهما الا على هذه الشروط وعين يوماً لرد الجواب له ولما انقضى ذلك اليوم زحف بجيشه الى مصر وانتهى الى منف مخضعاً البلاد التي اجتاز بها ثم وافاه رسل سائر البلاد مستسلمين اليه وركب طريق الاسكندرية عازماً ان يحاصرها فتدين له مصر وقد كان فاز بما تمنى لو لم يلتقِ به الوفد الروماني هناك ويخمد جذوة عزيمته ويعطل مقاصده لانه لما اشرف على الاسكندرية خرج للقائه بوبيليوس احد وفد الرومانيين وكان انطيوكس يعرفه في رومة حيث كان رهينة فبسط يده اليه ليحييه تحية صديق قديم فامسك بوبيليوس واراد ان يعلم اولاً اصديقاً لرومة يحيي ام عدواً لها وابرز له درج وفادته وسأله ان يقرأه فقرأه وقال انه يفاوض مستشاريه ويجيبه عما قليل فحنق بوبيليوس لطلبه مهلة وخط بعصاه على الرمل دائرة حول انطيوكس وانتهره قائلاً ، اجب حكومة رومة قبل ان تخرج من الدائرة التي خططتها لك ، فدُهش

انطيوكس من شدّة الامر وفكر قليلاً وقال اني صانع ما تحب حكومة رومة فمد حينئذٍ بوبيليوس يده اليه وحياه ولاطفه . قال احد المؤرخين بالعظمة الرومانيين فان كلمة من مفوضهم راعت ملك سورية ونجت ملكي مصر . وخرج انطيوكس من مصر في اليوم الذي عينه له بوبيليوس الذي عاد مع رفيقيه الى الاسكندرية فوقّع معهما على عهدة الصلح بين الاخوين وساروا الى قبرس فصرفوا اسطول انطيوكس عنها وكان انتصر على اسطول مصر فرد بوبيليوس الجزيرة الى ملكي مصر ورجع الى رومة يعلم حكومته بما كان من وفادته

وبلغ الى رومة حينئذٍ وفدان احدهما من قبل انطيوكس والثاني من قبل ملكي مصر واختهما قلوبطرة فقال وفد انطيوكس ، ان مولاهم يفضل السلامة التي اولاه اياها رجل حكومة رومة على كل ظفر كان يمكنه الحصول عليه وانه امتثل اوامر الوفد الروماني امتثاله لاوامر الهته ، واما وفد الملكين فقالوا ، ان الملكين واختهما يعترفون بالفضل لدولة رومة وشعبها اكثر مما يعترفون به من الفضل لابيهم وامهم بل لالهتهم ايضاً اذ خلصوهم من شديد الضيق واجلسوهم على منصة اجدادهم التي كانوا قد طرحوا عنها فدونك هذه المالغات والتملقات التي لم تكن لتنتهي الى اليوم في شرقنا وكانت هذه الاحداث لسنة ١٦٨ ق م (بوليب فصل ٩٢ ك ٢٩ ق ١١ وطيطوس ليف ك ٤٥ وديودر الصقلي ك ٣١ وابيان في السوريين فصل ٦٦ والقديس يوستينوس ك ٣٤ فصل ٣) والى ذلك اشار دانيال اذ قال (فصل ١١ عد ٢٨) فيرجع (انطيوكس) الى ارضه بمال كثير ويجعل قلبه على العهد المقدس (كما رأيت انه صنع في هيكل اورشليم) ثم يرجع الى ارضه . وفي الميعاد يعود ويُقبل الى الجنوب (بحملته الرابعة) ولكن لا تكون الاواخر كالاوائل . لان سفن كتيّم (سفن الرومانيين) تأتي عليه فيكئب ويرجع ويستشيط على العهد المقدس فيفعل ثم يرجع ويلتفت الى

تاركي العهد المقدس ، كما سترى انه فعل باورشليم واليهود

عد ٤٢٩

اضطهاد انطيوكس لليهود واكراهه لهم على اتباع مذهبه

قد عاد انطيوكس من مصر كئيباً آيساً فرام ان يتشفى من غيظه بتنكيله باليهود فارسل عند اجتيازه فلسطين ابولونيوس رئيس الجزية الى مدن يهوذا باثنين وعشرين الف جندي وامره ان يذبح كل بالغ منهم ويبيع النساء والصبيان ولما وفد الى اورشليم اظهر السلام وتربص الى يوم السبت حتى اذا دخل اليهود في عطلتهم امر اصحابه ان يتسلحوا وذبح جميع الخارجين للتفرج ثم اقتحم المدينة بالسلاح واهلك خلقاً كثيراً (مكابيين ٢ فصل ٥ عد ٢٤ وما يليه) وجاء في سفر المكابيين الاول (فصل ١ عد ٣٣ وما يليه) عدا ما مر ، انه سلب غنائم المدينة وهدم بيوتها واسوارها من حولها وسبوا النساء والاولاد واستولوا على المواشي وبنوا على مدينة داود سوراً عظيماً متيناً وبروجاً حصينة فصارت قلعة لهم وجعلوا هناك امة اثيمة رجالاً منافقين فتحصنوا فيها ... وسفكوا الدم الزكي حول المقدس ونجسوا المقدس فهرب اهل اورشليم بسببهم فامست مسكن غرباء ، واستمرت القلعة المذكورة يتحصن فيها جنود ملك سورية ولم يقوَ على طردهم منها الا سمعان المكابي بعد ست وعشرين سنة اي سنة ١٤٣ ق م

ولما حقق انطوكيس ايفان ظفر قائد جنده وتحصنه في اورشليم عمد الى اكراه اليهود على ان يتركوا سننهم ويدينوا بدينه ويعبدوا الهته ويذبحوا لها فقد جاء في سفر المكابيين الاول (فصل ١ عد ٤٣ وما يليه) ما ملخصه ، كتب الملك انطيوكس الى مملكته كلها بان يكونوا جميعهم شعباً واحداً ويترك كل واحد سنته فاذعنت الامم لكلام الملك وارتضى كثيرون من بني اسرائيل دينه

وذبحوا للاصنام ودنسوا السبت وانفذ كتباً الى اورشليم ومدن يهوذا ان يتبعوا سنن الاجانب ويمتنعوا عن المحرقات في المقدس ويدنسوا السبوت والاعياد ويبنوا مذابح ومعابد للاصنام ويذبحوا الخنازير النجسة ويتركوا بنيهم قلفاً حتى ينسوا الشريعة ويغيروا جميع الاحكام ومن لا يعمل بمقتضى كلام الملك يقتل واقام رقباء على جميع الشعب وامر مدائن يهوذا ان يذبحوا في كل مدينة فانضم اليهم كثيرون من اليهود وكل من نبذ الشريعة وفر كثيرون الى الجبال والمغاور وفي اليوم الخامس عشر من كسلو في السنة المئة والخامسة والاربعين للسلوقيين اي في شهر كانون الاول سنة ١٦٨ ق م بنوا مذبحاً للاصنام على مذبح المحرقات في هيكل اورشليم وفي الخامس والعشرين من شهر كسلو المذكور قدموا على هذا المذبح الضحايا للاوثان وما وجدوه من اسفار الشريعة مزقوه واحرقوه بالنار وكل من وجد عنده سفر العهد او اتبع الشريعة فانه مقتول بامر الملك والنساء اللواتي ختنّ اولادهن قتلوهن بمقتضى الامر وعلقوا الاطفال في اعناقهن وقتلوا الذين ختنوهم وعزم كثير من بني اسرائيل ان لا يأكلوا نجساً واختاروا الموت لئلا ينجسوا او يدنسوا العهد المقدس فماتوا ،

وجاء مثل ذلك في سفر المكابيين الثاني (فصل ٦ عدد ١ الى ١٢) مع زيادة عليه ، انهم كانوا كل شهر يوم مولد الملك يساقون قسراً للتضحية وفي عيد ديونيسيوس احد الهتهم يضطرون الى الطواف اجلالاً له وعليهم اكاليل من اللبلاب وان امرأتين سعي بهما انهما ختنتا اولادهما فعلقوا اطفالهما على ثديهما وطافوا بهما في المدينة علانية ثم القوهما عن السور ولجأ قوم الى مغاور كانت بالقرب منهم لاقامة السبت سراً فوشي بهم فاحرقوهم بالنار وهم لا يجترئون ان يدافعوا عن انفسهم اجلالاً لهذا اليوم المعظيم ، وختم كاتب هذا السفر

كلامه هذا بقوله ارجو من مطالعي هذا الكتاب ان يحسبوا هذه النقم ليست للهلاك بل لتأديب امتنا . فهذه اعمال هذا الملك الجائر وهذا انتقام الله من اليهود لانهم تركوا سننه وتزلفوا الى ملك وثني

وانبأنا سفر المكابيين الاول (ف ٢) انه خرج في تلك الايام من اورشليم كاهن اسمه متتيا بن يوحنا وسكن في مودين (المعروفة الان بالميدية على ما في كتاب الالفاظ الكتابية وفي تآليف كاران وهي في جهة اللد وسيأتي الكلام فيها) وكان له خمسة بنين ولما رأى ما يصنع من المنكرات قال ويل لي لِمَ ولدت وطفق يندب ويرثي سوء حال شعبه ومزق هو وبنوه ثيابهم وتحزموا بالمسوح وناحوا مناحة شديدة وقدم عمال الملك الى مودين وكلفوا متتيا ان يمضي امر الملك فيكون واهل بيته من اصدقائه فاجابهم حاشى لنا ان نترك شريعة الهنا ونحيد عن ديننا يمنة او يسرة فلئن طاعت الملك كل الامم فانا وبيتي واخوتي نسلك في عهد ابائنا واقبل يهودي ليذبح على مذبح الاوثان فوثب عليه متتيا وقتله على المذبح وقتل رجل الملك وصاح بصوت عظيم كل من غار للشريعة فليخرج ورائي وهرب هو وبنوه الى الجبال ونزل كثيرون ممن يبتغون السبر الى البرية وعرف رجال الملك الذين في اورشليم فجروا في اعقابهم فادركوهم وناصبوهم القتال يوم السبت وكلفوهم الخروج فلم يخرجوا وقاتلوهم فلم يردوا ولم يرموهم بحجر حرمة للسبت فقتلوهم وكانوا الف نفس واخبر متتيا واصحابه فناحوا عليهم وعزموا ان كل رجل اتاهم مقاتلاً يوم السبت يقاتلونه ولا يموتون كما مات اخوتهم واجتمع اليهم جماعة من ذوي البأس وكل من انتدب للشريعة وانضم اليهم الفارون فازدادوا بهم تعزيزاً والفوا جيشاً واوقعوا بمن حادوا عن محجة الشريعة حتى فر الباقون الى جنود الملك وجال متتيا في البلاد وهدموا المذابح الوثنية وختنوا كل من

وجدوه اغلف من بني اسرائيل وتبعوا المتجبرين وانقذوا الشريعة من ايدي الامم والملوك واذلوا الائمة. ولما دنا يوم موت متتيا حرّض بنيه ان يغاروا للشريعة ويبذلوا نفوسهم دونها وذكّرهم بابراهيم ويوسف وفنحاس ويشوع وكالب وداود واليا وحننيا وعزريا وميشائل ودانيال كيف غاروا لسنة الله فجزاهم خير الجزاء وجعل احد بنيه سمعان رجل مشورة ليسمع لشعبهم ويكافئوا الامم ويواظبوا على وصايا الشريعة ثم بارکهم وتوفي سنة ١٤٦ للسلوقيين وسنة ١٦٧ ق م وقد ذكر يوسيفوس كل هذه الاحداث (ك ١٢ في تاريخ اليهود فصل ٦ الى فصل ٩) على عدم اعتقاده صحة تنزيل سفري المكابيين

﴿ عد ٤٣٠ ﴾

قتل انطيوكس العازار والاخوة السبعة المكابيين

ان العازر هذا كان من علماء السنّة اذ جاء في سفر المكابيين الثاني (ف ١٦ عد ١٨) انه كان «من متقدمي الكتبة». وقال القديسان غريغوريوس النزينزي وامبروسيوس تبعاً ليوسيفوس انه كان من النسل الكهنوتي واختلف في مكان قتله فمن قائل انه كان في انطاكية بحضرة انطيوكس ومن قائل انه كان في اورشليم وكان انطيوكس شخص اليها ومثل هذا الخلاف في مكان مقتل الاخوة السبعة ومنشأه انه جاء في ترجمة الكتاب الموسوم بحكم العقل والمنسوب الى يوسيفوس ان مقتل هولاء كان في انطاكية لكن الاصل اليوناني خالٍ من ذكر انطاكية ويوسيفوس نفسه قال (في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ٧) ان مقتلهم كان في اورشليم وروى القديس ايرونيموس (في الاماكن العبرانية في كلمة مودين) انه كان يدل على مدافنهم في انطاكية. وقال القديس اغوسطينوس (الخطبة الاولى في المكابيين) انه اقيمت كنيسة على اسمهم في انطاكية ولما كان كل من تكلموا في مقتل العازار اتبعوه بخبر مقتل الاخوة السبعة فان صح انهم استشهدوا

في انطاكية صح انه أشهد فيها ايضاً

ومهما يكن من مكان مقتل هولاء الشهداء فقد انبأنا الكتاب ان اعوان انطيوكس اكرهوا العازار بفتح فيه على اكل لحم الخنزير فاثر الموت مجيداً على الحياة ذميماً وقذف لحم الخنزير من فيه فخلا به الموكولون بامر الضحايا وكانوا يعرفونه قبلاً وجعلوا يحثونه ان يهيء لحماً بيده ويأكله متظاهراً بانه يأكل من لحم الضحايا التي امر بها الملك فاجابهم بغير توقف بل اسبق الى الجحيم فلا يليق بسننا الرياء لئلا يظن كثير من الشبان ان العازار وهو ابن تسعين سنة انحاز الى مذهب الاجانب فاني لو نجوت الان من نكال البشر لا افر من يد القدير لا في الحياة ولا بعد الممات واذا فارقت الحياة ببسالة ابقيت للشبان قدوة شهامة ليتلقوا المنية ببسالة في سبيل الشريعة المقدسة قال هذا وانطلق من ساعته الى عذاب التوثير والضرب فتحول من ابدوا له الرأفة الى القسوة عليه حتى اثخن جراحاً ولما اشرف على الموت قال يعلم الرب وهو ذو العلم المقدس اني وانا قادر على التخلص من الموت اكابد في جسدي عذاب الضرب الاليم واما في نفسي فاحتمل ذلك مسروراً لاجل مخافة الله وقضى تاركاً موته قدوة شهامة وتذكار فضيلة لامته باسرها

واما الاخوة السبعة فقبض عليهم مع امهم واشخصوا امام انطيوكس الملك فاخذ يكرههم على تناول لحم الخنزير معذباً اياهم بالمقارع والسياط فقال له احدهم ماذا تبغي انا نختار الموت ولا نخالف شريعة ابائنا فحنق الملك وامر باحماء الطواجن والقدور وان يقطع لسانه ويسلخ جلد رأسه وتجدع اطرافه على عيون اخوته وامه واذا بقي فيه رمق امر ان يلقوه في تلك الطواجن وكانوا هم وامهم يحض بعضهم بعضاً على تحمل الموت بشجاعة وقضى الاول فساقوا الثاني الى الهوان ونزعوا جلد راسه مع شعره وسالوه هل ياكل من لحم

الخنزير قبل ان يعاقب في جسده عضواً عضواً فقال لا فاذاقوه العذاب كالاول وفيما كان على اخر رمق قال للملك انت ايها الفاجر تسلبنا الحياة الدنيا ولكن ملك العالمين اذا متنا في سبيل شريعتنا اقامنا لحياة ابدية ثم شرعوا يستهينون بالثالث وامروه فدلع لسانه وبسط يديه بقلب جليد قائلاً اني من رب السماء اوتيت هذه الاعضاء ولاجله ابذلها واياه ارجو ان استردها من بعد ولما قضى عذبوا الرابع ونكلوا به مثل اخوته ولما اشرف على الموت قال للملك جيدا ما يتوقعه من يقتل بايدي الناس من رجاء اقامة الله له اما انت فلا تكون لك قيامة للحياة ثم استاقوا الخامس وعذبوه فقال للملك انك تفعل ما تشا لان لك السلطان على البشر ولا تظن ان الله خذل ذريتنا فاصبر قليلاً ترَ بأسه الشديد كيف يعذبك انت ونسلك واتوا بالسادس وعذبوه فقال عند موته للملك لا تغترّ بالباطل فنحن جلبنا على انفسنا هذا العذاب لاننا خطئنا الى الهنا واما انت فلا تحسب انك تترك سدى بعد تمرضك لمناصبة الله وكانت امهم تحضهم على تحمل الموت ببسالة رجلية ثم احضر الملك اصغرهم واخذ يحرضه ويؤكد له بايمان انه يغنيه ويسعده ويقلده المناصب اذا ترك شريعة ابائه فلم يصغ الغلام والح الملك على امه ان تحرضه على ما يبلغه الخلاص فاستهزأت بالملك وانحنت الى ابنها وقالت يابني ارحمني انا التي حملتك في جوفها تسعة اشهر وارضعتك ثلاث سنين وعالتك الى هذا السن انظر الى السماء والارض واعلم ان الله صنع الجميع من العدم فلا تخف من هذا الجلاد وكن مستاهلاً لاخوتك وفيما هي تتكلم قال الغلام ماذا تنتظرون اني لا اطيع امر الملك وانما اطيع امر الشريعة التي القيت الى ابائنا على يد موسى والتفت الى الملك قائلاً وانت ايها المخترع كل شر على العبرانيين انك لن تنجو من دينونة الله ولقد صبر اخوتنا على الم ساعة ثم فازوا بحياة ابدية وهم في عهد الله واما انت فسيحل بك بقضاء من الله

العقاب الذي تستوجبه فحنق الملك من هذا التونيب فزاده نكالاً على اخوته وقضى هذا الغلام طاهراً . واخيراً ماتت الام على اثر بنيها (مكابيين ٢ ف ٧) ولم ينبئنا الكتاب كيف اماتوها ولكن جاء في كتاب حكم العقل المشار اليه انفاً ان بعض اعوان انطيوكس اغروه بقتلها ولما سمعت اسرعت لساعتها وطرحت نفسها في النار لئلا يمسها احد هولاء الاشرار وقال بعضهم ان الملك عذبها كبنيها وقال فيكتوريان الافريقي في شعره عن المكابيين انها ماتت لفرحها ومن تقليدات الشرقيين التي ذكرها ابو الفرج ان اسمها شموني او اشمونية وفي كتاب حكم العقل ان اسماء بنيها المكابي وابير وبكري ويهوذا واكوس وارث ويعقوب (كلمت في معجم الكتاب)

لما كان هولاء الشهداء يسمون مكابيين كما سمى يهوذا المكابي واخوته الاتي الكلام فيهم كان الخليق بنا ان نلخص شيئاً من اقوال العلماء في هذا الاسم واصله فقال بعضهم ان اسم مكابي مشتق من كابا العبرانية ومعناها اباد واتلف لانهم كانوا يبيدون اعداء الرب وقال غيرهم انه مشتق من مخابي ومعناه الجراح والضربات لانهم كانوا يضربون باسم الله وقال اخرون انه مشتق من مخابا العبرانية بمعنى مخبا بالعربية لان المكابيين اختبأوا اولاً في المغاور هرباً من الاضطهاد ثم خرجوا منها واوقعوا بمضطهديهم الى غير ذلك من التأولات على ان القول الاعم الذي قال به الجمهور ان هذا الاسم اخذ من ان المكابيين كانوا يصنعون على اعلامهم وتروسهم اربعة احرف تقابل م.ك.ب.ي تبتدي بها اربع كلمات مي كاموكا يلوهيم يهوه ومعناها « من مثل الرب بين الالهة » وهذا القول هو الاظهر والامثل (كلمت في معجم الكتاب في كلمة مكابي)

عد ٤٣١

انتصار يهوذا المكابي على عساكر انطيوكس وغيرهم

قد مرَّ (في عد ٤٢٩) ان متتيا غار للرب وانضم اليه كثيرون من ذوي البأس وعند احتضاره اقام ابنه يهوذا المكابي رئيساً على الجيش ليتولى قتال الشعوب وجاء في سفر المكابيين الثاني (فصل ٨ عد ١ وما يليه) ان يهوذا المكابي ومن معه كانوا يتسللون الى القرى ويندبون ذوي قرابتهم ويضمون من ثبتوا على دين اليهود حتى جمعوا ستة الاف رجل وكانوا يبتهلون لله لينقذ شعبه ولما اصبح المكابي في جيش يثق برحمة الله بانه ينتصر على الامم جعل يفاجئ المدن والقرى ويحرقها وتغلب على الاعداء في مواضع جمة وكانت اكثر غاراته ليلاً وذاع خبر شجاعته وجاء في سفر المكابيين الاول (فصل ٣ عد ١٠) فحشد ابلونيوس والي السامرة من قبل انطيوكس جيشاً عظيماً واتى لمناواة بني اسرائيل فخرج يهوذا للقائه فاوقع به وقتله وجماً غفيراً من جنوده وهزم الباقين وسلب غنائمهم واخذ سيف ابلونيوس وكان يقاتل به وسمع سارون قائد جيش سورية من قبل انطيوكس واراد ان يتمجد بثأره بدم ابلونيوس ارضاء لمولاه فجهز جيشاً عديداً واتى به الى عقبة بيت حورون (المعروفة الان بيت اور في الشمال الغربي من اورشليم طالع عد ٣١٧) فخرج يهوذا للقائهم بنفر يسير ولما رأوا الجيش مقبلاً قالوا ليهوذا كيف نطيق قتال مثل هذا الجم القوي فقال ما اسهل على الله ان يدفع الكثيرين الى ايدي القليلين وحضهم على الاتكال على الله وهجم على الاعداء بغتة فانكسر سارون وجيشه امامه فتبعه في عقبة بيت حورون الى السهل فسقط منهم ثماني مئة رجل وانهزم الباقون فوقع خوف يهوذا واخوته على الامم الذين حولهم

اما انطيوكس فكان متلاهياً في انطاكية باعياد اقامها فيها على عادة اليونان

وبلغته هذه الاخبار عن انكسار جيوش عمانه مرتين فاستشاط غيظاً وجمع جيشه كله عازماً ان يسير الى فلسطين فيبيد امة اليهود عن اخرهم على انه لم يجد في خزائنه مالاً يقوم بنفقات الحرب فارجى الانتقام من اليهود بنفسه الى وقت اخر وقسم جنوده قسمين امّر ليسياس على فريق منهم واستخلفه على امور الملك من نهر الفرات الى حدود مصر واصره ان يوجه الى اليهود جيشاً يكسر ويستأصل شوكة بني اسرائيل ويمحوا ذكرهم من فلسطين وينزل الاجانب في جميع تخومهم ويقسم ارض اليهود بينهم وسار هو بالشطر الباقي من الجيش الى ما وراء الفرات يجبي المال لسد عوزه . اما ليسياس فاختار بطلماوس بن دوريماس ونكانور وجرجياس من ذوي البأس المقربين الى الملك ووجه معهم اربعين الف راجل وسبعة الاف فارس ليأتوا ارض يهوذا ويدمروها على حسب امر الملك فبلغ الجيش الى قرب عماوس (المعروفة الان بهذا الاسم على ١٥ ميلاً من اورشليم في الشمال الغربي الاعلام الكتابية) ونزلوا في ارض السهل وسمع تجار البلاد بان انطيوكس امر ببيع اليهود فاتوا بشيء كثير من الفضة والذهب ليشتروا من بني اسرائيل عبيداً ورأى يهوذا واخوته تفاقم الشر واحتشدت الجماعة للابتهال الى الله والقتال وكانت اورشليم مهجورة لا يدخلها احد ولا يخرج منها احد من بنيها وجنود الملك في قلعتها فساروا الى المصفات قبالة اورشليم (وهي المعروفة الان بشعفات في شمالي اورشليم عد ٢٤٤) وصاموا في ذلك اليوم ولبسوا المسوح وحثوا الرماد على رؤسهم ونشروا كتاب الشريعة تالين له ورتب يهوذا قواد الشعب وامر من اخذ في بناء او خطب امرأة او غرس كرماً او كان خائفاً ان يرجع الى بيته ثم سار بالجيش ونزلوا في جنوب عماوس وكان يهوذا عازماً ان يوقع بالعدو في الغداة ولكن بلغه ان جرجياس اخذ فريقاً من جيش الملك خمسة الاف راجل والف فارس ويريد

ان يباغتهم ليلاً في طريق اهداه اليه بعض الجاحدين من اليهود فاصطاده بالاحبولة نفسها التي نصبها له لانه غادر محله عامداً الى ضرب عسكر الملك الذي اصبح ضعيفاً لانفصال جرجياس وجنوده عنه ولما انتهى جرجياس الى محل يهوذا لم يجده وظنه هرب من وجهه فطلبه في الجبال ولما كان الصباح اشرف يهوذا على عسكر الملك فخرجوا لقتاله فارشد قومه الى الاتكال على الله واندفقوا على الاعداء فاستظهروا عليهم وهزموهم الى السهل وتعقبوهم وقتلوا منهم ثلاثة الاف رجل وقال يهوذا لجنده لا تطمعوا في الغنائم لان الحرب لا تزال قائمة علينا لان جرجياس وجيشه على مقربة منا في الجبل ولم يفرغ يهوذا من هذا الكلام حتى ظهرت فرقة تتشوف من الجبل فرأت انهم قد انكسروا ومحلتهم يتصاعد الدخان منها فخافوا ورأوا جيش يهوذا متحفزاً للقتال ففروا جميعاً وتعقبهم يهوذا فقتل منهم كثيرين حتى كان عدد القتلى في هذه المواقع تسعة الاف رجل كما في سفر المكابيين الثاني (فصل ٨ عد ٢٤) وقد جاء فيه (عد ٢٠ وما يليه) ان يهوذا علم ان تيموتاوس وبكسديس عاملي الملك يحشدان جنوداً لقتاله فوثب بجيشه عليهما فقتل عشرين الفاً من جنودهم واخذوا منهما حصوناً مشيدة ورجع بقومه يسبحون الرب بعد ان غنموا كثيراً من الفضة والذهب والاسلحة وغيرها فجعليا يهوذا سهاماً متساوية لجنده وللضعفاء واليتامى والارامل والشيوخ ونزع نكانور ثيابه الفاخرة واساب في البلاد الى انطاكية متنكراً وكان ذلك سنة ١٦٥ ق م

ووفد من نجوا من جيش الملك الى ليسياس واخبروه بما جرى فبهت وانكسر عزمه ولما كانت السنة المقابلة سنة ١٦٤ جمع ستة آلاف راجل منتخبين كذا في طبعة الاباء اليسوعيين في بيروت ولعله سهو من النساخ قديماً او من مرتبي الحروف حديثاً لان في غيرها من النسخ ستين الفاً وهو ما تقتضيه

القرائن ويستلزمه ارساله اولاً اربعين الفاً وهو ظاهر من الكلام التالي ان يهوذا لاقاهم بعشرة الاف ورأى جيش العدو قوياً فصلى الى الله . فاذا كان جيش ليسياس ستين الف راجل وعززه بخمسة الاف فارس وحل بهم في بيت صور في جنوبي اورشليم فالتقاه يهوذا والتحم القتال فسقط من جيش ليسياس خمسة الاف رجل وانهزم الباقون وعاد ليسياس الى انطاكية كئيباً يحشد جنوداً اخرين ليعود الى اليهودية واغتنم يهوذا هذه الفرصة لتطهير المقادس في اورشليم فاجتمع كل الجيش وصعدوا الى جبل صهيون فرأوا المقدس خالياً والمذبح منجساً والابواب محرقة وقد طلع النبات في الديار كما تطلع في غابة فناحوا نوحاً عظيماً ووضع يهوذا رجالاً يصادمون اهل القلعة واختار كهنة فطهروا المقادس ورفعوا الحجارة المدنسة الى موضع نجس وبنوا مذبحاً جديدا على رسم الاول وصنعوا آنية مقدسة جديدة واعادوا رتب الهيكل كما كانت ودشنوا المذبح الجديد في ١٥ من شهر كسلو (كانون الاول) سنة ١٦٤ ق م وقدموا ذبيحة بحسب رسم الشريعة وكان عند الشعب سرور عظيم وازيل تعيير الامم وقد حسد هولاء الامم اليهود على ظفرهم وقوتهم وائتمروا ان يبيدوهم من بينهم وطفقوا يقتلون ويهلكون منهم فضرب يهوذا بني عيسو في ادوم لانهم كانوا يضايقون بني اسرائيل فاستظهر عليهم وسلب غنائمهم وكان هناك قبيلة تعرف ببني بيان كانوا يكمنون لبني اسرائيل في الطريق فالجأهم يهوذا الى البروج وحاصرهم وابسلهم واحرق بروجهم وكل من كان فيها بالنار وعبر الى بلاد بني عمون فصادف عسكراً قوياً وشعباً كثيراً تحت قيادة تيموتاوس والي ذلك الاقليم من قبل انطيوكس فواقعهم في حروب كثيرة فظفر بهم واوقع فيهم وفتح يعزير (المعروفة الان على الراجح ببيت زرعة الاعلام الكتابية) وتوابعها ثم عاد الى اليهودية فاتاه كتاب من بني اسرائيل

المقيمين في جلعاد (السلط) يقولون فيه ان الامم الذين حولهم اجتمعوا عليهم تحت قيادة تيموثاوس والجأوهم الى حصن عزموا ان يفتتحوه ويبيدوهم وبينما هم يقرأون الكتاب اذا برسل آخرين قد وفدوا من الجليل وثيابهم ممزقة واخبروا بمثل ذلك قائلين قد اجتمعوا علينا من بطلمائس (عكا) وصور وصيدا وكل جليل الامم ليبيدونا فعقد يهوذا والشعب مجمعاً في ما يصنعون وقال يهوذا لسمعان اخيه اختر لك رجالاً وانطلق واستنقذ اخوتك الذين في الجليل وانا ويوناثان اخي ننطلق الى ارض جلعاد وتركوا حامية في اليهودية فناصب سمعان الامم حروباً كثيرة فاستظهر عليهم وتبعهم الى باب عكا وعبر يهوذا مع يوناثان الاردن وتوجها الى باصر (بصر الحريري) فاستحوذا على المدينة وقتلا كل ذكر فيها وسلبا غنائمهم واحرقا المدينة وسارا منها ليلاً الى الحصن الذي كان بنو اسرائيل لجأوا اليه فوجد يهوذا نار الحرب متسعرة على اخوته فقسم جيشه ثلث فرق من وراء الاعداء ونفخوا بالابواق وجأروا بالصلاة وعلم جيش تيموثاوس انه المكابي فهربوا من وجهه فضربهم ضربة عظيمة وقتل منهم ثمانين الف رجل وانصرف الى المصفاة (المعروفة بسوف في عبر الاردن) فافتتحها وقتل رجالها وغنم ما فيها واحرقها وافتتح سائر مدن جلعاد

وجمع تيموثاوس جيشاً اخر قبالة رافون (الراجح انها المعروفة الان برافة في عبر الاردن على اربعة اميال من اذرعات في الجنوب الغربي الاعلام الكتابية) واستأجر العرب فخرج يهوذا عليهم وهو في مقدمة جيشه فانكسروا امامه والقوا سلاحهم وفروا الى المعبد الذي في قرنائيم (تل عشترة في عبر الاردن) فاستولى يهوذا على المدينة واحرق المعبد مع كل من كان فيه وجمع يهوذا جميع بني اسرائيل الذين في جلعاد لينصرف بهم الى ارض اليهودية فبلغوا الى عفرون (ولم يعين موقعها بعد وهي في عبر الاردن بين تل عشترة وباسان) ولم

يكن لهم ان يحيدوا عنها يمنة ولا يسرة واطلق اهلها على انفسهم وردموا الابواب بالحجارة وارسل يهوذا يستميحهم العبور بارضهم دون مضرة لهم فابوا فامر يهوذا جيشه ان يهجم كل واحد من محله فهجموا وحاربوا المدينة يوما وليلة فاسلمت اليهم واهلك كل ذكر فيها ودمرها وسلب غنائمها واجتاز فوق القتلى ثم عبروا الاردن وبلغوا الى اورشليم بسرور وابتهاج وقدموا المحرقات شكراً لله

ثم سمع يوسف بن ذكريا وعزريا اللذان كان يهوذا اقامهما على الحامية في اليهودية خبر انتصار يهوذا فقالا لنقم نحن ايضا لنا اسماً فاخذا جيشاً وزحفا الى يمنيا (المعروفة الان بينه في الجنوب الغربي من الرملة بين يافا شمالاً واشدود جنوبا طالع عد ٣١٨) فخرج اليهم جرجياس ورجاله فكسروهم وقتلوا منهم الفي رجل لانهم خالفوا وصية يهوذا بان لا يحاربوا الامم في غيبته

وعظم اسم يهوذا واخوته في عيون بني اسرائيل والامم وخرجوا فحاربوا بني عيسو في جنوب اليهودية وضربوا حبرون (الخليل) وتوابعها وهدموا سورها واحرقوا البروج التي حولها وتوجه يهوذا الى اشدود فهدم مذابح الاجانب فيها واحرق منحوتات الهتهم وسلب غنائم المدن وعاد الى اليهودية (مكابيين ١ ف ٣ و ٤ و ٥ ومكابيين ٢ ف ٨ ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢)

عد ٤٣٢

هلاك انطيوكس ابيفان

قدمر في العدد السالف ان انطيوكس سار بفريق من جيشه الى ما وراء الفرات يجبي الاموال وترك الفريق الاخر الى ليسياس ليقهر اليهود ويستأصل

شاقتهم وجاء في سفر المكابيين الاول (فصل ٦ وما يليه) ما ملخصه « ان انطيوكس كان يجول في الاقاليم العليا وسمع بذكر المايس مدينة بفارس مشهورة باموالها وان فيها هيكلاً حوى كثيراً من الاموال وسجوف الذهب والدروع والاسلحة التي تركها ثمّ الاسكندر المكدوني فاتى وحاول ان يأخذ المدينة وينهبها فثار عليه اهلها وقاتلوه فهرب ومضى بغم شديد راجعاً الى بابل وجاءه من فارس مخبر بان الجنود التي وجهت الى ارض يهوذا قد انكسرت وان ليسياس قد انهزم من وجههم وان اليهود قد هدموا ما كان بناه على مذبحهم في اورشليم وحصنوا مدينتهم فاضطرب جداً وانطرح على الفراش وقد اوقعه الغم في السقم وايقن بالموت فدعا اصحابه وكشف لهم عن علة كربه وانه يتذكر المساوئ التي صنعها في اورشليم وانه لذلك اصابته هذه البلايا ودعا فيلبوس احد اصحابه واقامه على جميع مملكته ودفع اليه تاجه وحلته وخاتمه واوصاه بتدبير انطيوكس ابنه ومات هناك في السنة المئة والتاسعة والاربعين للسلوقيين » وهي سنة ١٦٣ ق م

وجاء في سفر المكابيين الثاني (فصل ٩) ما موداه « ان انطيوكس كان منصرفاً عن بلاد فارس بالخزي لانه كان زحف على مدينة اسمها برسابوليس وشرع ينسلب الهياكل ويعسف المدينة فثار الجموع الى السلاح فدفعوه فانهزم منقلباً بالعار ولما كان عند احمتا بلغه ما وقع لنكانور واصحاب تيموتاوس فاستشاط غضباً وازمع ان يحيل على اليهود ما لحقه من الشر وامر سائق عجلته ان يجد في السير وقال لاتين اورشليم واجعلها مدفناً لليهود فضربه الله بداء في احشائه ومغص اليم واستمر مع ذلك يحث على الاسراع في السير حتى سقط من عجلته فترضضت جميع اعضاء جسمه ونتن جسده وتساقط لحمه واعوانه الذين كانوا يزينون له انه يمس كواكب السماء لم يكن احد منهم يطيق حمله لشدة نتانته

بل امسى هو نفسه لا يطيق نتنه واخذ ينزل عن كبريائه ويتعقل الحق ويتضرع الى الله ونذر أن المدينة المقدسة التي كان ينوى هدمها وجعلها مدفنا سيجعلها حرة وانه سيساوي اليهود بالاثينيين ويزين هيكل اورشليم بافخر التحف ويرد اليه آلانية التي اخذها منه مضاعفة ويقدم نفقات الذبائح من دخله الخاص بل انه يتهود ويطوف المعمور منادياً بمقدرة الله فلم تسكن الامه وقنط من نفسه وكتب الى اليهود رسالة اثبت في الفصل التاسع المذكور ضمنها اظهار مودته لهم واعلامهم بانه عين ابنه انطيوكس للملك وثقته بانهم يبقون على الولاء له ولابنه . ثم قضى انطيوكس بعد آلام مبرحة كما كان يفعل بغيره ومات ميتة شقاء على الجبال في ارض غربة فنقل فيلبوس المذكور جثته الى انطاكية وانصرف الى مصر خوفاً من ابن انطيوكس وليسياس مدبره وقد مر معنا ذكر شيء من ذلك في عد ٤٠٤ وقد ذكر سفر انطيوكس هذا الى بلاد فارس ورغبته في انتهاب الهيكل وتهزيم الاهلين له وموته في الغربة (عد١ سفري المكابيين ويوسيفوس) بوليب ك ٣١ فصل ١١ وابيان في السوريين فصل ٦٦ وبرفير على ما ذكر القديس ايرونيموس في تفسيره ف١١ من نبوة دانيال

واليك مثالاً لسكة انطيوكس ابيفان ترى في الوجه الاول صورة رأسه مكللاً بالغار ولحيته مطلقة وفي الوجه الثاني صورة المشترى جالساً وفي يمينه مثال الظفر وفي شماله الصولجان وقد كتب عليها باسيلاوس انطيوخس ثاوس ابيفانيوس نيكافور اي الملك انطيوكس ابيفان نيكافور

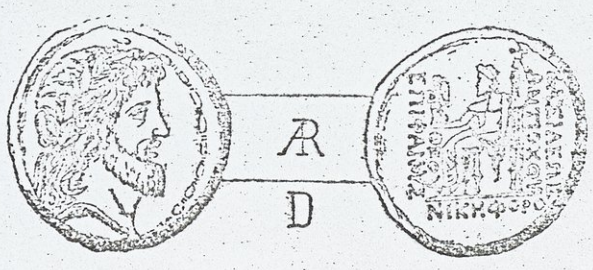

وقد رأيت ان ما جاء في سفري المكابيين عن خبر موت انطيوكس يطابق ما رواه فيه المؤرخون القدماء الوثنيون ولكن زعم بعضهم ان كاتبي سفري المكابيين لم يتفقا في رواية هذا الخبر بل ان كاتب السفر الثاني أتى بقولين متناقضين فقال في فصل ١ عد ١٦ ان انطيوكس قتل في هيكل النتاية وقال في فصل ٩ انه مات لمرضه على الجبال وقد ابنا آنفاً عد (٤٠٤) انه لا وجه للاعتراض بهذا التناقض لان انطيوكس الذي قتل في هيكل النتاية انما هو انطيوكس الثالث الكبير وانطيوكس الذي مات لمرضه في الجبال انما هو انطيوكس الرابع ابيفان ابن الاول وهذه حجة بينة ماحقة لكل تناقض وجل ما يتمحلون لاثبات التناقض بين كلامي صاحب السفر الاول وصاحب السفر الثاني في خبر وفاة انطيوكس الرابع ابيفان انما هو امران الاول ان صاحب السفر الاول سمى المدينة التي كان فيها الهيكل المايس وصاحب السفر الثاني سماها برسابوليس ففي ذكر المايس زلة قلم لان احسن النسخ اليونانية المخطوطة روت الآية هكذا « وكان في المايس (او المائد اي بلاد العيلاميين) بفارس مدينة مشهورة » وهذه الرواية انما هي الصحيحة اذ لا عين ولا اثر لمدينة اسمها المايس وعليه فكاتب السفر الاول لم يعين اسم المدينة التي كان الهيكل فيها بل عين اسم الاقليم او العمل وهو بلاد العيلاميين في مملكة فارس كما ذكره بوليب وابيان ايضاً في المحال المار ذكرها آنفاً واما كاتب السفر الثاني فعين المدينة وقال انها برسابوليس مدينة الفرس الشهيرة المسماة الان شهل منار اي الاربعين عموداً ولما كان هذا السفر كتب في اليونانية يمكن ان يقال ان المراد ببرسابوليس لا علم هذه المدينة بل ما تفسره كلمة برسابوليس المنحوتة من برسا اي فارس وبوليس اي مدينة والمعنى مدينة الفرس او عاصمتهم ويكون المراد شوشن في بلاد العيلاميين التي كانت اخص مقر لملوك الفرس

والتي كان اليهود يعرفونها في تاريخ استير واحشورش وعليه فتردّ الروايتان الى معنى واحد

والامر الثاني الذي تمحلوه لاثبات زعمهم هو ان صاحب السفر الاول قال « وجاء من فارس مخبر بان الجيوش التي وجهت الى ارض يهوذا قد انكسرت » وصاحب السفر الثاني قال « ولما كان عند احمتا (المسماة الان تخت سليمان وهمذان على ما في الاعلام الكتابية) بلغه ما وقع لنيكانور » واحمتا في بلاد ماداي لافارس على انه لاتناقض في كلام كاتبي السفرين بل كل ما بينهما انما هو اختلاف في التعبير والمعنى واحد فكاتب الاول اراد بفارس كل ما اشتملت عليه هذه البلاد من مملكة الفرس وماداي من جملتها لانها وان كانت اولاً مستقلة الا انها ضُمت بعدًا الى مملكة الفرس وكاتب السفر الثاني عين المحل الذي بلغت فيه انطيوكس اخبار كسر جنوده وهو احمتا وهذا مطابق لما ذكره المؤرخون اليونانيون من ان انطيوكس قضى في تاب التي هي بين احمتا وبرسابوليس (ملخص عن معجم الكتاب لفيكورو في كلمة انطيوكس الرابع)

وقد قضى انطيوكس سنة ١٦٤ او سنة ١٦٣ ق م بعد ان ملك احدى عشرة سنة واليك ما تنبأ به دانيال (فصل ١١ عد ٣٠ وما يليه) على اضطهاده اليهود « ويرجع (انطيوكس بعد حملته الرابعة على مصر) ويستشيط على العهد المقدس فيفعل ثم يرجع ويلتفت الى تاركي العهد المقدس (من اليهود) وتقوم منه اذرع (اي يرسل عمالاً) وتدنس مقدس العزة وتزيل المحرقة الدائمة وتقيم رجاسة الخراب (كما فعل في الهيكل) وبالتملقات يجعل المنافقين في العهد يكفرون اما الشعوب الذين يعرفون الههم فيتشددون ويعملون والعقلاء من الشعب يعلمون كثيرين (كما صنع متتيا وبنوه) الى ان يقول « ويصنع الملك كيف شاء ويترفع ويتعظم على كل اله ويتقول بالغرائب على اله الالهة

وينجح الى ان يتم الغضب لان التحديد قد قضى وتفزعه اخبار من الشرق والشمال فيخرج بحنق شديد ليدمر ويبسل كثيرين (وقد حقق تاشيت ان خروج انطيوكس بفريق من جيشه لم يكن لجباية الجزية فقط بل لان البرتيين ثاروا عليه) وينصب اخبيته مثل قصور بين البحار في جبل فخر القدس ويبلغ حده وليس له من نصير، كذا في طبعة الاباء اليسوعيين البيروتية وعن رولان ان في الاصل العبراني «وينصب اخبيته في ابدنو البحرين في جانب زابي المقدس

وقال لا تخلو هذه الآية من غموض اذ ليس في الجغرافية القديمة اسماء ابدنو وزابي على ان برفير عدو النصرانية الالدّ أقر ان هذه الآية تشير الى حملة انطيوكس على ما وراء الفرات وموته في هذه الحملة وعليه فزابي هي تاب او تابا حيث مات انطيوكس على ما روى بوليب كما مر

﴿ عد ٤٣٣ ﴾

﴿ في تملك انطيوكس الخامس وسياسة ليسياس مدبره ﴾

بعد وفاة انطيوكس رُقي الى منصة الملك ابنه انطيوكس الخامس ولقب اوباتور اي الشريف اباً ولم يدم ملكه الا سنتين من سنة ١٦٤ الى ١٦٢ ق م اي من سنة ١٤٩ للسلوقيين الى سنة ١٥١ قال ابيان (فصل ٤٦ و٦٦ في السوريين) ان عمره كان حين ملك تسع سنين وعن برفير (على ما روى اوسابيوس في التاريخ) انه كان عمره اثنتي عشرة سنة وكان ابوه اقام قبل سفره من انطاكية ليسياس مدبراً له على انه لدى احتضاره نصب فيلبوس احد اصدقائه وقادة جيشه واخاه رضاعاً مدبراً للملك ووصياً على الملك الصغير (مكابيين ١ فصل ٦ عدد ١٤ الى ١٧ و٢ فصل ٩ عد ٢٩) فلما بلغ ليسياس خبر وفاة الملك ووصيته الاخيرة رأى نفسه مضطراً ان يغير سياسته في جانب اليهود وان

يعدل عن حشد الجنود ليثأر من يهوذا المكابي وقومه لانهم هزموا جيشه كما مر وصرف همه الى توطيد انطيوكس الخامس في عرش الملك والى تأييد حقه في الوصاية عليه فكان يخشى على الملك من منازعة ابن عمه ديمتريوس له في الملك لانه الوريث الشرعي له ولم يكن عمه انطيوكس ابيفان الا دخيلاً عليه ومختلساً له وخاف على نفسه مضادة فيلبوس له بوصية الملك الاخيرة فقضت عليه الحال ان يتربص في انطاكية وان لا يباشر حرباً وان يعقد عهدة صلح مع اليهود يبيحهم بها مباشرة فروض دينهم وقد اشار الى ذلك كاتب سفر المكابيين الثاني اذ قال (فصل ١١ عد ١٣) « واذ كان الرجل (ليسياس) صاحب دهاء اخذ يفكر في ما اصابه من الخسران وفطن ان العبرانيين قوم لا يقهرون لان الله القدير مناصر لهم فراسلهم ووعد بانه يسلم بكل ما هو حق ويستميل الملك الى موالاتهم فرضي المكابي بكل ما سأل ليسياس ابتغاء لما هو انفع وكل ما طلب المكابي من ليسياس بالكتابة قضاه الملك » وكتب ليسياس رسالة الى شعب اليهود بامر الملك يخبرهم بها ان الملك اجاب كل ما تحمله الحال من سؤلهم ويعدهم بالخير ان بقوا على الاخلاص وارسل اليهم صورة رسالة الملك اليه وملخصها انه منذ انتقل والده الى الالهة لم يزل همه ان يكون اهل مملكته طيبي القلب منقطعين الى شؤونهم وانه بلغه ان اليهود غير راضين بما امرهم به والده من التحول الى سنن اليونان وهم متمسكون بسننهم وهو يريد ان هذا الشعب يكون خالياً من البلبال كغيره ولذلك يحكم بان يرد لهم الهيكل وان يساسوا بمقتضى عادات آبائهم . وارسل لهم ايضاً رسالة من الملك يأمنهم فيها ويبيحهم استعمال اطعمتهم وشرائعهم كما كانوا عليه من قبل وان من هفا منهم فيما سلف فلا اعنات عليه وايدَّ الرومانيون هذه الرسائل برسالة وجهوها الى اليهود لانهم كانوا يؤثرون بقاء الملك الصغير في عرش سورية على انتزاع ديمتريوس

له منه لان ديمتريوس كان رهينة عندهم كما مرّ وكانوا على يقين من شدة بأسه واهليته للملك ولا توافقهم سياسة ملك قوي وكل هذه الرسائل مثبتة في الفصل الحادي عشر من سفر المكابيين الثاني

قد كانت الضرورة قضت على ليسياس بهذا التصرف ولم يكن مخلصاً ولا سيما ليهوذا المكابي وكان بقلبه منه حزازات لا تزول لكسرة جنوده والحاقه العار به وكان يأمل ان يأتي يوم يتشفى فيه بانفاذ ما أمر به انطيوكس ايفان لابادة اليهود ويستدل على ذلك من تأييده الحزب المضاد ليهوذا المكابي لا سيما منلاوس الخائن لامته الذي اخذ رياسة الكهنوت بمال وتسبب بقتل اونيا والذي قربه ليسياس من الملك حتى جعله يبني رسالته على ما اطلعه عليه وان يرسله الى اليهود ليشافههم كما في رسالة الملك المشار اليها ومهما يكن من دخيلة ليسياس فقد اقام اليهود سنة ١٦٤ ق م ناعمي البال حتى امكنهم ان يحرثوا ارضهم ويحصدوا غلاتها كما جاء في سفر المكابيين الثاني (فصل١٢ عد ١) وغنم يهوذا المكابي واخوته هذه الفرصة وضرب المدن وعشائر مجاوريهم التي كانت تسطو عليهم وقد رأى بعضهم ان حروب يهوذا للعشائر التي ذكرناها في عد٤١٣ نقلاً عن الفصل الخامس من سفر المكابيين الاول كانت في مدة هذه الهدنة بعد موت انطيوكس ابيفان لا قبله كما يظهر من محل وضعها في الكتاب قبل خبر موته على اننا حفظاً لسياق الكتاب واتباعاً لرأي الاكثرين الذين ذكروها قبل وفاة انطيوكس ومنهم يوسيفوس ذكرنا اخبارها قبل خبر وفاته ونذكر في العدد التالي اخبار حروبه الاخرى مع هذه العشائر كما وردت في سفر المكابيين الثاني فصل ١٢ بعد ذكره تأمين انطيوكس الخامس لليهود كما مر

عد ٤٣٤

حروب يهوذا مع بعض العشائر وعمال الملك

انبأنا سفر المكابيين الثاني (فصل ١٢) ان بعض عمال الملك لم يدعوا لليهود راحة ولا سكينة بل كانوا يحرّشون بين الامم واليهود على القتال وينجدون الامم ليسطوا عليهم من ذلك ان اهل يافا اتوا اغتيالاً فظيعاً فانهم دعوا اليهود مواطنيهم ان يركبوا هم ونساءهم واولادهم قوارب اعدوها لهم ولا عداوة بينهم فوثق اليهود منهم ولما امعنوا في البحر اغرقوهم وعرف يهوذا فنادى بمن معه ودعى الله الديان العادل وسار الى يافا ليلاً فضربها وهرب كثيرون من اهلها الى السفن فاضرم النار في المرفا واوقد السفن وقتل من فروا اليها وعلم ان اهل يمنيا (يبنة بين يافا واشدود) نووا ان يغتالوا اليهود مساكنهم فسار اليهم واحرق المرفاء مع الاسطول حتى رُؤى ضوء النار من اورشليم وسار برجاله ينوي الايقاع بتيموتاوس عامل الملك لانه علة هذه الشرور فتصدى لهم خمسة آلاف من العرب الرحل ومعهم خمس مئة فارس فاستظهر يهوذا عليهم وسألوه ان يعاقدهم على ان يؤدوا اليه مواشي ويمدوه بمنافع اخرى فصالحهم وانصرفوا الى اخبيتهم ثم اغار على مدينة حصينة اسمها كسفيس (لم يعين محلها ولا يعلم اني شرقي الاردن ام في غربيه هي) فافتتحوها على مناعة اسوارها وقتلوا كثيرين من اهلها وجدوا في السير متتبعين تيموتاوس حتى انتهوا الى الكرك (تعرف بهذا الاسم الى اليوم في شرقي البحر الميت) فلم يظفروا به لانه كان انصرف من تلك المواضع لكن ترك حرساً منيعاً في بعضها وخرج قائدان من رجال يهوذا وقتلا من الجنود الذين تركهم تيموتاوس في الحصون ما ينيف على عشرة آلاف.

ثم علم المكابي ان تيموتاوس في جهة قرنيم (تل عشترة في عبر الاردن)

ومعه مئة وعشرون الف راجل والفان وخمس مئة فارس فقسم المكابي جيشه فرقاً وجعل على تيموتاوس ولما بدت اول فرقة من جيش يهوذا داخل الاعداء الرعب والرعدة فبادروا الفر من كل جهة حتى كان بعضهم يؤذي بعضاً وتتبع يهوذا اثارهم يشخن فيهم حتى اهلك منهم ثلاثين الفاً ووقع تيموتاوس في ايدي روسيتاوس وسوسيباتر من قادة جيش يهوذا فطفق يتوسل اليهما ان يطلقوه حياً فيحسن الى كثيرين من اباهم واخوتهم (الذين كانوا عنده) فخلوا سبيله لذلك وتيموتاوس هذا كان والياً في عبر الاردن من قبل انطيوكس وهو غير تيموتاوس الاخر رفيق بكيديس الذي قتله رجال يهوذا في برج حازر كما في سفر المكابيين الثاني (فصل ١٠ من عدد ٢٤ الى عد ٣٧) واغار يهوذا على قرنيم المذكورة وقتل خمسة وعشرين الف نفس ثم زحف الى عبرون (في عبر الاردن بين تل عشترة وبايان احدى المدن الحصينة فاخذها وصرعوا من الذين في داخلها خمسة وعشرين الفاً ولعل هذه الوقعة في غفرون هي التي ذكرت في سفر المكابيين الاول فصل ٥ عد ٤٦ وقد ذكرناها في عد ٤١٣

ثم هجموا على مدينة بيت شان (باسان) الا ان اليهود المقيمين فيها شهدوا بان اهلها مصافون لهم وانهم عاملوهم بالاحسان في ازمنة الضيق فشكروا لهم واوصوهم ان لا يزالوا على المصافاة ثم جاؤا الى اورشليم لقرب عيد الاسابيع وهو عيد البنديكستي بعد سبعة اسابيع من عيد الفصح وبعد العيد اغاروا على جرجياس قائد جيش الملك في ارض ادوم فبرز اليهم بثلاثة الاف راجل واربع مئة فارس فاقتتل الفريقان وسقط من اليهود عدد قليل وادرك دوسيتاوس المشار اليه جرجياس وقبض على ثوبه واجتذبه يريد ان يأسره حياً فعدا عليه فارس من الاعداء فقطع كتفه وفر جرجياس ثم استظهر يهوذا على اعدائه وشتت شملهم وسار بجيشه الى مدينة عدلام (المسماة الان عير الماء على

عشرة اميال من بيت جبرين شرقاً على ما قال اوسابيوس وعلى ما في الاعلام الكتابية)
ولما كان السبت دفنوه هناك وجاءوا ليحملوا جثث القتلى ويدفنوهم في مقابر ابائهم
فوجدوا تحت ثياب كل واحد اواطاً (اي معاليق او ما يعلق) من اصنام
يمنيا التي انتهبوها والسنة تحظر على اليهود ذلك فتبين للجميع ان هذا كان
سبب قتلهم وانثنوا يبتهلون الى الله ان تمحى تلك الخطية واتخذ يهوذا ذلك
موعظة ارشد بها قومه ان ينزهوا انفسهم عن الخطية اذ رأوا باعينهم ما اصاب
من اثموا . وجمع من كل واحد تقدمة فبلغ المجموع الفي درهم من الفضة
فارسلها الى اورشليم ليقدم بها ذبيحة عن الخطية وكان ذلك من احسن الصنيع
واتقاه لاعتقاده قيامة الموتى لانه لو لم يكن مترجياً قيامة الذين سقطوا لكانت
صلاته من اجل الموتى باطلاً وعبثاً ولاعتباره ان الذين رقدوا بالتقوى قد ادخر
لهم ثواب جميل وهو راي مقدس وتقوي ولهذا قدم الكفارة عن الموتى ليحلوا
من الخطايا . وهذه الايات برهان جلي قاطع على عقائد قيامة الموتى ووجود
المطهر وانتفاع الموتى بصلوات الاحياء ولذلك كانت من جملة الحجج الدامغة التي
اقامها اللاهوتيون الكاثوليكيون لاثبات هذه العقائد .

عد ٤٣٥

محاربة انطيوكس الخامس لليهود

ان الذي اوقد خذوة هذه الحرب انما هم الجاحدون من بني اسرائيل
لا سيما منلاوس الخائن المشار اليه آنفاً واليك خلاصة هذه الحرب عن سفر
المكابيين الاول (فصل ٦ عد ١٨ الى اخره) وسفر المكابيين الثاني (فصل
١٣ برمته) فدمر ان بعض حامية الملك كانوا يقيمون في قلعة اورشليم فكانوا
يصدون بني اسرائيل عن الدخول الى الهيكل ويتعمدون انزال المضرة بهم من كل
جانب فعزم يهوذا المكابي على الايقاع بهم وحشد الشعب فحاصروهم في

القلعة فخرج بعضهم من الحصار وانضم اليهم نفر منافقون من اسرائيل فانطلقوا الى الملك قائلين ان ابناء شعبنا يضطهدوننا لاننا ارتضينا بخدمة ابيك والعمل باوامره والان يحاصرون القلعة بغضاً لنا وكل من صادفوه منا قتلوه ونهبوا املاكنا وتجاوزوا الى جميع تخومنا وحصنوا بيت صور (تسمى الان بهذا الاسم على ما في الاعلام الكتابية وعن اوساب انها على عشرين ميلاً من اورشليم نحو الجنوب وما جاء في سفر المكابيين الثاني فصل ١١ عد ٥ انها على نحو خمس غلوات من اورشليم ، زلة قلم من الناسخ معجم الكتاب لكلمت)

فسرّ ليسياس بهذه الشكوى ولم يكن ديمتريوس عاد من رومة ولا فيلبوس من مصر فاطمأن الى ان انطيوكس استتب له الملك وانه حان الوقت للانتقام من المكابي وقومه ولذلك جعل الملك يجمع جيشه ويستأجر جنوداً مستأجرين من ممالك اخرى ومن الجزائر حتى صار عدد جيشه مئة الف راجل وعشرين الف فارس واثنين وثلاثين فيلاً على ما في سفر المكابيين الاول (ف٦ عد٣٠) وفي سفر المكابيين الثاني فصل ١٣ عد٢) ، مئة وعشرة الاف راجل وخمسة آلاف وثلاث مئة فارس واثنين وعشرين فيلاً ، قال فكيودو (في معجم الكتاب) ان العدد الثاني حرفته يد النساخ كما وقع في كثير غيره . وحمل الملك وليسياس على اليهودية من جهة الجنوب فاجتازا في بلاد ادوم ولم يخجل منلاوس الخائن ان ينضم الى اعداء امته ووطنه طامعاً في العود الى رياسة الاحبار ولكن اما لانه لم يحسب اميناً للملك كما لم يكن اميناً للالهة او لسبب اخر يعلمه الله اشرب ليسياس الملك ان الرجل كان السبب في تلك النوازل فامر الملك ان يذهبوا به الى البرية ويقتلوه فاخذوه الى برج عالٍ ودفعوه من اعلاه فهلك المنافق ولم يحصل على تربة يُوارَى فيها

وسار عسكر الملك فحاصر بيت صور المشار اليها اياماً كثيرة ولم يقدروا

حينئذٍ على فتحها وامر يهوذا الشعب ان يبتهلوا الى الله فتضرعوا اليه بالبكاء والصوم والسجود ثلاثة ايام وسار يهوذا ينجد اهل بيت صور ثم انصرف وحلّ بقومه في بيت ذكريا (تسمى اليوم ايضاً بهذا الاسم وهي في الجنوب الغربي من بيت لحم اعلام الاماكن الكتابية) تجاه محلة الملك فبكر الملك في الغد ووجه بأس جيشه الى طريق بيت ذكريا وتأهبت الجيوش للقتال وارووا الفيلة بعصير العنب والتوت ليهيجوها للقتال واقاموا حذاء كل فيل خمس مئة فارس متخيرين يذهبون معه حيث ذهب وكان على كل فيل برج حصين من الخشب فيه رجال من ذوي البأس وانتشروا في الجبال والبطاح واكثروا من الجلبة والهتاف وتقدم يهوذا وجيشه للمبارزة فاستظهروا على الاعداء اولاً وقتلوا منهم ست مئة رجل على ما في سفر المكابيين الاول (فصل ٦ عد ٤٢) ولكن جاء في سفر الملوك الثاني (فصل ١٣ عد ١٥) اربعة آلاف رجل واهلك اول الفيلة مع القوم الذين كانوا في برجه ، فلا بد من زلّة قلم في احد العددين ورأى العازار بن سوأران فيلاً عليه الدرع الملكية فظن الملك عليه واراد قتل الملك وتخليص شعبه وتخليد اسمه فعدا الى الفيل ودخل بين قوائمه وقتله فسقط عليه القيل ومات مكانه

على ان يهوذا رأى سطوة الملك وكثرة جيشه فتنحى من هناك وعقد الملك صلحاً مع اهل بيت صور فخرجوا من المدينة لنفاد الطعام من عندهم فاستولى الملك على مدينتهم واقام فيها حرساً للمحافظة وزحف بجيشه الى اورشليم وحاصرها اياماً طويلة الى ان نفد الزاد من عندهم فتفرقوا كل واحد الى موضعه ولم يبق الا نفر يسير . وكان بالعناية الربانية ان فيلبوس الذي كان قد فر الى مصر كما مرّ انتهز فرصة شخوص الملك الى اليهودية وخف الى شمالي المملكة واستدعى الجنود الذين كانوا ساروا في صحبة انطيوكس ايفان فلبى دعوته

كثير منهم وزحف بهم الى انطاكية وتبوأ تخت الملك وبلغ ذلك ليسياس فبادر الى الملك وقادة الجيش قائلاً قد قلَّ طعامنا والمكان الذي نحاصره حصين وامور المملكة تستحثنا فلنعاقد هولاء الناس ونبرم صلحاً معهم ومع امتهم ونبيحهم السلوك بسنتهم كما كانوا من قبل فانهم لاجل نقضها غضبوا وفعلوا كلما فعلوا فحسن الكلام في عيون الملك وروساء جيشه وراسلوا اليهود بالصلح فاجابوا وابرم الصلح على تركهم ومايدينون وحلف الملك والروساء على ذلك فركن اليهود وخرجوا من حصونهم فدخل الملك الى جبل صهيون ورأى الموضع حصيناً فنقض ما وقع عليه ولم يبرَّ يمينه وامر بهدم السور فهدم ولكن نجا اليهود وقفل الملك مسرعاً الى انطاكية فقاتل فيلبوس الذي كان تسنم منصة الملك وافتتح المدينة عنوة وعن يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ٩) ان الملك قتل فيلبوس ايضاً . وفي سفر المكابيين الثاني (فصل ١٣ عد ٢٤) ان الملك صافى المكابي ونصبه قائداً وحاكماً من بتلمايس (عكا) الى اخر بلاد اليهود فشق ذلك على اهل عكا فاقنعهم ليسياس وسكنهم قال الاب فيكورو (في معجم الكتاب في كلمة انطيوكس الخامس) ان حق اليهود بمباشرة امور دينهم بعد ان قرره لهم انطيوكس الخامس اوباتور لم يعد احد من ملوك سورية ينازعهم عليه او يعارضهم به واضمحل عزم انطيوكس ابيفان على ان يجعل عباد الله يونانيين اخلاقاً ودياناً ولم تكن حروب اليهود بعد ذلك مع ملوك سورية لاجل دينهم بل لاجل استقلالهم المدني . وكانت كل هذه الاحداث لسنة ١٦٣ ق م

عد ٤٣٦

مقتل انطيوكس الخامس وليسياس وملك ديمتريوس سوتر

قد مر ان ديمتريوس ابن سلوقوس الرابع كان رهينة في رومة وان حق

الملك بعد ابيه كان له لان اباه سلوقوس هو بكر انطيوكس الكبير فانتزعه منه عمه انطيوكس ايفان واستمر ديمتريوس في رومة ولما علم بوفاة عمه تقدم الى رجال الندوة في رومة ملتمساً اجلاسه على تخت ابيه فيكون شديد الاخلاص للرومانيين لانه عاش بين ظهرانيهم اعواماً عديدة فيحسب رجال الندوة كاباء له وبنيهم كاخوته فاثر هولاء الحكام مصلحة الجمهورية الرومانية على اجابة سوئل ديمتريوس العادل ورأوا ان الاصلح لهم ان يكون على تخت سورية ملك قاصر كما كان انطيوكس الخامس لاشاب شديد البأس كديمتريوس ولذلك اصدروا امراً اثبتوا فيه تسنم انطيوكس عرش سورية واوفدوا اكتاف ولوكرتيوس واوديليوس الى سورية ليهتموا بان يكون كل شي طبق العهدة التي جرت بينهم وبين انطيوكس الكبير وكان غرضهم ان يضعفوا هذه المملكة ما امكنهم ليتيسر لهم انتقامها وقتاً ما وكلفوا وفدهم ان يمرّ في الاسكندرية وينظر في الخلاف الذي كان وقع بين ملكي مصر الاخوين بتلمايس فيلوباتور وبتلماس فيسكون وكانت نتيجة ما دبره هولاء الوفد في مصر اقتسام هذه المملكة بامر رجال الندوة الرومانية بين الملكين الاخوين فاعطوا فيسكون ليبيا والقيروان وفيلوباتور مصر وجزيرة قبرس ايهاناً لقوة هذه المملكة ايضاً طبقاً للرغائب المشار اليها وسار الوفد الروماني الى سورية فوجد ان لملكها من السفائن والفيلة اكثر مما نص عليه في العهدة بين انطيوكس الكبير والرومانيين فاحرقوا من السفن وقتلوا من الفيلة ما زاد على العدد المتفق عليه فاوغر هذا الصنع قلوب الشعب واخذت الحماسة من رجل اسمه لبتين كل مأخذ فوثب على اكتاف الوافد الروماني وهو يستحمّ وقتله ونسب هذه القعلة الى ليسياس مدبر الملك فارسل رسلاً الى رومة يبرئ ساحة الملك وساحته من هذه الجريمة فلم يجب رجال الندوة الرسل الا بانهم يحفظون لانفسهم الفحص والعقاب على

هذه الجريمة

قد ظنّ ديمتريوس ان حنق الرومانيين على انطيوكس اوباتور ييسّر له نيل بغيته العود الى سورية فتقدم الى رجال الندوة ثانية مستمیحاً الترخيص له بالعود الى وطنه فانكروا عليه الاجابة لما قر من مقاصدهم فانسل من رومة خفية محتجا بانه ماضٍ للصيد واسرع الى استيا فوجد سفينة من قرطاجنة متأهبة للسفر الى صور فركبها ولم يعلم مفره في رومة الا بعد ثلثة ايام فارسل الديوان الروماني في اثره وفداً يرقب ما يأتيه اما هو فحل في طرابلس وشاع ان الرومانيين ارسلوه ليستحوذ على تخت ابيه ويسترد ملكه وانهم مصممون على معاونته فحل الرعب في قلبي انطيوكس الخامس وليسياس مدبره واعتبر الجمهور انطيوكس منحطاً عن الملك وارفضوا عنه وانحازوا الى ديمتريوس وقبض بعض جنود انطيوكس انفسهم على مولاهم ومدبره واتوا بهما الى ديمتريوس فقال لا تروني وجوهما فاخذهما الجنود وقتلوهما واستوى ديمتريوس على سرير الملك وكان ذلك لسنة ١٦٢ ق م (بوليب فصل ١١٤ وابيان في السوريين ويوستينوس ك ٣٤ فصل ٣ وسفر المكابيين الاول فصل ٧ عد ١ و٢ والمكابيين الثاني فصل ١٤ عد ١ و٢)

وهذا مثال لسكة انطيوكس الخامس فترى على الوجه الاول رأسه مكللاً وفي الوجه الثاني رسم المشتري وبيمناه مثال الانتصار وقد اسند يسراه الى صولجانه وكتب عليها باسيلاوس انطيوكس اوباتور اي الملك انطيوكس اوباتور

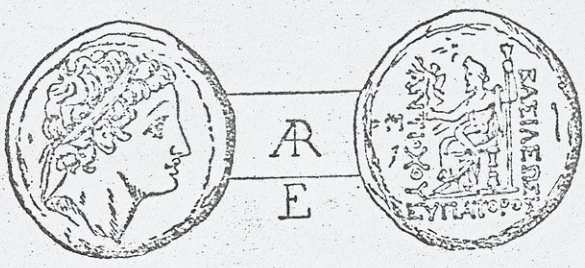

وكانت باكورة اعمال ديمتريوس انه انقذ اهل بابل من ظالمين اسم احدهما دتيمرك كان انطيوكس ايفان قد اقامه والياً على بابل واسم الثاني هركليد كان اقامه على الخزينة فقتل ديمتريوس دتيمرك لانه كان اقدم على العصاوة واكتفى لهركليد بالنفي فشمل السرور اهل بابل وسموا الملك سوتر اي المنقذ والمخلص فكان هذا لقبه

عد ٤٣٧

حروب جنود ديمتريوس ويهوذا المكابي الى مقتله

قد كان رجل من بني هارون الذين لا تحق لهم الرياسة على الكهنة اسمه يواقيم او الياقيم تزلف الى اليونان طمعاً ان يصير رئيس الاحبار وغير اسمه ليكون شبيهاً بالاسماء اليونانية داعياً نفسه الكيمس (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ٩) وبعد مقتل منلاوس الخائن الاخر كما مر (عد ٤١٧) اقامه ليسياس مدبر الملك في ايام انطيوكس الخامس فلما تسنم ديمتريوس الاول سرير الملك اتاه الكيمس يصحبه بعض الجاحدين من بني اسرائيل فسعوا لدى الملك بيهوذا المكابي واخوته وبمن يضادهم من الشعب قائلين له قد اهلكوا اصحابك وطردونا من ارضنا لاننا مخلصون الطاعة لك فان حسن بعينيك فارسل رجلاً تثق به يفحص عما انزلوه بنا وببلادك ورعاياك من الدمار ويعاقبهم على هذه الجرائم فاختار الملك بكيديس احد امنائه ووالي عبر الفرات وارسله الى اليهودية وقلّد الكيمس رياسة الاحبار وجعله رفيقاً لبكيديس واصحبهما بجيش كثيف ولما وصلا الى اليهودية اثر بيكيديس الحيلة على الحرب وارسل رسلاً الى يهوذا واخوته يخاطبونهم بالسلم فلم يركن المكابيون الى كلامهم ولكن وافى بعض المقدمين في الشعب بكيديس والكيمس لطلب السلم لانهم قالوا ان مع الشعب كاهناً من نسل هرون فلا يظلمنا فتقبلهم بكيديس بالترحاب وحلف لهم انه لا يريد بهم

ولا باصحابهم سوءاً فصدقوه لكنه لم يلبث ان قبض على ستين رجلاً منهم وقتلهم في يوم واحد ثم ارسل فقبض على كثيرين فذبحهم وسلم البلاد الى الكيمس وابقى معه جيشاً يوازره وقفل بكيديس راجعاً الى انطاكية عند الملك

فانضم الى الكيمس جميع المفسدين في الشعب واستولوا على ارض يهوذا والحقوا باخوتهم الصالحين مضار كثيرة فلم يتحمل يهوذا المكابي فظائعهم فهبّ منكلاً بهم ورادعاً لهم عن التمادي في شرهم فعاد الكيمس من اورشليم الى الملك يشكو اليه معارضة يهوذا انفاذ اوامره وتنكيله بكل من اخلص الطاعة للملك واهدى اليه اكليلاً وسفنة من ذهب واغصان زيتون مما يختص بالهيكل فارسل الملك نكانور احد قادة جيشه وامره بابادة اليهود واصحبه بجيش جرار فلجأ نكانور ايضاً الى المكر وارسل يخاطب يهوذا واخوته قائلاً لا يكون قتال بيني وبينكم وانا قادم في نفر قليل لاواجهكم واتي الى يهوذا وحيا احدهما الاخر تحية سلام وكان في نية نكانور ان يختطف يهوذا ان قدر فلم يتيسر له حينئذٍ فعاد الى معسكره وعلم يهوذا ما كانوا ينوون فاجفل ولم يعد الى مواجهته ثم ارسل نكانور اليه رسلاً لعرض الصلح وامضائه وبعد البحث في الامر طويلاً عينوا يوماً للمواجهة واقبل نكانور واتى يهوذا واقام رجالاً متسلحين يرقبون في مواضع موافقة مخافة ان يدهمهم الاعداء بشر وتفاوضا وعقدا اتفاقاً واقام نكانور باورشليم لا يبدي منكراً وكان كثير الترداد الى يهوذا وصبا اليه قلبه وحثه على الزواج فتزوج ولبث في راحة

ولما رأى الكيمس ما بينهما من المصافاة والتودد عاد الى ديمتريوس الملك يقول ان نكانور رأى رأي فساد واتفق مع يهوذا وآخاه فاستشاط الملك غضباً وكتب الى نكانور انه ساخط من ذلك الاتفاق وامره ان يبادر الى ارسال المكابي مقيداً الى انطاكية فاحتار نكانور وشعر يهوذا انه قد تغير عليه فتغيب

عنه ورأى نكانور ان لا مناص له من انفاذ امر الملك ولم تُتنه الحيلة فعمد الى قتال يهوذا وخرج اليه بجيشه فالتقيا عند كفرسلامة (عن سمت انها تسمى اليوم كفرسلوان في جوار اورشليم وعن كوندر انها تسمى سلمه في جوار يافا اعلام الاماكن الكتابية) فسقط من جيش نكانور نحو خمسة آلاف رجل وفر الباقون الى مدينة داود

ثم خرج نكانور واتى نحو الهيكل فخرج الكهنة وبعض الشيوخ يستعطفونه ويرونه المحرقات المقدمة عن الملك فسخر منهم وتعذرهم واقسم لهم انهم ان لم يسلموا اليه يهوذا ورجاله فيحرق الهيكل وانصرف عنهم بحنق شديد فعاد الكهنة الى الهيكل يصلون للباكين لينقذ هيكله وشعبه من ايدي الظالمين وكان في اورشليم شيخ محمود السمعة حتى سمى بابي اليهود فاراد نكانور ان يبدي حنقه عليه فارسل اليه اكثر من خمس مئة جندي ليقبضوا عليه ولما رأى الشيخ الجنود اوشكوا ان يفتحوا باب الدار واصبح محاطاً من كل جهة وجأ نفسه بالسيف فلم يمت لساعته ولما دخل الجنود داره رقى الى اعلاها والقى نفسه الى اسفل فبقي فيه رمق واشتعلت فيه الحميّة فعدا بين الجنود وقام على صخرة عالية وقد نزف دمه فاخرج امعاه وضرب بها الجند داعياً لرب الحياة والروح ان يردها عليه وقضى

ثم خرج نكانور من اورشليم ونزل بيت حورون (بيت اور) ونزل يهوذا بادسته (المعروفة اليوم باداسه ايضاً على ثلاثين غلوة من بيت اور غرباً اعلام الاماكن الكتابية) وصلى المكابي والجم الجيشان القتال في ١٣ من شهر اذار وانكسر جيش نكانور وكان هو اول من سقط في القتال فتشتت شمل جيشه والقوا سلاحهم هاربين فتبعهم يهوذا ورجاله من اداسة المذكورة الى مدخل جازر (المعروفة اليوم بتل جازر على اربعة اميال غرباً من عمواس طالع عد ٢٧٧)

ونفخوا ورأهم في ابواق الاشارة فالتقاهم الناس من كل جانب وصدموهم فارتدوا الى جهة من يتعقبونهم فابادوهم عن اخرهم واخذوا غنائمهم واسلابهم وقطعوا راس نكانور ويمينه التي مدها نحو الهيكل واقسم انه سيخربه واتوا بهما وعلقوهما على القلعة في اورشليم دليلاً بيناً على نصرة الله وجعلوا اليوم الثالث عشر من اذار عيداً لذكر هذا الانتصار في كل سنة واستراحوا اياماً قليلة وكان ذلك لسنة ١٦١ ق م (مكابيين ١ فصل ٧ ومكابيين ٢ فصل ١٤ و١٥ ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ١٦)

ولما كان يهوذا يعلم ما للرومانيين من الاقتدار والعظمة والصولة وما يتأتى من حنق ديمتريوس عليه وعلى امته لقتل وزيره نكانور وقرض جنوده ارسل رجلين من اعيان شعبه الى رومة يبغي عقد الموالاة والمسالمة مع الرومانيين فرحب اهل الشورى بوافدي يهوذا واكرموا مثواهما واجابوا سؤل مرسلهما وكتبوا كتاباً على الواح من نحاس وارسلوه معهما الى اورشليم ليكون تذكاراً للمسالمة والمناصرة ونسخة هذا الكتاب مثبتة في سفر المكابيين الاول في الفصل الثامن ومؤداه «تحقيق المسالمة والمناصرة بين الشعب الروماني وامة اليهود وانه اذا قامت حرب على الرومانيين او مناصريهم لزم اليهود انجادهم بما امكن على نفقاتهم وكذلك اذا قامت حرب على اليهود ناصرهم الرومانيون على نفقاتهم وانهم كتبوا الى ديمتريوس الملك يلومونه على اثقال نيره على مناصريهم اليهود وانهم ان عادوا يتظلمون منه فينتصرون لهم ويقاتلونه بحراً وبراً»

اما ديمتريوس فوغر صدره على يهوذا ورجاله وارسل بكيديس والكيمس ثانية بجيش كبير فنزلا على اورشليم ثم انطلقا الى بيروت (المعروفة الان بالبيري على ثلث ساعات من اورشليم في طريق نابلس) في عشرين الف راجل والفي

فارس ولم يكن مع يهوذا الا ثلاثة الاف رجل ورأوا كثرة عدد الجيش فهبوا ينسابون حتى لم يبق منهم الا ثماني مئة رجل فانكسر قلبه واسترخت عزائمه ولم يكن وقت لرد رجاله واراد الباقون معه ان يصرفوه عن عزمه فقال حاشاي ان اهرب منهم وان كان قد دنا اجلنا فلنموتن عن اخوتنا منشجعين وبرز جيش العدو ووقفوا بازائهم ومقدمة الجيش كلها من ذوي البأس وكان بكيديس في الميمنة فقصده يهوذا ومعه كل ذي قلب ثابت ودام القتال من الصباح الى المساء وكسر يهوذا جيش الميمنة وتعقبوا اثرهم الى جبل اشدود ولما رأت ميسرة العدو انكسار الميمنة انقلبوا على آثار يهوذا ورجاله واشتد القتال وصرع كثيرون من الفريقين وسقط بينهم يهوذا البطل الصنديد فحمله يوناثان وسمعان اخواه ودفناه في قبر آبائه في مودين فبكاه شعب اسرائيل بكاء عظيماً وناحوا عليه اياماً كثيرة واجتمع اصحاب يهوذا ورؤساء اليهود المستقيمو الرأي واختاروا يوناثان رئيساً وقائداً مكانه (مكابيين ١ فصل ٩ عد ١ الى ٣٠)

﴿عد ٤٣٨﴾

﴿محاربات يوناثان وبكيديس قائد جيش الملك﴾

علم بكيديس ان يوناثان خلف اخاه يهوذا فطلب قتله فنجا يوناثان واخوه سمعان ومن معهما الى برية تقوع (وهي في عبر الاردن غير تقوع التي بين الخليل جنوباً وبيت لحم شمالاً) فزحف بكيديس اليهم بجيشه الى عبر الاردن فارسل يوناثان اخاه يوحنا الى البناطين اوليائهم يسألهم ان يعيروه عدتهم الوافرة فخرج بنو عبري من ميدبا (تعرف الان بهذا الاسم في شرقي عبر الاردن) فقبضوا على يوحنا ومن معه وذهبوا بهم فكمن يوناثان ورجاله لبني عيري وهم سائرون في حفلة عرس فقتلوا منهم كثيرين انتقاماً لدم اخيهم

ووفد بكيديس الى شطوط الاردن والتحم القتال ومد يوناثان يده ليضرب بكيديس فانصاع الى الوراء وقتل من جنوده في ذلك اليوم الف رجل وعبر يوناثان ورجاله النهر سابحين فلم يلحقهم بكيديس بل عاد الى اورشليم وبنى قلعاً وحصّن اريحا وعماوس وبيت حورون (بيت اور) وبيت ايل (بيت اين) وجازر (تل جازر) وغيرها وجعل فيها حرساً يراغمون اسرائيل واخذ ابناء وجهاء البلاد رهائن وسجنهم في قلعة اورشليم

وامر بكيديس الكيمس الحبر الخوّون ان يهدم حائط دار المقدس الداخلية وشرع في التدمير فضربه الله باعتقال لسانه واصابه فالج حتى لم يعد يستطيع ان ينطق بكلمة فمات في عذاب اليم وكان ذلك لسنة ١٦٠ ق م ولما رأى بكيديس ان الكيمس مات عاد الى الملك واخذ الرهائن المذكورين معه فهدأت ارض يهوذا سنتين الى ان أثمر المنافقون من بني اسرائيل وارسلوا الى بكيديس وفداً حمله على العود الى اليهودية بجيش عظيم وبعث بكتب الى نصرائه في اليهودية ان يقبضوا على يوناثان ومن معه فلم يكن لهم لما يبتغون سبيل لان يوناثان درى بذلك فانصرف هو واخوه سمعان ومن معهما الى بيت حجلة (المعروفة الان بعين حجلة في الجنوبي الشرقي من اريحا) وبنى هدومها وحصنها وقبض على خمسين رجلاً من اصحاب الفتنة وقتلهم على ما فسر الحبري آية الكتاب (مكابيين١ فصل ٩ عد ٦١) التي لا تخلو من لبس فزحف بكيديس بجيشه وحارب بيت حجلة اياماً كثيرة وترك يوناثان اخاه سمعان في المدينة ومضى يتكل باعدائه وخرج سمعان ومن معه من المدينة واحرقوا مجانيق العدو واستظهروا على بكيديس وضايقوه جداً فاستشاط غضباً على المنافقين الذين اشاروا عليه بالخروج الى اليهودية وقتل كثيرين منهم وازمع الانصراف الى مولاه فراسله يوناثان في عقد المصالحة فاجابه اليها

وحلف له انه لن يطلبه بسوء كل ايام حياته ورد اليه الاسرى الذين اسرهم من قبل وعاد الى انطاكية وكان ذلك خاتمة اسفاره الى اليهودية واستولى الامان في بني اسرائيل وسكن يوناتان في مكماش (مخماس على سبعة اميال من اورشليم شمالاً) واخذ يحاكم الشعب واستأصل المنافقين من اسرائيل (مكابيين ١ فصل ٩)

عد ٤٣٩

تزلف ديمتريوس الى الرومانيين والمؤامرة عليه واستحواذ اسكندر على عكا

يظهر ان ديمتريوس بلغته رسالة الرومانيين المذكورة بان يكتب عن اعنات اليهود لانهم من انصارهم ولذلك لم يعد بكيديس ولا غيره لمحاربتهم بل روى بوليب (فقرة ١٢٠) انه اخذ يتزلف الى الرومانيين بكل ما عنّ له من الوسائل ليعرفوه ملكاً على سورية ويجددوا معه العهدة التي كانت لهم مع اسلافه وعلم انهم ارسلوا وفداً الى اريارات ملك الكبادوك فاوفد اليهم منيوثر وزيره يجاملهم ويعرض عليهم بغية الملك فاملوه بنيل الملك ما يبتغي ثم ارسل اليهم ديمتريوس وهم في بمفيليا ثم في رودس يحقق لهم انه سيكون مطواعاً لكل ما يهوون فنال بواسطة هولاء الوفد ما امل واقرّ له الرومانيون بملك سورية وجددوا العهدة معه ثم ارسل منيوثر وغيره الى رومة سنة ١٥٩ واهدى الندوة اكليلاً ثميناً دليلاً على شكره للرومانيين لما لقيه عندهم اذ كان رهينة في رومة وبعث اليهم بلثين الذي اغتال اكتاف سفيرهم كما مر ورجلاً يونانياً اسمه سقراط كان في سورية حينئذٍ وكان يدافع عن المغتال المذكور فقبل رجال الندوة رسل الملك بالترحاب والتكريم ولم يلتفتوا الى الرجلين المجرمين حافظين لانفسهم الحق ان يطلبوا في وقت آخر ما يهوون من الترضية عن قتل سفيرهم

ولما أريح ديمتريوس من الحرب ونعم باله من الهم والبلبال عكف على الملاذ واللهو وبنى له قصراً في ضواحي انطاكية وعلى جوانبه اربعة ابراج وولع بالخمر وغوائله وانف الاهتمام بمشاغل رعيته وكان يستمر سكران اكثر يومه حتى وقفت اشغال الملك وتآمر عليه كثير من شعبه حتى هولوفرن الذي كان جعله ملكاً على الكبادوك فطرد من هناك لشره فكشف الملك عن وجه المؤامرة وتداركها بقتل كثيرين واستبقى هولوفرن طامعاً بانه يحتاج اليه يوماً في محاربة اريارات . على ان نار الفتنة لم تخمد اذ كان ينفخ بها بتلمايس فيلوباتور ملك مصر لخلاف بينه وبين ديمتريوس على جزيرة قبرس وانال ملك برغام واريارات ملك الكبادوك لمحاربة ديمتريوس لهما انتصارا لهولوفرن المذكور وأتمر هؤلاء الملوك الثلاثة على ديمتريوس واسرّوا الى هركليد خازن انطيوكس ايفان الذي كان ديمتريوس نفاه من بابل كما مرّ (عد ٤٣٦) ان يجد شخصاً يدّعي انه ابن انطيوكس ايفان وينازع ديمتريوس الملك فوجد رجلاً اسمه بالاظن الاكثرون انه كان من سفلة الناس نسباً ومن ازمير موطناً لكنه اهل لما اختير له من المكر وقال كثيرون انه كان ابن انطيوكس ايفان حقاً ومنهم استرابون (فصل ١٣) ويوسيفوس في تاريخ اليهود (ك ١٣ فصل ٢) وسماه سفر المكابيين الاول (فصل ١ عد ١) ابن انطيوكس وكلامه يتحمل انه اراد الحقيقة او حكاية ما سمى نفسه به ومهما يكن من نسب بالافقد ارشده هركليد الى ما يصنع وجعل الملوك الثلاثة يقرون له انه ابن انطيوكس ايفان وتستيراً لدهائه اخذ معه لاوذيقة ابنة انطيوكس ايفان حقيقة واستطاع بمكره وخديعته ان ينال له من الندوة الرومانية كتاباً يخولونه به ان يعود الى سورية ليسترد ملكه ووعدوه بالمعاونة له على ادراك بغيته وعاد هركليد بالا الى سورية ويسر له كتاب الرومانيين ان يحشد جنوداً فاستحوذ اولاً على عكا وسمى

نفسه اسكندر بن انطيوكس ايفان وملك سورية وانضم الى رايته كثيرون من مخالفي ديمتريوس (بوليب ك ٣٣ فصل ١٦ وايبان في السوريين فصل ٦٧ ويوستينوس ك ٣٥ فصل ١ وغيرهم) وكان ذلك لسنة ١٥٣

عد ٤٤٠

جد كل من الملكين في استمالة يوناتان اليه وقتل اسكندر ديمتريوس

اذا علمت ما مر تهيأ لك ادراك ما جاء في سفر المكابيين الاول (فصل ١٠ عد ١ وما بليه) حيث قال ما ملخصه «وفي السنة المئة والستين لتاريخ السلوقيين وهي سنة ١٥٣ ق م صعد الاسكندر الشهير ابن انطيوكس وفتح بطلمايس (عكا) فقبلوه وملك هناك وجمع ديمتريوس الملك جيوشاً كثيرة وخرج لملاقاته في الحرب وشعر بحاجته الى نصير فانفذ الى يوناتان كتاباً متقرباً اليه بالاطراء قاصداً ان يسبق اسكندر الى موالاته واذن له ان يجمع جيشاً ويصنع اسلحة ورد عليه الرهائن الذين كانوا في قلعة اورشليم فتلا يوناتان الكتاب على مسامع الشعب وجزعوا جزعاً شديداً وطفق يوناتان يبني اسوار اورشليم ويحصنها فهرب الغرباء الذين كانوا في الحصون التي بناها بكيديس كما مر وعلم الاسكندر بما وعد به ديمتريوس يوناتان وما صنع هو واخوته من الحروب فعزم ان يتخذه وليه وناصراً فكتب اليه مسمياً اياه اخاه وسائلا ان يكون له ولياً ونصيراً واقامه كاهناً اعظم في امته وارسل اليه ارجواناً وتاجاً من ذهب مما لا يلبسه الا الملوك فلبس يوناتان الحلة المقدسة المختصة برؤساء الاحبار واستمرت هذه الرياسة في ذرية المكابيين الى ايام هيرودس وجمع يوناتان جيشاً وجهز اسلحة

فشق ذلك على ديمتريوس وقال كيف تركنا الاسكندر يسبقنا الى مصافاة اليهود والتعزز بهم وكتب اليهم قائلاً انه بانه انهم محافظون على عهود ولايته

ثابتون في مودته ولم يتقربوا الى اعدائه وانه يستحسن ثوابهم على ما يفعلون ويعفيهم ويحط عن جميع اليهود كل جزية ومكس الملح الذي كان يلزم اداوه للحكومة على كلما ينفق او يباع منه ومن ضريبة الاكاليل اذ كان يضرب ضريبة على الرعية ان يدفع كل منهم شيئاً من ثمن اكاليل تقدم للملك ويترك لهم ثلث الزرع ولا يريد به على الاصح ثلث الحبوب الحاصلة من الزرع بل ثلث البذر فمن بذر مثلاً اثني عشر مداً لزمه ان يدفع للملك اربعة امداد من الحبوب كانهم اصطلحوا على ذلك بدلاً من العشر (الحجري في تفسير هذه الايات) واعفاهم ايضاً من دفع نصف اتاوة الشجر اي ثمارها في ارض اليهودية وما الحق بها من ارض السامرة والجليل. وامر ان تكون اورشليم مقدسة وحرة هي وتخومها ولا تدفع شيئاً من العشور والضرائب وقال انه يتخلى عن قلعتها للكاهن الاعظم ليقيم فيها من اختار ويطلق جميع النفوس التي سبيت من اليهود بلا فدية ويعفى الجميع من اتاوة المواشي ويبيحهم الاعتناء باعيادهم وسبوتهم وتكون تلك الايام ايام ابراء وعفو لجميع اليهود فلا يثقل احد عليهم في اي امر كان. وان يكتتب من اليهود في جيش الملك الى ثلاثين الف رجل يعطون وظائف كسائر الجنود ويفوض الى بعضهم النظر في مهام المملكة ووهب بطلمايس (عكا التي كان اسكندر استحوذ عليها) وما يتبعها لهيكل اورشليم لاجل نفقة الاقداس ويزيد عليها كل سنة خمسة عشر الف مثقال من الفضة فتعطى للهيكل من دخل الملك الخاص وان ما بقي من مال الحكومة في السنين السالفة يتخلى عنه لاعمال الهيكل وخمسة الاف مثقال فضة التي كانت توخذ من دخل الهيكل تترك رزقاً للكهنة القائمين بالخدمة ومن لاذ بالهيكل وللملك عليه مال او اي حق كان فليعف ونفقة البناء والترميم في الهيكل وبناء الاسوار في اورشليم وسائر اليهودية تعطى من حساب الملك،

فلم يثق يوناثان ولا الشعب بهذه المواعيد لانهم تذكروا ما انزل ديمتريوس بهم وما انزلوه بجيوشه فاثروا اسكندر على ديمتريوس واستمروا على مناصرته كل الايام ثم انتشبت الحرب بين الملكين ففي الوقائع الاولى كانت سجالاً لم يظهر احدهما على الاخر (يوستينوس ك ٣٥ فصل ١) ولكن في سنة ١٥٠ ق م اشتد القتال وكان الملوك الثلاثة المذكورون ويوناثان ينجدون اسكندر برجالهم وفي الوقيعة الاخيرة التي دامت النهار كله ظهرت ميسرة ديمتريوس على ميمنة اسكندر فتتبعتها طويلاً تاركة الملك يقاتل في قلب جيشه وميمنته فتقوى عليه الاعداء وكبا حصانه وهو منهزم في وحول فقتل برمي السهام واستلب الملك لاسكندر (مكابيين ١ فصل ١٠ عد ٤٨ الى عد ٥٢) ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٣ فصل ٢) واسترابون (ك ١٦ فصل ٢) وكانت مدة ملك ديمتريوس اثني عشرة سنة من سنة ١٦٢ الى سنة ١٥٠ ق م

وهذا مثال لسكة ديمتريوس الاول فترى في الوجه الاول راسه والتاج عليه وفي الوجه الثاني رسم السعد جالس على كرسي وفي يمناه عصى الملك وفي شماله بوق دلالة على الرعد والخصب . وقد كتب عليها باسيلاوس ديمتريوس سوتروس اي الملك ديمتريوس سوتر اي المخلص

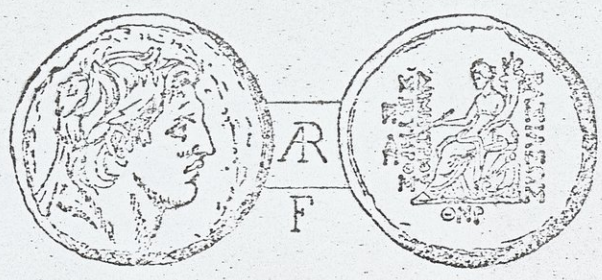

عد ٤٤١

مصاهرة اسكندر لبتولمايس وتعزيزه يوناتان وهيكل اليهود في مصر

ان الملك اسكندر رغبة في تعزيز سلطته ارسل الى بتلمايس ملك مصر يقول اذ قد رجعت الى ارض مملكتي وجلست على عرش آبائي واستتبّ لي السلطان فهلمّ الآن نوالي بعضنا بعضاً وهب لي ابنتك زوجة فاصاهرك واهدي اليك هدايا تليق بك فاجابه بتلمايس مبدياً سروره من استتباب الملك له ودعاه ليوافيه الى عكا فيزف ابنته قلوبطرة اليه هناك فالتقى الملكان في عكا واقيم العرس على عادة الملوك بمعظم الاحتفاء وكتب الملك اسكندر الى يوناتان ان يقدم لملاقاته فانطلق الى عكا في موكب مجيد واهدى للملكين وحاشيتهما هدايا نفيسة فعظمت منزلته لديهما وقد وشى به رجال منافقون من بني اسرائيل فلم يصغ الملك اليهم بل امر ان يلبسوا يوناتان ارجواناً واجلسه الى جانبه وقال لمظمائه اخرجوا معه الى وسط المدينة ونادوا ان لا يتعرض احد له في امرٍ من الامور ولا يسوءه بشي من المكروه فهرب من وشوا به واعزه الملك واقامه قائداً وشريكاً في الملك وعاد الى اورشليم سالماً مسروراً (مكابيين ١ فصل ١٠ عد ٥١ الى ٦٧) وروى يوسيفوس (ك ٢ في رد ازعام ابيون) ان اونيا بن اونيا الثالث لما لم يحصل على رياسة الاحبار بعد موت عمه منلاوس مضى الى مصر وتزلف الى بتلمايس فيلوماتور وقرينته الملكة قلوبطرة فاحتفيا به واكرما مثواه فسال الملك ان يأذن له في هيكل لليهود في مصر كهيكلهم في اورشليم فيكونون له اخلص الرعية في طاعته فاجاب الملك سؤله وامر ان تكون رياسة الاحبار في هذا الهيكل له ولذريته من بعده على ان اليهود ابوا الا المقاومة لهذا الامر الذي تنهاهم سنتهم عنه ولا تبيحهم ان يكون لهم هيكل الا هيكل اورشليم وما برحوا يكابرون اونيا الى ان افحمهم بنبوة اشعيا (فصل ١٩ عد ١٨

وما يليه) حيث قال ، في ذلك الزمان تكون خمسة مدن في ارض مصر تتكلم بلغة كنعان وتحلف برب الجنود يقال لاحداها مدينة الشمس (هليوبولي) في ذلك اليوم يكون مذبح للرب في داخل ارض مصر ... فيكون علامة وشهادة لرب الجنود في ارض مصر لانهم يصرخون الى الرب من مضايقهم فيرسل لهم مخلصاً ورباً فينقذهم ، فمعرفة هذا الامر قبل حدوثه بقرون تعلو مدارك البشر ويخالف كل الخلاف قرائن الاحوال في أيام اشعيا فنبوته عليه من اعظم النبوات

عد ٤٤٢

ثورة ديمتريوس الثاني على الملك اسكندر

ان الملك اسكندر لما خلا له الجو من الحرب والنزاع انقطع الى الملاذ وعكف على الترف والبطالة وترك مهام الملك الى خل له يسمى امونيوس فهذا قتل لاوذيقة اخت ديمتريوس وانتيكون ابنه الذي كان قد استمر في سورية بعد مقتل ابيه واغتال كل من وجدهم من النسل الملكي ليجعل مولاه في مأمن من المنازعة له على الملك الذي اختلسه بمكره فمقت الشعب الملك وكثر انينه من اعتزاله المهام ومن سوء تصرف عماله وكان ديمتريوس بكر ديمتريوس الاول فاراً الى كريت وكان بلغ اشده وعلم تذمر الخاصة والعامة من الملك فانتهز الفرصة وهب من كريت سنة ١٦٠ للسلوقيين وهي سنة ١٤٧ ق م فحل في قليقية فلبى القوم دعوته لمقتهم الملك واستحوذ على تلك البلاد فصحا اسكندر من سكر غفلته وهب من رقاد توانيه وجهز جيشاً سار به لمناوأة ديمتريوس وترك لتدبير الملك في انطاكية هياركس وديودت المسمى تريفون وبلغه ان ابولونيوس والي بقاع سورية وفونيقي جاهر بالانحياز الى ديمتريوس فامره في ولايته كما كان من قبل اسكندر واقامه على الجيش فكتب الى حميه بتامايس ملك مصر ان ينجده برجاله فابطأ في انجاده

اما يوناثان فاستمر يخلص في الطاعة لاسكندر فراسله ابولونيوس قائلاً ليس لنا من مقاوم الا انت فهلم نناهضنا في الجبال فان كنت واثقاً بجيوشك فانزل الينا في السهل فنتبارز هناك فاختار يوناثان عشرة الاف رجل وخرج بهم من اورشليم وتبعهم اخوه سمعان ونزل تجاه يافا فاغلق حرس ابولونيوس في وجهه الابواب فحاصر المدينة فخاف اهلها وفتحوا له الابواب فاستولى يوناثان على يافا وبلغ الخبر ابولونيوس فقدم بجيش كثير وثلاثة آلاف فارس واظهر من نفسه انه عابر الى اشدود ثم عطف بغتة الى السهل وترك الف فارس وراءه يكمنون ليوناثان الذي تعقبه الى اشدود والتحم القتال بين الفريقين فوثب اولئك الفرسان يرمون ساقة يوناثان بالسهام حتى اعيت خيلهم فحينئذٍ برز سمعان بجيشه والحم القتال على الفرسان فشتت شملهم وانتصر يوناثان على جيش ابولونيوس ففروا الى اشدود ودخلوا بيت داجون معبد صنمهم فاحرقه والمدينة وماحولها واخذ غنائمهم وكان عدد القتلى ثمانية آلاف رجل ثم سار يوناثان الى اشقلون (عسقلان) فخرج اهل المدينة للقائه باجلال عظيم وعاد غانماً الى اورشليم وبعث اليه اسكندر الملك بعروة من ذهب كما كان يهدي لابناء الملوك ووهب له عقرون وتخومها ملكاً (مكابيين ١ فصل ١٠ عد ٦٧ الى ٨٦)

اما بتلمايس السادس ملك مصر فجمع جيوشاً كثيرة وجهز سفناً عديدة وسار الى سورية مظهراً انه يريد انجاد صهره اسكندر الملك ومبطناً الاستيلاء على مملكته والحاقها بمملكة مصر ففتح له اهل المدن ابوابها والتقوه بالتجلة حسب وصية الملك اسكندر وكان بتلمايس كلما خرج من مدينة ابقى فيها حرساً من الجند ولما وصل الى اشدود اروه هيكل داجون المحرق والمدينة وضواحيها المهدومة فلم يفه الملك ببنت شفة ولاقاه يوناثان الى يافا باجلال ثم

شيّعه الى نهر الوتاروس (المعروف الان بالنهر الكبير في شمالي اطرابلس اعلام الاماكن الكتابية) فاستحوذ بتولمايس على المدن الساحلية الى سلوقية التي على مصب العاصي (المعروفة الان بالسويدية) وارسل ديمتريوس ان يعقد عهداً بينهما ويعطيه ابنته قلوبطرة التي كان زوجها بالملك اسكندر مدعياً ان هذا الملك رام قتله فتغير عليه والذي ذكره يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٣ فصل ٣) من سبب هذا التغير هو انه لما كان بتلمايس في عكا اكتشف مكيدة لاغتياله صلاها له امونيوس وزير اسكندر فكتب الى الملك ان يعاقبه على ما جنى فاجابه انه لم يتحقق ان لوزيره ضلعاً في هذه الجناية فاستاء بتلمايس وذكر ديودر مثل هذا السبب على ما جاء في فقرات المؤرخين اليونان لمورل على ان الكتاب قال انه « تجنى عليه ظلماً في ملكه » (مكابيين ١ فصل ١١ عد ١١) ومهما يكن فبتلمايس دخل انطاكية ووضع على راسه تاجين تاج اسيا وتاج مصر وفر امونيوس وزير اسكندر متنكراً بزي امرأة وعرفه بعض اهل انطاكية فقتلوه

ولما علم اسكندر وهو في قيليقية بما كان خف لقتال حميه بتلمايس والتحم القتال بين جيشي الملكين فدارت الدوائر على اسكندر وتشتت جنوده وانهزم هو بخمس مئة فارس الى زبدئيل احد امراء العرب فقطع الامير رأسه وارسله الى بتلمايس في انطاكية الا ان بتلمايس لم يعش بعد ذلك الا قليلاً وادركته المنية (مكابيين ١ فصل ١١ عد ١ الى ١٩ ويوسيفوس ك ١٣ فصل ٢ وديودر في مجلد ٢ فصل ٢٠ في الفقرات المذكورة) وكانت وفاة الملكين سنة ١٤٦ وعند بعضهم سنة ١٤٥ ق م واستتب الملك في سورية لديمتريوس الثاني الملقب نيكانور اي الظافر او الغازي.

وهذا مثال لسكة اسكندر بالا ففي الوجه الاول صورته والتاج على

رأسه وفي الوجه الثاني صورة المشتري وفي يمناه رمز الصاعقة وفي يسراه الصولجان وقد سكت في صيدا في سنة ١٦٥ للسلوقيين. وكتب عليها باسيلاوس الكسندروس ثاوبتروس افرجاتوس اي الملك اسكندر المتأله الاب المحسن

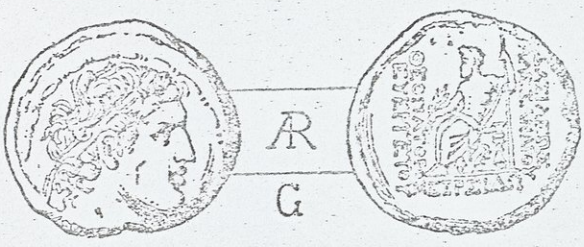

عدد ٤٤٣

سوء تصرف ديمتريوس نكانور

ان الملك ديمتريوس اساء السعي منذ بدء ملكه واعتمد على رجل من اكريت اسمه لستان كان ابوه ارسله اليه لدن تسعر الحرب مع اسكندر بالا فعند عود ديمتريوس الى سورية اصحبه لاستان ببعض المتطوعين من الاكريتيين فوثق به وترك له زمام اعماله فنفر قلوب من كان لمولاه ان يعتصم بهم وكانت باكورة اعماله السيئة ان جعل الملك يأمر بقتل الحرس الذين كان بتلمايس اقامهم في مدن سورية فقتلهم جنوده وحنق منه الجنود المصريون الذين كانوا اجلسوه على اريكة الملك بتهزيمهم عدوه الملك اسكندر فغادروه وقفلوا الى مصر . ثم طفق يبحث عن كل من خالفه او خالف اباه في حروبه الاخيرة ويتقصّ من كل من وجده منهم بالقتل وبعد ان فرغ من التنكيل بهولاء حسب انه لم يبقَ له عدو ولا مقاوم وصرف السواد الاعظم من جنوده ولم يُبقَ

الا على الاكريتيين وبعض الجنود الاجانب فمقته شعبه وعاداه الجنود الذين اعدمهم الرزق

اما يوناتان فلما رأى استتباب الراحة والامن في اليهودية عزم ان ينقذ شعبه من ضيق الرجال المقيمين في قلعة اورشليم فجمع الرجال واعد العدد وحاصر القلعة فانطلق قوم من مبغضي امته الى ديمتريوس يوشون به ويخبرونه بحصاره القلعة فاستشاط ديمتريوس غضباً وسار لساعته الى عكا وكتب الى يوناتان ان يكفّ عن حصار القلعة ويبادر الى ملاقاته في عكا فامر يوناتان رجاله ان يستمروا على حصار القلعة واخذ بعض الشيوخ والكهنة وكثيراً من الفضة والذهب والحلل وغيرها من الهدايا وانطلق الى الملك فاحتفى به الملك وعامله معاملة اسلافه له واقره في رياسته الكهنة وفي كل ما كان له من الاختصاصات وساله يوناتان ان يعفي اليهودية والمدن الملحقة بها وارض السامرة من كل جزية فيدفع له ثلاث مئة قنطار (عبارة عن ثلاث مئة الف ريال) فارتضى الملك بذلك وكتب الى يوناتان وامة اليهود كتاباً ضمنّه نسخة الكتاب الذي ارسله الى عامله في فلسطين وفحواه انه رأى ان يحسن الى امة اليهود لمحافظتهم على ما يحق له وانه يقرر لهم حدود اليهودية والمدن الثلاث الملحقة بها من ارض السامرة وهي افيرمة (غزة افرائم المعروفة بالطيبة) ولدة (وهي اللد في الجنوب الشرقي من يافا وفي شمالي الرملة) والرمتائيم (ولم يبين محلها وهي غير الرامتائيم صوفيم اي الرامة التي في اليهودية اعلام الاماكن الكتابية) وانه عفاهم من الجزية وغيرها من الضرائب بناء على ما تعهد به له يوناتان وهذه الرسالة مثبتة في سفر المكابيين الاول (فصل ١١) وعاد ديمتريوس الى انطاكية والى معاقرة الخمرة والانكباب على المعاصي وتعسف الرعية فضاق ذرع شعبه وعال صبرهم عن التحمل فثاروا عليه ثورة اشترك فيها عامتهم وخاصتهم كما سترى

وكان في مصر بعد وفاة بتلمايس السادس ان الملكة قلوبطرة زوجته افرغت جدها في تمليك ابنها منه ويظهر مما جاء في البابير المصري ان بين بتلمايس فيلوماتور المتوفى وبين بتلمايس افرجات الاتي ذكره ملكاً اخر يسمى بتلمايس اوباتور وهذا مشعر ان مسمى الملكة لم يُحقق على ان بعض اعيان الملكة عنوا بتمليك بتلمايس فيسكون اخي الملك المتوفى وكان مالكاً في القيروان كما مر وخافت قلوبطرة على نفسها فاستدعت اونيا وعسكراً من اليهود للذب عنها وكان في الاسكندرية يومئذٍ سفير للرومانيين اسمه ترموس اصلح ذات البين بينهما على ان فيسكون يتزوج بقلوبطرة ويربي ابنها ليكون ولي العهد ويرث الملك بعد وفاته لكنه ما تمّم بعد تزوجه بالملكة واستوائه على اريكة الملك ان قتل ابن الملكة في حضنها يوم العرس نفسه . واستتب الملك لفيسكون وهذا لقب ازدرآ معناه البطن (الذي لا يهمه الا بطنه) لقبه به قومه كما مر واللقب الذي اتخذه في ملكه هو بتلمايس افرجات اي المحسن وكان ذلك سنة ١٤٥ق م (يوستينوس ك ٣٨ فصل ٨ ويوسيفوس في رد مزاعم ابيون ك ١ ف ٢ وغيرهما)

عدد ٤٤٤

في الثورة على ديمتريوس نكانور

قد مرّ ان ديمتريوس الثاني اثار الرعية عليه بتعسفه وسوء تصرفه فديودرت الملقب تريفون (وهو الذي كان الملك اسكندر بالا اقامه على تدبير المملكة مع هيباركس في مدة غيابه عن انطاكية كما مرّ) انتهز فرصة مقت الشعب والجنود لديمتريوس فمضى الى ايملكوئيل امير العرب الذي كان يربي انطيوكس ابن الملك اسكندر بالا والحّ عليه ان يسلم اليه الامير الصغير ليملكه مكان ابيه وقصّ عليه ما يفعل ديمتريوس وما له في قلوب الجيش والشعب من العداوة وكان في عزم تريفون ان يستعين بانطيوكس ليذلّ عرش ديمتريوس

فاذا نال ما ابتغى دبر على انطيوكس واخذ الملك لنفسه فالامير العربي لم يذعن اولاً لما زينه له تريفون ولم يسلم اليه انطيوكس . فمكث تريفون هناك اياماً كثيرة . (كما في سفر المكابيين ١ فصل ١١ عدد ٤٠) يزيد في الالحاح والتزيين لامير العرب الى ان سلم اليه انطيوكس

وكان في اثناء غياب تريفون في بلاد العرب ان اشتد شغب الشعب والجند في انطاكية على ديمتريوس وان يوناتان استمر محاصراً قلعة اورشليم ولم يتيسر له فتحها فكتب الى ديمتريوس ان يأمر باخراج الجنود منها فاجابه الملك انه سيفعل ذلك وسأله ان يرسل اليه رجالاً من امته لان جيوشه كلها خذلته فوجه يوناتان اليه ثلاثة آلاف رجل اشدآء البأس ففرح الملك بهم وتعزز جانبه واراد ان يأخذ السلاح من اهل انطاكية فتألبوا عليه وكانوا نحو مئة وعشرين الفاً واحتاطوا قصره مصممين على قتله فدعا الملك اليهود ومن بقي امينا له لنجدته فشتتوا شمل المشاغبين وأحرقوا المدينة وقتلوا كثيرين من اهلها وانتهبوا كل نفيس فيها فتزلف الاهلون للملك وصالحوه والقوا السلاح وعاد اليهود الى اورشليم بغنائم كثيرة على ان ديمتريوس اخلف في كل ماوعد يوناتان به وتغير عليه وضايقه وعاد الى ما كان عليه من الاعتساف للرعية واذ ذاك عاد تريفون من بلاد العرب ومعه انطيوكس وهو غلام صغير فاجتمع اليه جميع الجنود الذين سرحهم ديمتريوس وانضوى تحت رايته كل بغيض للملك وهم السواد الاعظم وناداوا به ملكاً ووثبوا على ديمتريوس فارغم ان يغادر انطاكية ويتزوى في سلوقية (السويدية) واستولوا على فيلة الملك واجلسوا انطيوكس بن اسكندر على منصة الملك والقبوه ثاوس اي الاله (مكابيين ١ فصل ١١ عدد ٣٨ الى ٥٧ ويوستينوس ك ٣٨ فصل ٩ ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٣ ف ٩ وابيان في الرسائل فصل ٦٨ واسترابون ك ١٦) وكان ذلك لسنة ١٤٥ او

لسنة ١٤٤ ولم يكن بذلك ختام ملك ديمتريوس نكانور فسترى انه عاد اليه

وهذا مثال لسكة ديمتريوس الثاني ففي الوجه الاول صورته مكللاً مطلق اللحية وفي الوجه الثاني المشتري وفي يمينه تمثال الظفر وفي يساره الصولجان وقد سكّت في صيدا سنة ١٨٥ للسلوقيين وقد كتب عليها باسيلاوس ديمتريوس ثاوس نيكانور اي الملك ديمتريوس المتأله نيكاتور

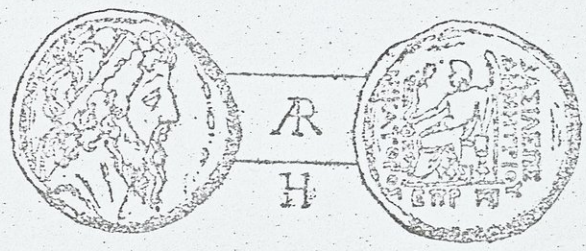

عد ٤٤٥

في ما كان في ايام انطيوكس السادس

ان هذا الملك استوى على اريكة الملك من سنة ١٦٧ الى سنة ١٧٠ للسلوقيين كما يؤخذ عن سكته وهذا يطابق ما جاء في سفر المكابيين ويوافق سنة ١٤٥ الى سنة ١٤٢ ق م وبعد ان طرد تريفون الملك ديمتريوس الثاني من انطاكية افترس سخط اليهود على ديمتريوس لاخلاف وعوده لهم ليستميل يوناتان الى محازبة انطيوكس السادس فجعل الملك يكتب له انه يقرّه في رئاسة الكهنة ويقيمه على اليهودية وملحقاتها ويتخذه من اصدقائه وارسل اليه آنية من ذهب لخدمته واباحه ان يشرب في آنية الذهب ويلبس الارجوان بعروة ذهب واقام اخاه سمعان قائداً للجيش من صور الى تخوم مصر وخرج يوناتان فطاف في عبر الاردن وفي المدن فألّب جيشاً كبيراً في سورية قسمه الى

عسكر بن قاد هو فريقاً واخوه سمعان فريقاً آخر فنكلوا باعداء الملك وأدوه خدامات تذكر فتشكر . منها ان يوناتان انصرف الى غزة فاغلق اهلها الابواب في وجهه فحاصرها واحرق ضواحيها ونهبها فسأله اهلها الامان فأمنّهم واخذ ابناء روسائهم رهائن وارسلهم الى اورشليم ثم جال في البلاد الى دمشق فاتى قواد جيش ديمتريوس الى قادش الجليل (المعروفة اليوم بقادس في غربي الحولة) يناوونه فزحف لملاقاتهم الى ماء جناشر (بحيرة طبرية) ثم سار الى سهل حاصور (المعروفة الان بجبل حضيرة في جوار قادس اعلام الاماكن الكتابية) فلاقاهم الاعداء في السهل واكتمن لهم فريق في الجبل ولما انتشب القتال ثار الكمين عليهم فقر السواد الاعظم من رجال يوناتان فجثا يصلي ثم قام بمن بقي معه يستأنف القتال فانهزم اعداؤه ولما رأى ذلك رجاله رجعوا وتعقبوا العدو الى قادس وقتلوا منهم في ذلك اليوم ثلاثة الاف رجل وعاد يوناتان الى اورشليم واما اخوه سمعان فحاصر بيت صور (المار ذكرها) اياماً كثيرة الى ان سأله اهلها الامان فأمنّهم واقام فيها حرساً (مكابيين ١ فصل ١١ عد ٥٧ الى عد ٧٤)

ثم بلغ يوناتان ان قواد ديمتريوس عادوا لمحاربته بجيش يزيد على جيشهم الاول فلم يمهلهم ان يطأوا ارضه بل التقاهم الى ارض حماه وارسل جواسيس اليهم فاخبروه انهم مزمعون ان يهجموا عليهم ليلاً فامر جيشه ان يسهروا وسلاحهم بايديهم الليل كله وعلم الاعداء انهم متأهبون للقتال فداخلهم الرعب والرعدة فاضرموا النار في محلتهم وفرّوا ولما علم يوناتان صباحاً بفرارهم تعقبهم فلم يدركهم لانهم كانوا قطعوا نهر العاصي فارتد الى قبيلة من العرب يسكنون في تلك الانحاء ويُسمَّون زبديين فضربهم وسلب غنائمهم ثم اتى دمشق واما اخوه سمعان فمضى الى اشقلون (عسقلان) والحصون

القريبة منها ثم ارتد الى يافا واستحوذ عليها لانه سمع ان اهلها يريدون ان يسلموا حصنها الى احزاب ديمتريوس واقام في المدينة حرساً وعاد يوناثان الى اورشليم وائتمر مع شيوخ الشعب ان يبني حصوناً في اليهودية ويرفع اسوار اورشليم ويفصل بين القلعة والمدينة واتم ذلك هو واخوه سمعان (مكابيين ١ فصل ١٢ عد ٢٤ الى ٣٩)

وكان في هذه الاثناء ان يوناثان سير الى رومة رجالاً ليقرروا الموالاة بينهم ويجددوها فدخلوا الشورى وبلغوا رجالها الغرض من ارسالهم فرحبوا بهم وعند عودهم كتبوا الى عمالهم في الاقاليم ان يحسنوا مثواهم ويبلغوهم ارض يهوذا بسلام وكتبوا الى الملوك مناصريهم الرسالة المثبتة في الفصل الخامس عشر من سفر المكابيين الاول (عد١٦ الى ٢٤) يعلنون فيها مناصرتهم لليهود وان لا يقيم عليهم احدٌ حرباً وان يسلموا من فر منهم من اهل الفساد الى سمعان الكاهن الاعظم ليجزيهم بحسب شريعتهم وارسل يوناثان مع وفده الى رومة كتباً الى اسبرطه (في المورة) واماكن اخرى وذكر صاحب سفر المكابيين الاول (فصل ١٢ عد ٥) نسخة هذه الكتب الى اهل اسبرطة وملخصها « من يوناثان الكاهن الاعظم وشيوخ الامة والكهنة وسائر شعب اليهود الى اهل اسبرطه اخوتهم سلام ان اريوس ملككم قديماً كان قد انفذ الى اونيا الكاهن الاعظم كتباً يشهد فيها انكم اخوتنا فالتقى اونيا الرسول بالاكرام واخذ الكتب المصرح فيها بالمناصرة والموالاة فنحن وان لم تكن بنا حاجة الى ذلك لما لنا من التعزية في الاسفار المقدسة قد اثرنا مراسلتكم لنجدد الاخاء والموالاة لئلا نعد من الاجانب عندكم اذ قد مضى على مكاتبتكم زمان مديد وانا في الاعياد لا نزال نذكركم في الذبائح وفي الصلوات كما يليق ان يذكر الاخوة ويسرنا ما انتم عليه من الاعتزاز واما نحن فقد احاطت بنا مضايق كثيرة وحروب عديدة

وقاتلنا الملوك الذين من حولنا وكرهنا ان نثقل عليكم وعلى سائر مناصرينا في تلك الحروب فان لنا من السماء مددًا يمدنا وتخلصنا من اعدائنا والان اخترنا رجلين من وجهائنا وارسلناهما الى الرومانيين لنجدد عهود الموالاة بيننا وبينهم وامرناهما ان يقدما اليكم ويقرئاكم السلام ويسلما اليكم كتباً في تجديد الاخاء ولكم جميل الصنع ان اجبتم الى ذلك، ثم ذكر نسخة رسالة اريوس الملك الى اونيا الكاهن الاعظم فكان مآلها « قد وجد في بعض الكتب ان الاسبرطيين واليهود اخوة من نسل ابرهيم واذ علمنا ذلك فلكم جميل الصنع ان راسلتمونا فيما انتم عليه من السلام والان مواشيكم واملاككم هي لنا وان مالنا هو لكم هذا ما اوصينا ان تبلغوه »

اختلف العلماء في هذه القربى بين اليهود والاسبرطين فقال كثير منهم لا قربى بين القبيلتين بل المراد من كلام الكتاب انما هو الاخاء والمودة لا الاخوة من جهة الاصل الجامع بينهما وقالوا ان صحيح ترجمة كلام ملك اسبرطة انما هو « قد وجد في بعض الكتب ان بين الاسبرطين واليهود الذين من نسل ابرهيم موالاة واخاء » واثبتوا قولهم بما جاء في سفر المكابيين الاول (فصل ١٢ عد ٨) وهو « فتلقى اونيا الرسول بالاكرام واخذ الكتب المصرح فيها بالمناصرة والموالاة » كما روينا آنفاً ثم بما جاء في جواب الاسبرطيين المثبت في الفصل الرابع عشر من هذا السفر (عد ٢٢) وهو « ودونا ما قالوه في دواوين الشعب هكذا « قد قدم علينا تومانيوس ابن انطيوكس وانتيباتر بن ياسون رسولا اليهود ليجددا ما بيننا من الموالاة » حيث لا ذكر للاخوة والقربى التي اول من قال بها يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٢ فصل ٥ وك ١٣ فصل ٩) وقد كشف العلماء عن كثير من الاغلاط له

واما من قالوا بالقربى وهم كثيرون ايضاً فلهم في منشأها واصلها اقوال

والاولى ان يقال احداس مختلفة فمن قائل ان الاسبرطيين من ولد احدى امرأتي ابرهيم هاجر او قطورة ومن قائل انهم من ولد امرأة لعيسو اتخذها من اليونان ومن قائل انهم من ولد قدموس الفونيقي او احد جاليته الذين احتلوا بلاد اليونان ولما كان قدموس فونيقياً حيث مواطن العبرانيين وهموا ان اصله من نسل ابرهيم ومن قائل ان اسبرطة وضع اسسها رجل يهودي اسمه سبرطون (ملخص عن معجم الكتاب لكلمت في كلمة لكديمونيين) وقالوا ان السبرطيين يشبهون اليهود في امور كثيرة منها شريعتهم وعادتهم ان يغتسلوا كل يوم وثباتهم وبسالتهم. وعن القديس ايرونيموس (في تفسير فصل ٢٣ من نبوة اشعيا) ان بختنصر لما استحوذ على اليهودية فرّ كثيرون الى قبرس ومكدونية وبلاد اليونان وكذلك لما اخرب اورشليم فقد يكون ذلك منشأ هذه القربى المدعى بها

﴿ عد ٤٤٦ ﴾

اغتيال تريفون يوناتان وانطيوكس السادس

كان تريفون هائماً بتاج الملك ولم يرقَ انطيوكس الى العرش الا ليحطه يوماً عنه ويجلس عليه مكانه لكنه كان يخشى سطوة يوناتان فاحب ان يهلكه وسار بعسكر الى بيت شان (بيسان) فالتقاه يوناتان في اربعين الف رجل منتخبين للقتال فلم يجسر تريفون ان يمد اليه يداً بل تلقاه بالاكرام واهدى اليه هدايا وامر جنوده ان يطيعوه طاعتهم لنفسه وقال له لِمَ ثقلت على هولاء الرجال وليس بيننا حرب فاطلقهم وانتخب لك منهم نفراً قليلاً وهلم معي الى بطلمايس (عكا) فاسلمها اليك هي وسائر الحصون ثم انصرف انا راجعاً لاني لهذا جئت فصدق يوناتان كلامه وصرف جيشه وابقى معه ثلاث آلاف ترك الفين منهم في الجليل وسار مع تريفون في الف الى عكا ولما دخلها اغلق اهلها الابواب وقبضوا عليه وقتلوا جميع من كان معه وارسل تريفون جيشاً وفرساناً الى الجليل لاهلاك

جميع رجال يوناثان ولما علم هولاء ان يوناثان قُبض عليه ومن كانوا معه قُتلوا شجعوا انفسهم وتقدموا وهم متضامّون متأهبون للقتال وراى طالبوهم انهم مستبسلون فرجعوا عنهم وعاد رجال يوناثان الى اورشليم (مكابيين فصل ١٢ عد ٣٩ الى ٥٣) فداخل الشعب الرعب والرعدة فصعد سمعان الى اورشليم وشجع قومه فاختاروه قائداً لهم ووعدوا ان يفعلوا كل ما يقول فحشد جميع الرجال وجدّ في اتمام اسوار اورشليم وحصنها ووجه يوناثان بن ابشالوم الى يافا في عددٍ واف من الجيش فطرد من كانوا فيها من قبل تريفون واقام هناك وزحف تريفون من عكا في جيش عظيم ومعه يوناثان مخفوراً وعلم ان سمعان قد قام في مكان اخيه وانه مزمع ان يلحم الحرب معه فانفذ اليه رسلاً يقول انما قبضنا على يوناثان لمال كان عليه للملك فالان ارسل مئة قنطار فضة وابنيّ يوناثان رهنية لئلا يغدر بنا اذا اطلقناه وحينئذٍ نطلقه فعلم سمعان انه يكلّمه بمكر ومع ذلك ارسل اليه المال والولدين مخافة ان يقال انه اضر بالشعب لانه لم يرسل ذلك فاخذ تريفون المال والولدين واستمرّ يغير على البلاد ويدمّرها وسمعان وجيشه يقاومونه حيث ما تقدم . وانفذ الذين في قلعة اورشليم يقولون لتريفون يأتيهم في طريق البرية وينفذ اليهم ميرة فجهز تريفون جميع فرسانه للمسير في ذلك الليل ولكن تكاثر الثلج وحال دون مسيرهم فارتحل تريفون الى ارض جلعاد (السلط) ولما قارب من بسكاما (لا يعرف موقعها الا انها في السلط) قتل يوناثان ودفنوه هناك سنة ١٤٣ ق م ورجع تريفون الى انطاكية ليغتال الملك اذ لم يعد يخشى احداً في التوصل الى غرضه .

وارسل سمعان واخذ عظام اخيه ودفنها في مودين في مدافن ابائه وناح عليه بنو اسرائيل نوحاً عظيماً وندبوه اياماً كثيرة . واقام سمعان على قبر اخيه واخوته بناء رفيعاً بحجارة منحوتة ونصب على القبور سبعة اهرام لابيه وامه

واخوته الاربعة وكان اقام هرماً لمدفنه حتى كانت الاهرام سبعة وزينها بالنقوش وجعل حولها اعمدة عظيمة عليها رسم اسلحة وسفن تخليداً لذكرهم (مكابيين ١ فصل ١٣ عد ١ الى ٣٠) وقال كاتب السفر «هذا هو القبر الذي صنعه بمودين باقياً الى اليوم» وقد بقيت هذه المدافن قائمة الى ايام يوسيفوس لانه ذكرها بل الى ايام القديس ايرونيموس اذ قال في الاماكن العبرانية «مودين قرية في جانب ديوسبوليس (اللد) كان فيها المكابيون وترى مدافنهم فيها الى اليوم»

ان العالم كاران (في كتابه في فلسطين مجلد ٢ في السامرة صفحة ٥٥ وما يليها ثم في صفحة ٣٥٥ و٤٠٤ و ٤١٥ وفي كتابه الموسوم بالارض المقدسة في كلامه على مودين) اطال الكلام في مودين هذه وحقق انها المسماة الان المدية في جوار اللد وقد احتفر فيها باحثاً عن مدافن المكابيين فوجدها واثبت انها هي هي بأدلة راهنة ورد كلما يمكن ان يرد على صحة ذلك من الاعتراضات وهم كثيراً بان يشتري الارض التي فيها هذه المدافن ويجعلها ملكاً لحكومة افرنسا فلم يتيسر له وقد كان الاب عمنوئيل فورفا احد الآبا الفرنسيين تقدمه في القول ان المدية هي مودين حيث مدفن المكابيين سنة ١٨٦٦ والدكتور سنبدركتي وكندر الانكليزيين قالا بذلك سنة ١٨٦٩ ثم الكل هو (اي كاران) هذا الاكتشاف عن هذه المدافن سنة ١٨٧٠

اما تريفون فلم يبطئ بعد عوده الى انطاكية ان قتل انطيوكس الملك الصغير بذريعة انه مريض مرض الحصاة فاستدعى الاطباء ليباشروا له عملية جراحية واسرَّ اليهم ان يقتلوه بها ففتلوه ولم يكن من يثأر بدمه فملك تريفون مكانه ولبس تاج اسيا (مكابيين ١ فصل ١٣ عد ٣١ و ٣٢ وطيطوس ليف رسالة ٥٥ وايبان في الرسائل فصل ٦٨ ويوستينوس ك ٣٦ فصل ٢ ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٣ فصل ٧) وكان ذلك لسنة ١٤٢ ق م

واليك مثالاً لسكة انطيوكس السادس ففي الوجه الاول مثال رأسه وعليه تاج تنبعث منه اشعة وفي الوجه الثاني رسم فارسين على جواديهما ورماحهما مشرعة وعليها علامات دالة انها ضربت في هرقلية سنة ١٦٩ للسلوقيين وكتب عليها باسيلاوس انطيوخس ابيفانيوس ديونيسيوس اي الملك انطيوكس ابيفان ديونيسيوس

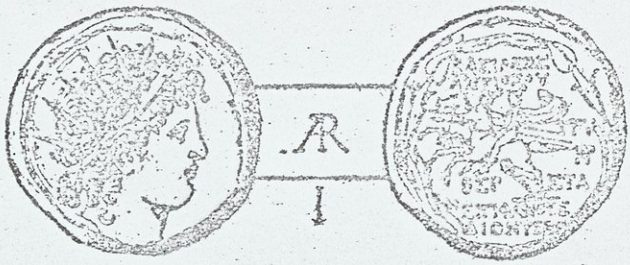

عد ٤٤٧

في ما كان في ايام تريفون الى مقتله

احب تريفون ان يقرّ له الرومانيون بالملك تأييداً له فارسل الى رومة وفداً واهدى الى ندوتها معهم تمثال الحظ من ذهب يساوي زنة عشرة آلاف قطعة من ذهب فتقبله الرومانيون الا انهم كتبوا عليه انه هدية من الملك انطيوكس الذي كان تريفون قتله اشعاراً بانهم لم يقروا له بالملك على انهم لما بلغهم خبر وفاة يوناتان اسفوا عليه اسفاً شديداً وكتبوا الى سمعان اخيه مع رسوله فوميانوس على الواح من نحاس يجددون معه ما كان لهم من الموالاة والمناصرة مع اخويه يهوذا ويوناتان وكتب اليه ايضاً روساء الاسبرطيين رسالتهم المثبتة في سفر المكابيين الاول (فصل ١٤) جواباً على الرسالة التي كان اخوه يوناتان انفذها اليهم وبنى سمعان حصون اليهودية وعززها بالاسوار والبروج وادخر فيها مبرة وارسل الى ديمتريوس الملك وهو لاهٍ في اللاذقية

عاكفاً على ملاذه ان يعفي البلاد من الضرائب التي يطلبها تريفون لان كل ما فعله هذا انما كان اختلاساً واهدى اليه اكليل ذهب وسمفة فكتب اليه ديمتريوس كتابه المثبت في الفصل الثالث عشر من سفر المكابيين به يثبت له ولامته كل الاختصاصات التي كانت لهم قبلاً وان الحصون التي بنوها تكون لهم وعفا عفوا عاماً عن كل مذنب او جانٍ الى ذلك اليوم وترك لهم كل ضريبة واباح اليهود ان يكتبوا في جندية قاصداً ان يستميلهم اليه لمقاومة تريفون وبدا بنو اسرائيل يكتبون حينئذٍ اي سنة ١٤١ في توقيع الصكوك والعقود في السنة الاولى لسمعان الكاهن الاعظم قائد اليهود ورئيسهم (مكابيين ١ فصل ١٣ عد ١٦ الى عد ٤٣)

ونزل سمعان على غزة وحاصرها بجيشه وصنع دبابات وادناها من المدينة ووثب من فيها على المدينة فحصل اضطراب عظيم وصعد اهلها رجالاً ونساءً واولاداً الى السور يصرخون الى سمعان سائلين الامان فأمنهم ودخل المدينة بالتسبيح وطهر البيوت التي كان فيها اصنام وحصن المدينة وبنى له فيها منزلاً وضايق الذين كانوا في قلعة اورشليم فمات كثير منهم جوعاً فطلبوا الامان فامنهم واخرجهم من هناك وطهر القلعة من النجاسات ودخلها بمعظم الاحتفاء ورسم ان يعيد ذلك اليوم بسرور كل سنة . وحصن جبل الهيكل الذي بجانب القلعة وجعل ابنه يوحنا قائداً على جميع الجيوش واقام بجازر (تل جازر على اربعة اميال غرباً من عمواص) مكابيين ١ (فصل ١٣ عد ٤٣ الى ٥٤) وجعل يافا مرسى للسفن وفتح مجازاً للجزائر ووسع تخوم مملكته واستتبت الراحة والسلم في اليهودية وما أُلحق بها وكتب الشيوخ والكهنة وعامة الشعب في سنة ١٧٢ وهي سنة ١٣٩ ق م والثالثة لسمعان صكاً لسمعان اقروا به بالفضل له ولاخوته واقروه قائداً لامتهم وكاهناً اعظم وحتموا ان يطيعه الشعب كله ولا يعارضه احد وقبل

سمعان ذلك ووقعوا جميعاً على هذا الصك الذي كتبوه على الواح من نحاس وحفظوه في خزانة الهيكل

اما ديمتريوس فاستفاق اخيرا من رقاد غفلته ولهوه اذ وافاه وفود من المشرق يستنجدونه على البرتيين الذين كانوا استحوذوا على كل البلاد الواقعة بين الهند والفرات فهب ديمتريوس لنجدتهم آملاً في ان ينجدوه بعدًا على تريفون فعبر الفرات وانضوى تحت رايته العيلاميون والفرس وغيرهم واستظهر على البرتيين في وقائع عديدة على ان ملكهم ارساكيس او ارساس (كما كان جميع ملوكهم يسمون بهذا الاسم نسبة الى ارساكيس اول ملوكهم وكان علمه الشخصي متريدات) استظهر عليه واخذه اسيرًا وطوفه في كل الاعمال التي دوخها ليحسن الخضوع له ثم عامله بمنزلة ملك واكرم مثواه وزوجه بابنته رودوكون وشرط عليه ان لا يبارح مملكته وكان ذلك لسنة ١٤٠ ق م

ولما علمت قلوبطرة امرأته انه وقع اسيرًا بيد البرتيين تحصنت مع اولادها في سلوقية (السويدية) وترك كثيرون من الجنود تريفون لاعتسافه وانكبابه على الملاذ وتوانيه عن مهام المملكة وحازبوا الملكة قلوبطرة على انها لم تكن في مأمن من تريفون فبلغها زواج ديمتريوس بابنة متريدات وكان ابناؤها صغارًا لا ترجى منهم المقدرة على خلع تريفون وتسنم عرش الملك فراسلت انطيوكس صيدات اخا ديمتريوس زوجها ان يتزوجها فتقدر بعونه على اتخاذ الملك فلبى دعوتها وكتب وهو في رودس (ايان في السوريين فصل ٦٨) الى سمعان قائد اليهود رسالته المثبتة في الفصل الخامس عشر من سفر المكابيين الاول يستحثه على مناصرته لطرد تريفون ويخوله اختصاصات كثيرة حتى ان يضرب في بلاده سكة خاصة ثم تزوج قلوبطرة وسمى نفسه ملك سورية وحمل على سورية بجيش نحو مئة وعشرين الفاً حشد اكثرهم من بلاد اليونان واسيا

الصغرى والجزائر وانضم اليهم من كان عند قلوبطرة وزحف لقتال تريفون وكان شعبه وجنوده قد مقتوه فتركه كثير منهم وانحازوا الى انطيوكس ولما رأى تريفون عجزه عن مناوأة انطيوكس فر من وجهه واحرق بيروت وسار الى دورا (الطنطورة على مقربة من عكا) فحاصره انطيوكس فيها بحراً وبراً فهرب تريفون بحراً الى طرطوس ثم الى حماه موطنه فقبض عليه هناك وقتل (يوستينوس ك ٣٦ فصل ١ وابيان في السوريين ف ٦٨ ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٣ ف ٩ و ١٢ وسفر المكابيين الاول فصل ١٤) وكان اخذ انطيوكس الملك وقتل تريفون سنة ١٣٨ ق م

ولكن اين كانت بيروت التي احرقها تريفون فالمعوّل عليه بالاجماع الى الان انها كانت حيث هي الان وان المدينة في ايام السلوقيين كانت في موقعها نفسه في ايام الرومانيين على ان الاكتشافات التي يعني بها الدكتور روفيه الافرنسي في ما وراء نهر الغدير ادته الى العثور على آثار قديمة فونيقية ومسكوكات كتب عليها ما يشعر بان المدينة القديمة كانت هناك وانها كانت تسمى ايضاً لاذقية كنعان وقد وجد ايضاً هناك مدافن فونيقية وآنية خزفية عليها احرف فونيقية وما برح مجداً في التنقيب هناك عله يتوصل الى اثبات رأيه بان بيروت القديمة كانت في المحل المذكور على ان ما نراه ان ما كشف عنه حتى الان غير كافٍ لاثبات ما يخالف رأي الاقدمين ونعلم من جهة اخرى ان لاذقية كنعان كان اسماً عند الاقدمين للمحل المعروف الآن بام العواميد على مقربة من الطنطورا على ما يؤخذ من بعض الخطوط التي عثر عليها رنان هناك وذكرها في كتابه الموسوم ببعثة فونيقي

واليك مثالاً لسكة تريفون فعلى الوجه الاول رسم رأسه مكللاً وفي الوجه الثاني صورة نسر طاوٍ جناحيه على صاعقة وكتب عليها باسيلاوس

تريفوس اوتوكراتوس اي الملك تريفون المستقل

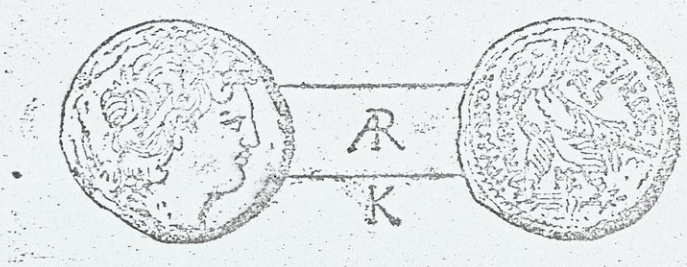

عدد ٤٤٨

حرب انطيوكس السابع مع اليهود

ان انطيوكس هذا هو ابن ديمتريوس الاول الملقب بسوتر واخو ديمتريوس الثاني الملقب بنكانور رقي الى منصة الملك سنة ١٣٨ ق م كما مر قال بعضهم انه سمي صيدات لولوعه بالصيد والامثل ما قاله فيكورو (في معجم الكتاب) انه سمي كذلك لانه ولد في صيدا في بمفيلية نصيدات بمعنى الصيداوي (اوسابيوس في تاريخه) وقد رأيت انه قبل ان بلغ مملكته كتب الى سمعان يستنجده ويثبت له اختصاصاته ويزيد عليها فارسل اليه سمعان وهو محاصر لدورا التي رجل منتخبين نصرة له وفضة وذهباً وآنية كثيرة على ان انطيوكس الملك لما رأى استفحال امره وفرار عدوه آثر اتباع خطة اكثر سلفائه في مناصبة اليهود وتغير على سمعان ولم يقبل رجاله ولا هداياه ونقض عهده له وارسل اليه اتينوبيوس احد اصحاب الملك يقول له من قبله انكم استوليتم على يافا وجازر وقلعة اورشليم وهي من مملكتي فتخلوا عن هذه المدن وأدوا خراج ما تسلطتم عليه في خارج اليهودية خمس مئة قنطار فضة وعما اتلفتموه خمس مئة قنطار اخرى والا فتأهبوا للقتال فاجابه سمعان اننا لم نأخذ ارضاً لغريب ولم نستولِ على شيء لاجنبي لكننا استرددنا ميراث ابائنا الذي استولى عليه اعداؤنا ويافا وجازر

كانتا تجلبان على شعبنا نكبات شديدة فاستحوذنا عليهما ونؤدي عنهما مئة قنطار فضة فلم يجبه اتينوبيوس بكلمة وعاد الى الملك وقص عليه ما رآه من مجد سمعان وخزانة آنيته الفضية والذهبية وأثاثه الوافر وبلغه جوابه فاستشاط الملك غضباً واقام كندباوس قائداً على جيشه الساحلي وامره ان يزحف الى اليهودية ويقاتل اليهود وهو عاد بجيشه الى الشمال متعقباً تريفون الذي كان فر الى طرطوس كما مر (مكابيين ١ فصل ١٥ عد ٢٦ الى ٤٠)

وبلغ كندباوس الى يمنيا (يبنة الان بين يافا شمالاً واشدود جنوباً) وحصن قدرون (قطرة الان على خمسة اميال من يبنة شرقاً الاعلام الكتابية) وجعل يرغم الشعب ويغير على اليهودية فصعد يوحنا ابن سمعان واخبر اباه بما كان ولما كان سمعان قد شاخ وابناه يهوذا ويوحنا بلغا اشدهما فارسلهما لقتال كندباوس وانتخب من البلاد عشرين الفاً من رجال الحرب والفرسان جعلهم تحت امرة ابنيه ولما بلغوا السهل التقاهم جيش عظيم من الرجالة والفرسان وكان بين الجيشين واد ورأى يوحنا رجاله خائفين من عبور الوادي فعبر هو اولاً واتبعه رجاله والحموا الحرب ونفخوا في الابواق المقدسة فانكسر امامهم كندباوس وجيشه وقتل منهم كثيرون وفر الباقون وجرح يهوذا ابن سمعان فتعقبهم اخوه يوحنا فتحصنوا في قدرون التي حصنها كندباوس فاخرجهم يوحنا منها وفروا الى البروج التي في اشدود فاحرقها يوحنا وقتل منهم الفي رجل وعاد الى ارض يهوذا بسلام (مكابيين ١ فصل ١٦ عد ١ الى عد ١١)

وكان الملك اقام بطلماوس بن ابوبس صهر الكاهن الاعظم قائداً في بقعة اريحا وكان غنياً فتشامخ وسولت له نفسه الامارة بالسوء ان يستولي على البلاد ويقتل سمعان وبنيه وكان سمعان يجول في المدن يتعهد مهامها فنزل الى

اريحا هو وابناه متتيا ويهوذا فانزلهم بطلماوس في حصن بناه يسمى دوق (يعرف الان بعين دوق في جوار اريحا اعلام الاماكن الكتابية) وادب لهم مأدبة عظيمة واخفى هناك رجالاً ولما شرب سمعان وابناه وثب عليهم بطلماوس ورجاله فانتزعوا سلاحهم وقتلوهم وبعضاً من غلمانهم بخيانة فظيعة وكتب بطلماوس الى انطيوكس يخبره بذلك ويسأله ان يرسل اليه جيشاً فيسلمه البلاد كلها ووجه قوما الى جازر ليقتل يوحنا بن سمعان وآخرين ليستولوا على اورشليم وجبل الهيكل وعلم يوحنا بما عمله الخائن وقبض على الرجال الذين اتوا ليقتلوه فقتلهم عن آخرهم . ولم يطرفنا كاتب سفر المكابيين الاول بما صنعه يوحنا بعد ذلك الا بقوله الذي هو خاتمة سفره « وبقية اخبار يوحنا وحروبه وما ابداه من الحماسة وبناؤه الاسوار التي بناها واعماله مكتوبة في كتاب ايام كهنوته الاعظم منذ تقلد الكهنوت الاعظم بعد ابيه » وكان مقتل سمعان لسنة ١٧٧ للسلوقيين الموافقة سنة ١٣٥ او سنة ١٣٤

على ان الكتاب في ايام كهنوت يوحنا مفقود ولكن انبأنا يوسيفوس (في تاريخ اليهود لـ ١٣ فصل ٥) واوسابيوس (في تاريخه كتاب ٢ فصل ١٩) ان يوحنا اتى اورشليم وحشد الرجال على بطلماوس فقر الى حصن الدوق فحاصره يوحنا فيه وكاد يفتحه ولكن بطلماوس كان اسر ام يوحنا واخوين له فاصعدهم الى اعلى السور متهدداً يوحنا بانه يلقيهم الى اسفل ان لم يرفع الحصار عنه فاخذت يوحنا الشفقة على امه واخويه فرفع الحصار لكن الخائن قتلهم بعد ذلك وفر الى زينون ملك فيلادلفيا وهي عمان في عبر الاردن ثم ان انطيوكس السابع حاول ان ينتقم لكندباوس قائده من اليهود فلبى دعوة بطلماوس قاتل سمعان وغشي اليهودية بجيشه وخرب ودمر في البلاد وحاصر اورشليم واوشك ان يفتتحها لكنه خوفاً من الرومانيين صالح

يوحنا على شروط لم تكن ثقيلة على اليهود منها ان يطرحوا سلاحهم ويؤدوا اليه جزية يانا والمدن الخارجة عن اليهودية وان يقبلوا حرساً من قبله في مدنهم فقبل يوحنا شروطه الا اقامة الحرس في مدنهم وافتدى ذلك بدفعه الى الملك مبلغاً وافراً من المال ثم وقع على الصلح ويوحنا هذا يلقب بهركان وقد خلف اباه في رئاسة الكهنوت والولاية على اليهودية

عد ٤٤٩

تتمة اخبار انطيوكس السابع

قد احب انطيوكس ان يستميل الرومانيين اليه فارسل الى شيبيون الافريقي الثاني وهو في اسبانيا هدايا كثيرة نفيسة فاخذ بعض روساء جنوده شيئاً منها فجمع شيبيون جنده كلهم وامر بحضرتهم ان تسلم تلك الهدايا كلها الى خازن العسكر ليكافئ بها من امتاز من الجنود باداء خدمته فدونك مثالاً للنزاهة وعزة النفس وحسن السياسة وقد مر ان ديمتريوس الثاني كان اسيراً عند ملك البرتيين فاطلق له الذهاب حيث شاء ولم يحظر عليه الا الخروج من مملكتهم فحاول مرتين الهرب والعود الى سورية فلم ينجح وكان ملك البرتيين يطمع في الولاية على سورية على بعدها عنه وكان يتحين فرصة ليغشى سورية بحجة ان يرد ديمتريوس صهره الى ملكه فيستولي هو عليها فاراد انطيوكس السابع ان يتدارك هذا الامر قبل وقوعه فحشد جيشاً وافراً ينيف على ثمانين الف مقاتل من نخبة رجاله واتبعهم جم غفير من الطباخين والحلوانيين والمغنين والنساء فاستظهر انطيوكس اولاً على فرآت الثاني ملك البرتيين (الذي كان قد خلف اباه متريدات) في ثلث وقائع واسترد منه بلاد بابل ومادي وخلعت جميع اعمال المشرق التي كانت من مملكة سورية نير الطاعة للبرتيين وخضعت لانطيوكس وربما كان حينئذٍ ما رواه يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٣ فصل

١٦) عن نقولا الدمشقي وهو « ان الملك انطيوكس اقام قوس انتصار على عدوة نهر ليكوس (نهر الكلب) ذكراً لانتصاره على إندات قائد جيش البرتيين » وكان يوحنا هركان امير اليهود مرافقاً لانطيوكس في هذه الحروب وشاطره شرف الظفر وعاد بعده الى اورشليم مكرماً مهيباً وكان ذلك سنة ١٣١

واستمر الملك وجيشه يقضون فصل الشتاء سنة ١٣٠ في اعمال المشرق المذكورة ولكثرة الجيش وتبعته تفرقوا في محال عديدة يبعد بعضها عن البعض آمنين غير مبالين بان تشتتهم يحول دون اجتماعهم اذا دهمهم العدو واقلوا على اهل البلاد وبغوا واستطالوا فتآمر الاهلون مع البرتيين عليهم ووثبوا عليهم في يوم واحد في كل الاماكن فقتلوهم فاسرع انطيوكس بمن كان حوله من الجنود لانقاذ القريبين من محلته فارتكم الاعداء عليه وقتلوه ومن لم يقتل من جنوده أخذ اسيراً ولم يفلت الا قليلون اتوا الى سورية بهذا النبأ المفجع فعم الحزن والكآبة السوريين اذ قل ما كانت اسرة لم تفجع باحد رجالها (يوستينوس ك ٣٨ فصل ٩ و١٠ وابيان في السوريين فصل ٩٦ ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٣ فصل ١٦ وغيرهم) وكان ذلك لسنة ١٣٠ ق م

وهذا مثال لسكة انطيوكس السابع ففي الوجه الاول صورة رأسه والتاج عليه وفي الوجه الثاني رسم بالا وبيدها اليمنى مثال الظفر وفي اليسرى

وقد كتب عليها باسيلاوس انطيوخس افرجاتوس اي الملك انطيوكس المحسن

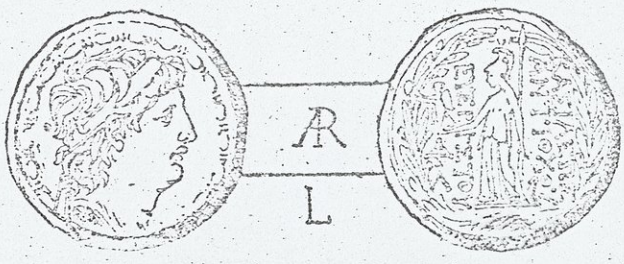

وكان انطيوكس السابع حليماً ذا صفات حميدة كثيرة وروى عنه بلوطرخ انه ضل طريقه في يوم خرج فيه الى الصيد فأوى الى كوخ لفقراء فقروه مما امكنهم ولم يعرفوه وفيما هم على العشاء سألهم عما يسمعون عن الملك وسيرته في الرعية فقالوا هو امير حليم حسن الخصال على ان ولوعه بالصيد يغفله مهام المملكة وشدة ثقته بعماله كثيراً ما يحول دون اتمام نياته الصالحة فلم يفه بكلمة وفي الغد بلغ بعض حاشيته الى الكوخ فقص عليهم ما سمعه في المساء ثم اقبل على توبيخهم فقال « اني منذ اتخذتكم لخدمتي لم اسمع كلمة تبين حقيقة ما انا عليه الا امس من هولاء الفقراء » وبحث فرآت بين جثث القتلى عن جثة انطيوكس فوجدها ووضعها في نعش من فضة وارسلها الى سورية لتدفن في مدافن آبائه ووجد بين الاسرى ابنة له بديعة الجمال فراقه حسنها فتزوج بها

﴿ عد ٤٥٠ ﴾

﴿ عود ديمتريوس الثاني الى سورية وما كان الى مقتله ﴾

ان فرآت لما انتصر عليه انطيوكس السابع سرح ديمتريوس الى سورية مصحوباً بفريق من الجند آملاً ان رجوعه الى سورية ينشأ عنه قلق يبعث انطيوكس على العود عنه الى مملكته لكنه بعد مقتل انطيوكس وجيشه اسف

على ما صنع وارسل كتيبة من الفرسان تسترد ديمتريوس من طريقه فلم يدركوه لانه اسرع في مسيره خائفاً من ان يجد على الملك ما يثنيه عن عزمه فبلغ ديمتريوس انطاكية واستوى على عرش الملك مبدياً مظاهر السرور بينما كان اهل مملكته متشحين باطمار الحداد على قتلاهم

وانتهز يوحنا هركان هذه الفرصة فمدّ حدود ولايته وبسط سلطته على مواضع عديدة في سورية وفونيقي وبلاد العرب وهمّ ان يجعل نفسه مستقلاً في ولايته مطلق الامر ففاز بذلك لانه منذ حينئذٍ استبد هو وذريته في الملك على اليهود وخلعوا نير ولاية ملوك سورية ولم يبقَ لهم علاقة معهم (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك١٣ فصل ١٧ واسترابون ك ١٦ ويوستينوس ك ٣٦ فصل ١)

اما فرآت فهمّ ان يحمل على سورية ليدرك ثاره من حملة انطيوكس على مملكته ويكبح ديمتريوس عن الاستطالة عليه واخذ في تجهيز جيشه فثار عليه التتر الذين كان استنجدهم لقتال انطيوكس فلم تبلغ رجالهم اليه الا بعد انقضاء الامر وقتل انطيوكس ورأى فرآت نفسه في غنى عنهم فصرفهم ولم يدفع اليهم ما عاهدهم به من الاجرة فانقلبوا عليه وحاربوه حتى قتلوه فانقذ قتل فرآت سورية من شره ونجا ديمتريوس من غائلة حربه على ان ديمتريوس لم ينجُ من غوائل اعماله السيئة لانه تمادى في صلفه واعتسافه وبغيه فجُزي بما جنت يداه واليك ما كان

قد رأيت ان بتلمايس فيسكون افحش في مصر حتى انه في يوم زفاف قلوبطرة اخته وارملة اخيه اليه قتل في حضنها ابنها الذي كان ولد لها من اخيه بتلمايس فيلوماتور ثم كره قلوبطرة وهام قلبه بابنة لها من اخيه فطلق الأم وابعدها وتزوج بابنتها المسماة قلوبطرة ايضاً على عادتهم في تسمية

بنات الملوك بهذا الاسم واجلب الطامة الكبرى على الاسكندريين بانه جعل الاجانب من جيشه يقتلون جماً غفيراً من شبانهم عند اجتماعهم في حفلة فحنق الشعب عليه وتسارعوا الى القاء النار في قصره ليحرقوه فيه لكنه كان قد فر منه الى قبرس فنادوا بقلوبطرة امرأته التي طلقها ملكة عليهم فجهز جيشاً لمحاربة هذه الملكة ومحازبيها . وخشي ان يستدعي الاسكندريون ابنه الذي كان قد ولاه القيروان ويملكوه فيهم فاستدعاه واغتاله فور وصوله اليه لمجرد ما توهمه فعظم اشمئزاز الشعب من فظائعه وحطموا كل ما له من التماثيل في اسكندرية وظن هو ان قلوبطرة الملكة حملتهم على ذلك وكان له منها ابن اخذه معه الى قبرس فذبحه وقطع جثته قطعاً وابقى الرأس على سلامته ليُعرف رأس من هو ووضع الجثة في صندوق ارسله مع خرس الى الاسكندرية وامرهم ان يقدموا الصندوق للملكة يوم عيد مولدها الذي كان قريباً فاتموا امره واستحال ذلك العيد مأتماً وبعثت هذه الفظيعة البربرية الشعب ورجال الدولة على حمل السلاح للحال فجهزوا جيشاً يتكفل بعدم عود هذا المسخ الى عرش مصر وجعلته الملكة تحت امرة مرسياس واعد هو جيشاً امر عليه هيجيلوس وسيره على الاسكندريين والتحم القتال فظهر جيش فيسكون على عسكر الملكة واخذ قائده اسيراً فراسلت الملكة ديمتريوس ملك سورية صهرها لانه كان متزوجا بابنتها البكر من بتلمايس فيلوماتور ووعدته بتاج مصر فابى ديمتريوس دعوتها لساعته وخف بجيشه فحاصر بالوس (فرما)

على ان ديمتريوس كان شعبه يمقته مقت المصريين لملكهم فلم يبرح انطاكية الا وثار عليه شعبها ثم تبعهم اهل ابامیا (قلعة المضيق) وغيرهما من المدن فاوغم ديمتريوس ان يغادر مصر ويعود لتدويخ بلاده اما الملكة قلوبطرة فلما رأت ان لا نصير لها وان المصريين كسر فيسكون شوكتهم اخذت خزائنها

وفرت الى حمى ابنتها قلوبطرة ملكة سورية وقد علمت مما مر ان قلوبطرة هذه كان ابوها بنلمايس فيلوماتور قد زوجها اولاً بالملك اسكندر بالا ثم اخذها منه وزوجها بديمتريوس الثاني ولما اسره البرتيون تزوجت باخيه انطيوكس صيدات وبعد مقتله عادت الى ديمتريوس زوجها وكانت هذه الملكة في عكا عند بلوغ امها اليها

ولما تركت قلوبطرة الاسكندرية عاد اليها فيسكون واستتب له الملك فاراد ان ينتقم من ديمتريوس فحمل رجلاً اسمه اسكندر زينا ابن بائع خلقان في اسكندرية على ان يدعي انه ابن الملك اسكندر بالا وينازع ديمتريوس الملك وجهز له من مصر جيشاً سيره به الى سورية وعن يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٣ فصل ١٧) ان زينا هذا كان من ذرية سلوقوس وايًا كان فقد انحاز اليه السواد الاعظم من اهل سورية دون تروثة في صحة دعواه اذ كانوا يرغبون التملص من حكومة ديمتريوس اياً كان الحاكم فيهم بعده والتحم القتال بين جيش زينا وجيش ديمتريوس على مقربة من دمشق فانكسر عسكر ديمتريوس وانهزم هو الى عكا حيث كانت الملكة فانتهزت هذه الفرصة للانتقام منه لزواجه في مدة اسره بابنة ملك البرتيين ووصدت ابواب المدينة فاضطر ديمتريوس ان يفر الى صور وهناك قتل فاخذت قلوبطرة قسماً من الملك وملك زينا في باقيه فيا لمشهد مفجع لا يعلم به من الاسبق الى الفظائع آلنساء ام الرجال من هولاء الملوك والملكات فحيث ليس وازع من قبل الدين لا تستغرب هذه الفظائع وكانت هذه الاحداث سنة ١٣٠ الى سنة ١٢٥ ق م (يوستينوس ك ٣٨ فصل ٨ و ٩ وطيطوس ليف ك ٣٩ وديودور في الفقرات التي اذاعها مولر ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٣ فصل ١٧ وغيرهم)

وهذا مثال لسكة بتلمايس السابع فيكون ففي الوجه الاول صورة راس المشتري عمون وفي الوجه الثاني صورة نسر باسط جناحيه وقد كتب عليها باسيلاوس بتولماوس افرجاتوس اي الملك بتلمايس المحسن

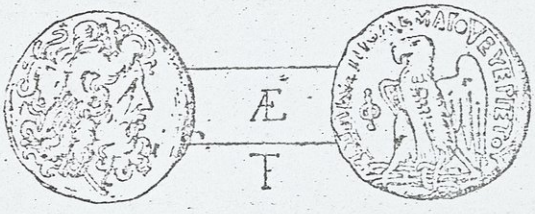

الفصل السادس

في قلوبطرة وزبينا وانطيوكس كريبوس وانطيوكس الشيزيكي ملوك سورية

عد ٤٥١

قلوبطرة

قد مر ان مملكة سورية بعد مقتل ديمتريوس قسمت الى قسمين ملكت قلوبطرة في عكا وجنوب المملكة وملك زبينا في انطاكية وشماليها وكان لقلوبطرة من ديمتريوس ابنان اكبرهما يسمى سلوقوس همّ ان يستوي على عرش ابيه واعلن انه ملك سورية وحازبه قوم على ان امه كانت تحرص على الملك وتطمع في بقائها على منصته ويوغر صدرها على ابنها لمزاحمته لها فيه وتخشى ان يثأر منها بدم ابيه الذي عملت على قتله فقتلته بيدها طاعنة له بمدية في بطنه وقد استأصل طمعها الاشعبي في الملك الحنو الوالدي من قلبها ومن نملكته

امياله قادته الى ما تنفر منه الضواري انفسها . فلم يملك سلوقوس الا سنة واحدة من سنة ١٢٥ الى سنة ١٢٤ ق م

وبعد ان اغتالت قلوبطرة ابنها سلوقوس فكرت بان الشعب المعتاد الحروب كشعبها لا تستقيم له حال ما لم يتوله ملك يسير في راس جيشه وخشيت ان يثور الشعب عليها ويزلّ عرشها فتذرعت بذريعة ان تملك ابنها الصغير فتتلافى ثورة الشعب وتبقى لها السلطة المطلقة وكانت ارسلت انطيوكس ابنها الصغير الى اثينا لاقتباس العلوم فاستدعته وملكته سنة ١٢٣ لكنه لم يكن له الا اسم ملك ومرجع جميع مهام الملك اليها وهو لحداثته جعل اعنة الامر والنهي طوع يدها وسمي انطيوكس كريبوس اي الكبير الانف لكبر انفه وسماه يوسيفوس فيلوماتور (اي محب امه) وهو يسمي نفسه في سكته انطيوكس ابيفان وبعد حربه الاتي ذكرها مع زينا وبلوغ رشده اراد ان يستبد في ملكه فلم تحتمل امه قلوبطرة الطمّاعة هذا الاستبداد وعزمت ان تهلك ابنها هذا الثاني كما اهلكت الاول وتقيم على اريكة الملك ابناً آخر لها رزقته من انطيوكس صيدات وكان بعد حدثاً فتستمر أزمّة الملك بيدها وعاد انطيوكس كريبوس ذات يوم الى قصرها تعباً فهيأت له كأس شراب دسّت له فيها سماً وقدمتها اليه وكان يحذر مكرها به فسألها ان تشرب هي الكأس حرمة لها لانها امه والحّ عليها ان تجرعها فابت فاستدعى شهوداً وقال لها لا وسيلة لك لتبرئة ساحتك من ظني بك السوء الا ان تشربي هذه الكأس التي قدمتها لي فلم يبقَ لها مناص الا بان تجرع الكأس فيهلكها السم او يثبت عند ابنها مكرها به فيقتلها فاثرت التهام الكأس فهلكت به وكانت كالباحث على حتفه بظلفه ونجت سورية من ذات الفظائع المخيفة التي كانت داهية دهماء لها سنين عديدة وكان موتها سنة ١٢٠ ق م (طيطوس ليف ك ٦٠ ويوستينوس ك ٣٩ ف ١ و ٢ وابيان في

السوريين ف ٦٩ وغيرهم)

﴿ عد ٤٥٢ ﴾

﴿ في زبينا و يوحنا هركان امير اليهود ﴾

قد مر ان زبينا ملك في انطاكية وما يليها سنة ١٢٨ وثار عليه ثلاثة من عماله وحازوا قلوبطرة واستحوذوا على مدينة اللاذقية وعصوه فيها فزحف اليهم بفريق من جيشه وارغمهم على الاستسلام اليه والخضوع له فرفق بهم وعفا عنهم فقد كان حليماً عادلاً يعامل بالانس والرقة كل من عاشره او سأله امرًا فاحبه مسودوه حتى من انفوا من استعماله المكر لتسنم العرش ورغبة في توطيد دعائم ملكه عقد عهد مناصرة وموالاة مع يوحنا هركان امير اليهود وانتهز يوحنا هذه الفرصة لرسوخ ولايته على امته وتأييد حريتهم الدينية والمدنية وانبساط سلطتهم فاستحوذ على ميدبا وغيرها من المدن في شرقي الاردن وقهر السامريين والادوميين واوفد رسلاً الى رومة يجدد عهد الموالاة بينه وبين الرومانيين كما كان في ايام ابيه سمعان فرحب رجال الندوة برسله واجابوهم الى كل ما سألوا ولما كان انطيوكس صيدات انتزع من سمعان يافا وغزة وبعض المدن التي كانت تحت امرته خلافاً لتوصية الرومانيين باليهود حتمت الندوة الرومانية ان ترد هذه المدن الى اليهود وان يعوّضهم ملوك سورية مما صرفوه من النفقات خلافاً لعهدة الرومانيين وان يحذروا كل الحذر من ان يسيروا جنودهم في ارض اليهود وقد ذكر يوسيفوس صورة هذا الامر من الندوة الرومانية في تاريخ اليهود (ك ١٣ فصل ١٧)

وكان فيسكون ملك مصر يمتد نفسه ولي نعمة زبينا فطالبه ان يكون منقادًا ومطيعاً له وابى زبينا ذلك فحنق عليه فيسكون وعزم ان يحطه كما رفعه واتفق مع قلوبطرة ابنة اخيه وجهز جيشاً عظيماً وسيره الى كريبوس ابنها

وزوجه ابنته تريفان فاشتد ساعد كريبوس بهذه النجدة واستظهر على زبينا وارغمه على الفرار الى انطاكية وحسن عند زبينا ان ينتهب هيكل المشتري في انطاكية ليقوم بنفقات الحرب وشعر الاهلون بذلك فثاروا عليه وطردوه من مدينتهم فمضى يطوف من مكان الى آخر الى ان قبض عليه وأُشعر اي قتل سنة ١٢٣ ق م

عدد ٤٥٣

في انطيوكس كريبوس

قد علمت ان الملك انطيوكس كريبوس استراح من مزاحميه على الملك امه قلوبطرة وزبينا بقتله اياهما واستتب له الملك مدة ست سنين اي من سنة ١٢٠ الى سنة ١١٤ ق م وبينا كان مهتماً بتجهيز جيش لمحاربة اليهود ثار عليه اخوه انطيوكس الشيزيكي نسبة الى شيزيك بلدة في اسيا الصغرى كانت امه ارسلته ليتربى فيها وانطيوكس هذا هو اخو انطيوكس كريبوس لامه لانه ابن قلوبطرة المار ذكرها من انطيوكس صيدات وكريبوس ابنها من ديمتريوس الثاني . وخشي كريبوس ان ينازعه اخوه الملك واراد ان يدسّ له سماً يهلكه به فشعر الشيزيكي بالمكيدة واضطر ان يجمع جيشاً للمدافعة عن نفسه والمحافظة على الملك . وكان في مصر ان بتلمايس فيسكون قضى نحبه في الاسكندرية سنة ١١٧ ق م بعد ان ملك في مصر تسعاً وعشرين سنة وكان له ابنان شرعيان من قلوبطرة ابنة اخيه (التي تزوجها بعد ان طلق امها كما مر عد ٤٣١) لاتير واسكندر وترك ملك مصر لامرأته قلوبطرة ولمن تختاره من ابنيها فاثرت اسكندر على لاتير الاكبر فناصبها الشعب واكرهها على ان يشاركها لاتير في الملك لانه الكبير فاذعنت لكنها اجبرته قبل ان يتوج في منف على عاداتهم ان يطلق قلوبطرة اخته البكر وامرأته التي كان يحبها كثيراً

وان يتخذ سيلانة اختها الصغرى التي لم يكن يميل اليها ولما رأت قلوبطرة لاتير طلقها تزوجت بانطيوكس الشيزيكي ولمعرفتها باحتياجه الى الرجال لمناواة اخيه كريبوس اتته بجيش بدلاً من المهر فاصبحت القوة الحربية عند الاخوين متوازية فالحما القتال ودارت الدوائر على الشيزيكي ففر الى انطاكية حيث كان ترك امرأته قلوبطرة وهمَّ بان يحشد جيشاً آخر ولكن عاجله اخوه كريبوس وحاصر انطاكية وافتتحها فالحت عليه امرأته تريفان ان يسلم اليها قلوبطرة التي امست اسيرة . فلجئت قلوبطرة الى معبد في انطاكية تظن ان اعداءها لا ينتهكون حرمته فانكر كريبوس على امرأته اجابة سؤلها محتجاً بحرمة المعبد التي لجأت قلوبطرة اليه وانه لا نفع لهما ولا ضر لعدوهما من قتلها وذكّرها بان قلوبطرة انما هي اختها لابيها وامها وابنة عم امه وبانه ليس من شيم الملوك ان يعاملوا بالقسوة من انتصروا عليهم ولا سيما النساء فلم تكن هذه الحجج كلها لتقنع تريفان ووهمت ان الملك زوجها لا يمانعها من قتل قلوبطرة شفقة عليها بل لانه متيم بها وارسلت شرذمة من الجند الى المعبد فتشبثت قلوبطرة باحد جانبي المذبح ولم يتمكن الجند من انتزاعها الا بقطع ساعديها ثم قضت سنة ١١٣ ق م داعية على من تسبب بقتلها وسائلة الاله الذي جرت عليها هذه القسوة امام عينيه ان ينتقم لدمها

واما قلوبطرة امهما فلم يرحمها قتل احدى بناتها ولا جريمة الاخرى الفظيعة بل كان كل همها منصرفاً الى تمكين سلطتها في مصر وجعلت ابنها اسكندر ملكاً في قبرس آملة ان يجدها اذا شاء ابنها لاتير ان يستبد في الملك دونها على ان جريمة موت قلوبطرة في سورية لم تتركها العناية الربانية زماناً دون عقاب لان انطيوكس الشيزيكي جهز جيشاً آخر واتى لمحاربة اخيه كريبوس فاستظهر عليه سنة ١١٩ ق م وقبض على تريفان واذاقها مر العذاب جزاء قسوتها

على اختها واضطر كريبوس ان يفر من سورية تاركاً اياها لاخيه الظافر (يوستينوس ك ٣٩ فصل ٣ و ٤ و ٥ وابيان في اخر كلامه في متريدات واسترابون ك ١٧ وبلين ك ٢ فصل ٦٧ وغيرهم).

عد ٤٥٤

في انطيوكس الشيزيكي ويوحنا هركان امير اليهود

لم تنقضِ سنة حتى عاد انطيوكس كريبوس سنة ١١١ ق م الى سورية بجيش عظيم واستظهر على اخيه ثم اتفقا على ان يقسما هذه البلاد بينهما فكان نصيب الشيزيكي فونيقي وسورية المجوفة الى دمشق واقام في هذه المدينة ونصيب كريبوس سائر المملكة واقام في انطاكية وانكب كلاهما على الترف واصبا بغوائله

وبين كان الملكان لاهيين مستترفين كان يوحنا هركان يزيد في صولته وثروته ورأى ان لا خوف عليه من سطوتهما فعزم ان يلحق السامرة بولايته وارسل ابنيه ارسطوبولس وانتيكون فحاصراها سنة ١١٠ ق م فاستنجد السامريون انطيوكس الشيزيكي ملك دمشق فانجدهم بجيش تولى امرته بنفسه فالتقاه الاخوان وانتشبت الحرب واستظهرا عليه وتتبعا جنوده الى شيتوبولي (بيسان) ونجا هو بنفسه وعاد ابنا هركان سنة ١٠٩ ق م الى حصار السامرة فلجأ اهلوها ثانية الى ملك دمشق ولما لم تكن له جنود كافية لرفع الحصار طلب الى بتلمايس لاتير ملك مصر فارسل اليه ستة آلاف جندي خلافاً لارادة امه الملكة قلوبطرة فانه كان بين وزرائها والمقربين اليها كلشياس وحانانياس اليهوديان ابنا اونيا الذي بنى الهيكل في مصر كما مر وكانا يستميلانها الى المحاماة عن امتهما فلامت ابنها على ارسال هولاء الجنود وكادت تعزله عن الملك لتورطه بهذه الحرب خلافاً لرضاها . ولما بلغ الجنود المصريون الى فلسطين ضمهم ملك

دمشق الى جنده ولم يجسر ان يناوي محاصري السامرة بل اخذ يسطو على الغرباء ويسلب وينخرب ويقطع الطريق على ابنا السبيل آملاً ان يرد جيش اليهود عن حصار السامرة الى الذب عن بلادهم فلم يصب سهمه المرمى واستمر ابنا هركان يحاصران السامرة وانتقص عدد جنود ملك دمشق في بعض المناوشات مع الاهلين ومن قبل فرار بعضهم ومرض آخرين فاثر الملك العزلة في اطرابلس على بقائه بين جنود ضعفت عزيمتهم وخمدت حميتهم وقل عددهم وامر على من بقي من جنوده كليندر وابيكرات فالاول منهما قتل في مناوشة والثاني يئس من فوز جنود مولاه ففضل نفعه على فرضه واخذ من هركان مبلغاً من المال وتخلى له عن بيسان وسائر المدن التي كانت لملك دمشق في تلك الناحية

اما اهل السامرة فلما رأوا ان لا نصير لهم وقد ضايقهم الحصار سنة كاملة استسلموا الى هركان سنة ١٠٨ ق م فدكّ مدينتهم وجعلها قاعاً صفصفاً واحتفر فيها حفراً وحول الماء اليها حتى لا يمكن تجديد بنائها ولم يجدد الا في ايام هيرودس الذي سمى المدينة الحديثة سبسطية ومعناها في اليونانية السعيدة تكرمة لاغوسطوس قيصر الذي معناه في اللاتينية السعيد . واصبح هركان وقتئذٍ مالكاً اليهودية والجليل والسامرة ومدناً اخرى في تخومها واستفحل امره وعدا من مشاهير الملوك في ايامه ولم يكن احد من جيرانه يجترئ ان يناصبه حرباً ولكن حسده بعض قومه وكان بين اليهود في تلك الايام شيعتان فريسيون وصادوقيون فالفريسيون كانوا يتظاهرون بالمحافظة على السنة بتدقيق لكنهم كانوا يضيفون اليها تقليدات يدّعون انهم تلقوها عن قدمائهم ويتشبثون بها اكثر من السنة على مخالفتها غالباً لها ويعتقدون خلود النفس وحياة اخرى ويتظاهرون بالفضيلة والعيشة القشفة

ليعتبرهم الشعب ومن وراء ذلك كبائر وكبرياء وطمع أشعبي في حشد المال ونيل الكرامات والخطط الرفيعة ثم بغضة شديدة لكل من بقاومهم ورياء في عمل الخير لاراءة الغير وقد سموا انفسهم فريسيين بمعنى مميزين وحكماء واما الصادوقيون نسبة الى رجل اسمه صادوق او بمعنى الصادقين الابرار فكانوا يزدرون تقليدات الفريسيين وينكرون خلود النفس والحياة الاخرى وقيامة الاجساد وكان الاغنياء في الشعب وكثيرون من رجال مجمعهم الذين يناط بهم تدبير مهام المملكة والدّين من هذه الشيعة وقد استمرت الشيعتان في ايام المخلص كما هو ظاهر في الاناجيل

فيوحنا هركان كان يداري الفريسيين ويسترضيهم وقد استدعاهم يوماً ما الى مأدبة القى فيها خطاباً ومما قاله فيه انه جد دائماً ليكون عادلاً في الناس مرضياً لله بحسب تعليم الفريسيين وقال من رآني منكم شذذت في شيء عن ذلك فاسأله ان يبثه اليّ لاصلح نفسي فاطرأ جميعهم هركان وصوبوا كلامه الا رجلاً اسمه العازار نهض فقال بما انك سألتنا ان نقول لك الحق بلا مراياة فان كنت عادلاً فاترك رئاسة الكهنوت لغيرك واحفظ الملك لنفسك فسأله هركان وما الداعي لهذا قال شهد كثير من الشيوخ الموثوق بصدقهم ان امك كانت اسيرة وابن الاجنبية لا يحق له ان يكون رئيس الكهنة وكان كلامه هذا تهمة واختلاقاً فعظم القلق وطلب هركان مجازاة المفتري فلم يحكم عليه رئيس الفريسيين الا بالسجن والضرب فاستقل هركان هذا الجزاء وكان له صديق من الصادوقيين اسمه يوناتان اغراه بترك الفريسيين والاستمالة الى شيعته فقاطع الفريسيين لكن لم يعش بعد ذلك الا سنة وتوفاه الله سنة ١٠٧ ق م بعد ان تولى رئاسة الكهنوت وحكومة اليهود تسعاً وعشرين سنة (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك١٣ ف١٨)

﴿ عد ٤٥٥ ﴾

اسكندر ملك اليهود وبتولمايس لاتير وقلوبطرة في سورية

ان ارسطوبولس بكر هركان خلف اباه بعد وفاته في الولاية على اليهود وسمي ملكاً واشرك اخاه انتيكون في ملكه وطرح سائر اخوته في السجن وضيق على امه حتى اماتها جوعاً لدعواها ان اباه جعل عند وفاته الولاية في يدها وسعى بعضهم باخيه انتيكون لديه حتى حملوه بفسادهم على قتله ثم اطلع على عتوهم فاسف وندم على ذلك ولا ندامة الكسعي لان شديد اسفه كان علة لمرضه وموته فلم يملك الا سنة واحدة وصنع الى شعبه خدمات كثيرة وحارب الايطوريين (سكان اللجى) وقهرهم واكرههم على ان يختتنوا ويسلكوا بحسب سنة اليهود ذكر ذلك يوسيفوس في تاريخ اليهود ك١٣ فصل ١٩) واستشهد له بفقرة من كلام استرابون قال فيها «ان هذا الملك كان حليماً لين العريكة صنع الى اليهود معروفاً كبيراً لانه اهتم كثيراً بتوسيع تخوم بلادهم وضم اليها جانباً من ايطورية والحق سكانها باليهود اذ جعلهم يختتنون»

وبعد وفاة ارسطوبولس اخرجت امرأته صالومي اخوته من السجن ونادت باحدهم يوحنا المسمى اسكندر ايضاً ملكاً واقر اليهود بالملك له لانه بكر هركان لكنه كان اثر ارسطوبولس عليه فاسكندر قتل احد اخوته لانه اخذ ينازعه الملك وابقى على اخ آخر له لانه اقر له به وكانت باكورة اعمال الملك اسكندر انه جهز جيشاً ومضى لمحاربة اهل عكا لانهم واهل غزة لم يخضعوا لحكومة اليهود فظهر عليهم وارغمهم على الفرار فتحصنوا في مدينتهم واقام اسكندر الحصار عليها ولجأ اهلها الى بتلمايس لاتير وقد علمت ان بتلمايس هذا كان قد ارسل ستة الاف جندي لانجاد اهل السامرة على اليهود غير مبالٍ بممانعة امه

قلوبطرة شريكته في الملك ونفورها من ذلك فحنقت امه عليه لهذا وغيره وابعدت عنه امرأته سيلانة واكرهته على الخروج من مصر بحيلة انها هشمت بعض خصيانها واستدعت الشعب الى اجتماع في الاسكندرية وارتهم الخصيان مجرحين قائلة ان ابنها لاتير انزل بهم هذه الجراح لمدافعتهم عنها لانه رام قتلها فاستشاط الشعب على لاتير ووثبوا عليه فانهزم بسفينة الى قبرس واستدعت حينئذٍ امه ابنها اسكندر الذي كانت اقطعته قبرس وجعلته شريكاً لها في الملك مكان لاتير الذي اجبرته ان يجتزىء بقبرس (يوستينوس ك٣٩ فصل ٤)

ولما وصل رسل اهل عكا الى لاتير هبّ دون ابطاء لنجدتهم على ان اهل عكا تغيروا على لاتير لخوفهم ان يأتي فيملك عليهم وشعر هو بتغيير عزمهم فحل بعسكره الذي كان نحواً من ثلاثين الف رجل في سيكامينوس (المعروفة الان بحيفا) في جوار عكا واخذ يراسل اسكندر ملك اليهود ليعقد عهدة معه الى ان درى ان اسكندر يراسل امه قلوبطرة لتأتي بجيشها وتعاونه على طرد لاتير من فلسطين فانقلب عليه وجاهر بعدوانه وعزم ان ينزل به كل ما استطاع من السوء وكان ذلك لسنة ١٠٥ ق م وفي سنة ١٠٤ قسم لاتير جيشه الى عسكرين امر على احدهما احد قادته ليحاصر عكا لاخلاف اهلها وعدهم له وزحف بالاخر لمناواة اسكندر ونجد اهل غزة لاتير بكثير من رجالهم والتحم القتال بين لاتير واسكندر على عدوة الاردن فظهر لاتير عليه وقتل من جيش اليهود ثلاثين الف رجل واسر كثيرين وقد روى عنه انه اقدم على فظيعة ترتعد منها الفرائص فانه اتى عند المساء قرية يحتلها فوجدها ملائى من النساء والاطفال فذبحهم عن آخرهم وقطع جثثهم ارباً ووضعها في مراجل واظهر انه يريد ان يعدّ منها عشاء لجنده ليحسب الناس انهم يأكلون اللحم البشري فيشتد رعبهم في القلوب ثم اخذ لاتير ينكل ويسلب ويخرب في البلاد ولولا تدارك قلوبطرة امر الملك

اسكندر وامته لاستحواذ لاتير على فلسطين واذل اليهود كل الاذلال

فان قلوبطرة خشيت ان يملك ابنها لاتير اليهودية وفونيقي ويتيسر له ان يعود الى مصر ويثل عرشها فجمعت سنة ١٠٣ ق م جيشاً جراراً عهدت بقيادته الى كلشياس واتانياس اليهوديين المذكورين انفاً وجهزت اسطولاً اتت به فحات في فونيقي (ابيان في ترجمة متريدات) واخذت مبلغاً وافراً من المال وحلاها الثمينة وارسلتها مع حفيدها اسكندر الى جزيرة كوس لتكون في مأمن عليها اذا حلت بها نازلة . ولما علم لاتير بقدوم امه رفع الحصار عن عكا واعتزل في سورية المجوفة فارسلت فريقاً من جندها مع كلشياس ليتبعه واقامت هي الحصار على عكا مع اتانياس وضايقتها حتى افتتحتها فاقبل اليها اسكندر ملك اليهود بهدايا نفيسة ليمكنها في الاستمالة اليه على ان بغضها لابنها لاتير كان مغنياً له عن كل وسيلة لاسترضائها عنه فقد تلقته بالترحاب واكرمت مثواه وعززته وزين لها بعض حاشيتها ان تنتهز هذه الفرصة النادرة الوقوع لتستحوذ على اليهودية وسائر مملكة اسكندر بقبضها عليه وكانت تجنح الى ذلك الا ان حنانياس شعر بما يزينون لها فمثل امامها قائلاً ما اعظم العار علينا ان عاملنا على هذا النحو حليفاً لنا يشاركنا في المناواة لاتير لعمرك مولاتي ان هذا ينافي الشرف والامانة اللذين هما اس الهيئة الاجتماعية والعمران ويعود بالضر على جلالتك ويحمل اليهود اجمع ان يتحالفوا على بغضك وهم منبثون في المعمور كله فاذعنت لقوله وجددت عهدها لاسكندر فما انفع المستشارين الصادقين للولاة

وما احوجهم اليهم

وعاد اسكندر الى اورشليم وحشد جيشاً عبر به الاردن وحاصر مدينة كدارا (في شرقي الاردن) وبعد ان قضى لاتير فصل الشتاء في غزة رأى ان استحواذه على فلسطين بعيد المنال صعب المنال ما دامت امه تقاومه فيه فعاد

الى قبرس وهي رجعت الى مصر سنة ١٠١ ق م (يوستينوس ك ٣٩ راس ٤ ويوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٣ فصل ٢٠ و ٢١) اوزاد يوسيفوس على ذلك ان اسكندر فتح كدارا وغيرها من المدن في عبر الاردن وعاد ينكل باهل غزة لانجادهم لاتير عليه وخرب في بلادهم وحاصر مدينتهم ولم يفتحها الا بعد اشهر من المضايقة لهم

عد ٤٥٦

تتمة اخبار انطيوكس كريبوس وانطيوكس الشيزيكي اخيه

وقد علمت قلوبطرة بعد عودها الى الاسكندرية ان ابنها لاتير عقد عهدة في دمشق مع انطيوكس الشيزيكي ملكها وانه يتأهب ليسترد تاج مملكة مصر استناداً الى مناصرة انطيوكس له فزوجت انطيوكس كريبوس بابنتها سيلانة التي كانت ابعدتها عن لاتير وارسلت اليه جيشاً ومالاً ليقوى على مقاومة اخيه الشيزيكي وكان كما دبرت قلوبطرة ان انتشبت الحرب بين الاخوين فلم يتيسر للشيزيكي ان يعاون لاتير بشيء فطاش سهمه ورأى بتلمايس اسكندر الذي اشركته امه في الملك معها جورها واعتسافها البربري لاخيه لاتير حتى انتزعت منه امرأته وزوجتها بعدوه فاثر العزلة على الملك مع ام وقاح الوجه لا تتقي فظيعة في سبيل مأربها على ان الشعب الحّ عليه وجاهر بانه لا يطيق ان تنفرد امه بالملك فيهم فاضطر ان يعود الى الملك وان لم يكن له فيه الا الاسم . واستمرت الحرب بين ملكي سورية الى ان اغتال هركليون انطيوكس كريبوس ملك انطاكية سنة ٩٧ ق م وكان له خمسة ابناء خلفه منهم اكبرهم سلوقوس لكن اخاه انطيوكس الشيزيكي استولى بعد موته على انطاكية وحاول ان ينتزع سائر المملكة من ابن اخيه على ان هذا حشد جيشاً عظيماً وعزم ان يباغت عمه في انطاكية فخرج عمه عليه والتقى الجيشان واشتد القتال فظفر سلوقوس

بعمه انطيوكس وشتت شمل جنوده واخذه اسيراً وقتله سنة ٩٥ ق م ودخل سلوقوس انطاكية ظافراً واستتب له الملك في سورية كلها (طيطوس ليف ك ٧٠ ويوسينوس ك ٣٩ فصل ٥ واسترابون ك ١١ ويوسيفوس ك ١٣ فصل ٢١)

الفصل السابع

في باقي ملوك اليونان في سورية الى انقراض دولتهم فيها

عد ٤٥٧

في سلوقوس بن انطيوكس كريوس وانطيوكس اوساب

قد احرز سلوقوس الملك على سورية كلها بعد مقتل عمه لكنه لم يستطع ان يستقر فيه زماناً طويلاً لان انطيوكس اوساب ابن عمه انطيوكس الشيزيكي فر من انطاكية عند دخول سلوقوس اليها فاتى ارواد وسمى نفسه ملكاً سنة ٩٣ ق م وزحف بجيش جرار لمناواة سلوقوس واستظهر عليه حتى اكرهه ان ينهزم الى المصيصة في قيليقية ويترك المملكة للظافر واثقل سكان المصيصة واعنتهم بطلبه منهم الذخائر والتجند له فعصوه وتألبوا عليه واحاطوا بالدار التي كان حالاً فيها والقوا النار فيها فاحترق مع كل من كان معه هناك وجمع انطيوكس وفيلبوس اخواه رجالاً وغشيا المصيصة سنة ٩٢ ق م فافتتحاها واخرباها وقتلا بحد السيف كل من وجداه من اهلها فالتقاهما انطيوكس اوساب عند العاصي واستظهر عليهما وازاد انطيوكس ان يعبر العاصي بجنوده ففرق فيه وكان سمي ملك سورية وهو الحادي عشر بهذا الاسم وفيلبوس تحول عن وجه

العدو بجم من الرجال تكاثر عديدهم حتى استطاع ان يناوي الملك اوساب وينازعه الملك

اما انطيوكس اوساب فلكي يعزّز ملكه تزوج بسيلانة ارملة انطيوكس كريبوس وكانت هذه الاميرة الذكية استبقت لنفسها بعض اعمال من المملكة وكان لها جنود ذوو بأس ومهارة فتعزز جانب اوساب بها على ان بتلمايس لاتير لم يصبر على الاهانة له باخذ امرأته فاستأتى ديمتريوس اوثر رابع ابناء كريبوس من اكريت حيث كان للتربية ونصبه ملكاً على دمشق وكان الملك انطيوكس اوساب وفيلبوس بن كريبوس متشاغلين بمحاربة احدهما الاخر فخلا الجو لديمتريوس في دمشق وظهر فيلبوس على اوساب في وقعة هائلة وارغمه ان يترك مملكته ويلجاء الى متريدات الثاني ملك البرتيين الملقب بالكبير وغدا ملك سورية منشطراً بين ديمتريوس في دمشق وفيلبوس في انطاكية وهما اخوان ابنا انطيوكس كريبوس

اما اوساب فامده البرتيون بجيش وعاد بعد سنتين اي سنة ٨٩ ق م الى سورية واستحوذ على بعض الاعمال التي كانت له اولاً وكانت له حروب اخرى مع فيلبوس ثم ان انطيوكس وانيس خامس ابناء كريبوس حشد جيشاً فاستولى على دمشق مكان اخيه ديمتريوس وسمى نفسه ملك سورية المجوفة واستمر على ذلك ثلاث سنين اي الى سنة ٨٦ (رواه المؤرخون المار ذكرهم)

وكانت احوال مصر يومئذٍ اسوء من احوال سورية فان قلوبطرة لم تكن لتصبر على اشتراك ابنها اسكندر معها في الملك فعزمت ان تغتاله لتستبد وحدها في السلطان ودرى ابنها بعزمها فسبقها الى ما دبرت عليه وبعث جنوداً فقتلوها فاستراحت الارض من هذه الداهية الدهماء التي ابت الشفقة ان تحل في قلبها على ام او ابن او ابنة لها في سبيل ادراك مطامعها فجوزيت بما جنت

ولكن بخيانة اخرى افظع من كبائرها اذ قتلها ابنها ولم تعطفه عاطفة البنوة الى الشفقة وكانت هذه الفظائع المتواترة منذرة ولا مراء بدنو زوال مملكتي اليونان في مصر وسورية وقد قيض الله الرومانيين للانتقام من هولاء الملوك والملكات لقتلهم ابناءهم وبناتهم وآباءهم وامهاتهم واخوتهم واخواتهم حتى تنفر الضواري انفسها من هذه المنكرات الفظيعة . ولما رأى الاسكندريون ما اقدم عليه ملكهم ثاروا عليه وطردوه من الملك واستدعوا اخاه لاتير واعادوه الى عرش الملك واستمر عليه الى وفاته وحاول اسكندر استرداد الملك فخفق مسعاه وقتل في احدى حملاته وكان ذلك سنة ٨٩ او سنة ٨٨ ق م (يوستينوس ك ٣٩ فصل ٤ وغيره)

عدد ٤٥٨

اختيار السوريين تغران ملكاً عليهم و بقاء سيلانة في عكا

قد ضاق ذرع السوريين بالحروب المتصلة بين ملوكهم وعال صبرهم في تحمل اعتسافهم واعنائهم وسئمت انفسهم معاصيهم فعزموا ان ينبذوهم جميعاً ويختاروا ملكاً اجنبياً ينقذهم من عنفهم وتقسماتهم ويذيقهم طعم الراحة بعد مرارة الحروب ورغب بعضهم في اختيار متريدات ملك البنطوس وبعضهم في تسليم امرهم الى بتلمايس لاتير ملك مصر على ان الاول كان مشتغلاً في الحرب مع الرومانيين والثاني كان ابداً عدواً للسوريين فعدلوا عن كليهما الى انتخاب تغران ملك ارمينية وارسلوا اليه وفداً يبثون اليه عزمهم ويكاشفونه في قبوله فقبل ما عرضوا عليه واتى سورية سنة ٨٣ ق م ولبس تاج ملكها واستمر ملكه فيها ثماني عشرة سنة وقد وليها مدة اربع عشرة سنة بقيل ينوب عنه اسمه مفادات

اما انطيوكس اوساب فقد طرده مسودوه وتغران فانهزم الى قيليقية

وقضى باقي عمره خامل الذكر وفيلبوس لا يعلم ما كان من امره والظاهر انه قتل في احدى الوقائع وسيلانة امرأة اوساب تمكنت من ان تبقي لنفسها عكا وجانباً من فونيقي ومن سورية المجوفة فملكت في هذه الاعمال سنين عديدة وكان لها ابنان اكبرهما يسمى انطيوكس واصغرهما سلوقوس (يوستينوس ك٤٠ فصل ١ و٢ وابيان في السوريين ويوسيفوس في تاريخ اليهود كتاب ١٣ فصل ٢٤)

وقد توفي في مصر بتلمايس لاتير بعد ان ملك في مصر بعد وفاة امه سبع سنين (وكان ملك فيها مع امه احدى عشرة سنة وفي قبرس ثماني عشرة سنة) ولم يكن له ولد شرعي الا ابنة اسمها قلوبطرة ايضاً وعلمها الشخصي برنيقة خلفته في الملك لكن الندوة الرومانية ارسلت الى مصر اسكندر ابن اسكندر اخي لاثير ليملك في مصر وتفادياً من الخلاف واغاظة الرومانيين اتفقت قلوبطرة مع اسكندر ان تتزوج به ويملكا معاً على ان اسكندر قتلها بعد تسعة عشر يوماً من زفافها اليه فثار عليه الجنود وقتلوه بعدها على الاصح والاظهر وقال بعضهم انهم طردوه فقط فاتى صور وملك فيها سبع سنين ثم مات واوصى ان يرثه الرومانيون وكثر القلق في مصر من جرى ذلك وطمعت سيلانة اخت لاتير وارملة انطيوكس اوساب ان تأخذ لنفسها تاج مصر وارسلت ابنيها انطيوكس وسلوقلوس سنة ٧٣ ق م الى رومة فاقاما سنين فيها يزينان للندوة تمليك امهما او احدهما فخفق مسعاهما لان الرومانيين كانوا منهمكين في الحرب مع متريدات ولانهم ابوا ابداً سياسة ان يضموا سورية ومصر الى مملكة واحدة مخافة ان تقوى عليهم فيعسر ضمها الى مملكتهم ومر احدهما انطيوكس في صقلية عند عوده فاحتال فرس واليها عليه وابتز منه منارة من ذهب مرصعة بجواهر ثمينة كانت معدة لمعبد في رومة فعاب شيشرون هذا

الاحتيال والطمعُ في الولاة الرومانيين في خطبته ٦ في فرس وهي من احسن خطبه

اما في مصر فبعد مقتل اسكندر او مفره ملك الشعب بتلمايس اولات سنة ٧٣ وعلى قول بعضهم سنة ٨٠ واستمر في الملك الى سنة ٥٢ وان تقطع ملكه بطرده مرتين وخلفه ابنه بتلمايس الثاني عشر الملقب وانيس وتزوج باخته قلوبطرة الشهيرة وسيأتي الكلام فيها

﴿ عد ٤٥٩ ﴾

في انطيوكس الاسياوي واستيلاء الرومانيين على سورية

قد مرَّ ان السوريين ملكوا فيهم تغران ملك الارمن سنة ٨٣ او سنة ٨٢ وكان مفادات يدبر مملكته بمنزلة قيل خاضع له وهذا هو الاظهر والذي عليه المؤرخون وعند بعضهم ان تغران استحوذ على سورية سنة ٧٠ وقالوا ان سيلانة ارملة انطيوكس العاشر اوساب ملكت في سورية من سنة ٨٠ الى سنة ٧٠ ولعل المراد ملكها في عكا على فونيقي وسورية المجوفة كما ذكرنا ومهما يكن من هذا الخلاف فالرومانيون بعد حروبهم العديدة مع متريدات ملك بنطوس واذلاله اقاموا الحرب على تغران ملك ارمينية فاستعاد اليه مفادات الذي كان يلي سورية بامره لحاجته اليه وكان انطيوكس ابن الملكة سيلانة عاد من رومة كما مرّ فاستوى على عرش سورية سنة ٦٩ ق م وقام يدبر هذه المملكة او قسماً منها اربع سنين او خمساً على ان لوكولوس قائد جيش الرومانيين انتصر سنة ٦٩ في وقائع عديدة على تغران واخذ اهم مدنه ثم اكمل بومبايس القائد الروماني الظفر به وارغمه ان يدفع غرامة الحرب للرومانيين ستة الاف قنطار عبارة عن ثلاثة وثلاثين مليوناً من الفرنكات وعلى ان يوقع سنة ٦٤ على عهدة يتخلى بها للرومانيين عن سورية والكابادوك وارمينيا

الصغرى ويستبقي لنفسه ارمينيا الكبرى وبعد ان كلّ بومبايوس من حرب متريدات وتغران اتى سورية واتى انطيوكس الاسياوي للقياه آملاً ان يقره بومبايوس في ملكه بواسطة لوكولوس الذي كان اباحه ان يلي ما ولي في سورية عند ترك تغران لها فابى بومبايوس الا ان يلتهم ملكه ويجعله اقليماً رومانياً محتجاً بان تغران تخلى له عنه وان ليس من السداد ان يترك ثمرة انتصاره على تغران وان انطيوكس لا يحرز الشجاعة والاهلية اللازمتين لضبط هذه البلاد واستيلاء الامن فيها واذا تركت بيده كانت عرضة للخراب ولغزوات العرب وسطوة اليهود عليها وبهذه الحجج الواهنة خسر انطيوكس تاج ملكه واضطر ان يعيش كعامة الناس وانقرضت به دولة السلوقيين في سورية سنة ٦٤ او سنة ٦٥ ق م وارسل بومبايوس قايديه سكاوروس وكابتيوس فاخضع الاول سورية المجوفة ودمشق والثاني باقي سورية الى دجلة واتى بومبايوس الى دمشق ينظم احوال مصر واليهودية (ابيان في السوريين ويوستينوس ك ٤٠ فصل ٢ وبلوطرخ في ترجمة بومبايوس)

اما في مصر فاستمرت دولة اليونان الى سنة ٣٠ ق م ولكن طوع ايدي الرومانيين فان قلوبطرة ابنة بتلمايس اولات التي تزوجها بتلمايس الثاني عشر ديونيسيوس اخذها وعمره ١٣ سنة وعمرها ١٧ طمعت بان تكون لها السلطة المطلقة فعظم الخلاف بينهما واقيم القيصر الروماني حكماً بينهما فحكم لها مسيأ بجمالها وعادت الى الملك سنة ٤٧ واراد اخوها ان يحارب الرومانيين فاستظهروا عليه وفرّ فغرق في مياه النيل سنة ٤٨ فاقام قيصر بتلمايس الثالث عشر ملكاً وتزوج قيصر قلوبطرة وتوفي بتلمايس بعد اربع سنين مسمماً على الارجح وخلفه بتلمايس الرابع عشر ابن قيصر وقلوبطرة سنة ٤٣ وعمره خمس سنين بامر حكومة رومة الثلاثية اي المؤلفة من ثلاثة رجال وسموه سنة ٣٢ ملك الملوك دون ان يكون مالكا الا

بالاسم ثم قتل بامر اغوسطوس قيصر سنة ٣٠ وانتهت به دولة اليونان في مصر التي امست حينئذٍ اقليماً رومانياً واما قلوبطرة فبعد مقتل قيصر استدعاها انطيوكس احد الثلاثة الرجال حكام الرومانيين الى ترسيس لتبرىء نفسها من الشكوى الواردة عليها فهام بها وطلق امرأته اكتافة اخت اكتاف زميله في الحكم على الرومانيين وتزوج قلوبطرة وسلم اليها سنة ٣٣ بعض اعمال رومانية في المشرق فانتشبت لذلك الحرب بين اكتاف وانطونيوس ودارت الدوائر على انطونيوس فانتحر وحاولت قلوبطرة ان تصطاد بجمالها ودهائها اكتاف فخفق مسعاها وقتلت نفسها سنة ٣٠ وانتهت بها سلالة البطالسة

﴿ عد ٤٦٠ ﴾

﴿ فهرست الملوك اليونان في سورية ومصر وسني ملكهم ﴾

قد احببنا ان نذيل كلامنا في الملوك اليونان في سورية بفهرست تتبين منه اسماء هولاء الملوك وسني ملكهم تذكرة للمطالعين

اسماء الملوك	سنو ملكهم
اسكندر الكبير في سورية	من ٣٣٣ الى ٣٢٤ او ٣٢٣
لاوميدون	من ٣٢٣ الى ٣٢١
انتيكون وبتلمايس ملك مصر	من ٣٢١ الى ٣١١
سلوقوس الاول	من ٣١١ الى ٢٨٠
انطيوكس الاول	من ٢٨٠ الى ٢٦٠ او ٢٦١
انطيوكس الثاني	من ٢٦٠ الى ٢٤٦
سلوقوس الثاني	من ٢٤٦ الى ٢٢٥ او ٢٢٦
سلوقوس الثالث	من ٢٢٥ الى ٢٢٢

اسماء الملوك	سنو ملكهم
انطيوكس الثالث الكبير	من ٢٢٢ الى ١٨٦ او ١٨٥
سلوقوس الرابع	من ١٨٥ الى ١٧٥
انطيوكس الرابع ابيفان	من ١٧٤ الى ١٦٤
انطيوكس الخامس اوباتور	من ١٦٤ الى ١٦٢
ديمتريوس الاول سوتر	من ١٦٢ الى ١٥٠
اسكندر الاول بالا	من ١٥٠ الى ١٤٦ او ١٤٤
ديمتريوس الثاني نكانور	من ١٤٧ – ١٤٣ – ١٤٠ – ١٣٩ ثم ١٣٠ – ١٣٥
انطيوكس السادس	من ١٤٥ – ١٤٢
تريفون	من ١٤٢ – ١٣٨ او ١٣٩
انطيوكس السابع صيدات	من ١٣٨ – ١٢٩ او ١٢٨
قلوبطرة في قسم من المملكة	من ١٢٥ – ١٢٠ او ١٢١
سلوقوس الخامس مع امه قلوبطرة	من ١٢٤ – ١٢٣
زبينا في القسم الآخر من المملكة	من ١٢٨ – ١٢٣
انطيوكس الثاني كريبوس	من ١٢٠ – ١١٦ ثم ١١١ الى ٩٧ او ٩٦ مع اخيه
انطيوكس التاسع الشيزيكي مع اخيه	من ١١٦ – ٩٥
سلوقوس السادس	من ٩٥ – ٩٣
انطيوكس اوساب العاشر	من ٩٣ – ٩١ ثم ٨٩ الى ٨٣
انطيوكس الحادي عشر	من ٩١ – ٩٠
ديمتريوس الثالث اوثر في دمشق	من ٩١ – ٨٩ او ٨٨
فيلبوس في انطاكية	من ٩١ – ٨٣
انطيوكس الثاني عشر في دمشق	من ٨٩ – ٨٦ او ٨٤

سيلانة ارملة انطيوكس في عكا من ٨٠ ـ ٧٠

تغران ملك الارمن من ٨٢ او ٧٠ ـ ٦٩ او ٦٤

انطيوكس الثالث عشر الاسياوي في بعض المملكة ٦٩ ـ ٦٤

فجملة سني ملك اليونان في سورية من دخول اسكندر اليها سنة ٣٣٣ الى اخذ الرومانيين لها سنة ٦٤ على الاظهر مئتان وتسع وستون سنة وقد علمت ان تاريخ السلوقيين فيها بدىء فيه سنة ٣١١ فتكون مدة ملك السلوقيين فيها مئتين وسبعاً واربعين سنة

ولما كان البطالسة ملوك مصر ملكوا في جنوبي سورية مدات طويلة وان منقطعة وكثرت العلاقات بين مملكتي مصر وسورية رأينا ان نلحق فهرست ملوك مصر وسني ملكهم بفهرست ملوك سورية

فهرست البطالسة ملوك مصر من اليونان

اسماء الملوك	سنو ملكهم
اسكندر الكبير	٣٣٢ الى ٣٢٣
بتلمايس الاول سوتر	٣٢٣ ـ ٢٨٥
بتلمايس الثاني فيلادلفوس	٢٨٥ ـ ٢٤٧
بتلمايس الثالث افرجات	٢٤٧ ـ ٢٢٢
بتلمايس الرابع فيلوباتور	٢٢٢ ـ ٢٠٥
بتلمايس الخامس ايفان	٢٠٥ ـ ١٨١
بتلمايس السادس فيلوماتور	١٨١ ـ ١٤٦
بتلمايس السابع فيسكون	١٤٦ ـ ١١٧
بتلمايس الثامن لاتير	١١٧ ـ ١٠٧
بتلمايس التاسع اسكندر	١٠٧ ـ ٨٨

قلوبطرة ٨٨ – ٨٣

بتلمايس لاتير بعد عوده ٨٨ – ٨١

بتلمايس العاشر اسكندر ٨١ – ٨٠

برنيقة ٨٠ – ٨٠

بتلمايس الحادي عشر اولات ٨٠ – ٥٢

بتلمايس الثاني عشر ومعه قلوبطرة ٥٢ – ٤٨

بتلمايس الثالث عشر ٤٨ – ٤٢

بتلمايس الرابع عشر ٤٢ – ٣٠

قلوبطرة كانت مع هولاء الملوك من سنة ٥٢ – ٣٠

فجملة سني هولاء الملوك من سنة ٣٣٢ التي اخذ فيها اسكندر الكبير مصر الى سنة ٣٠ التي قتل فيها اغوسطوس قيصر بتلمايس الرابع عشر ثلاث مئة سنة وستان

الفصل الثامن

﴿ تتمة تاريخ ملوك اليهود الى هيردوس الكبير ﴾

قد استوفينا في كلامنا الماضي اخبار المكابيين امرآء اليهود وروسآء احبارهم الى سمعان المكابي وذكرنا في عد ٤٤٧ ان يوحنا هركان بن سمعان المكابي خلف اباه في رياسة الكهنة والولاية وفي عد ٤٤٩ ان هركان بسط سلطته على محال عديدة في سورية وفونيقي واستبد في ولايته وفي عد ٤٥١ انه وسع تخومها

وارسل وفدًا الى رومة يجدد عهد الموالاة بينه وبين الرومانيين فاجابوه الى ذلك وفي عد ٤٥٢ انه حاصر السامرة وافتتحها رغمًا على ملك دمشق وملك مصر فاستفحل امره في اليهودية والجليل وغيرها وغدا من مشاهير الملوك وتوفي سنة ١٠٧ وفي عد ٤٥٤ ان ابنه ارسطوبولس خلفه وسمي ملكًا على اليهود واشرك اخاه انتيكون في الملك معه لكن لم يملك الا سنة وخلفه اخوه اسكندر وافتتح عكا وغزة وحاربه بتلمايس لاتير فاستظهر عليه ثم نجدته قلوبطرة وعاهدته وعاد الى اورشليم معززًا فنعود الان الى تتمة اخبار ملوك اليهود هولاء في هذا الفصل الذي افردناه للكلام فيهم

عد ٤٦١

تتمة اخبار الملك اسكندر ووفاته

قد انبأنا يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٣ فصل ٢١) انه قد كثر القلق في ملك اسكندر لقت شعب اليهود له حتى انه دخل الهيكل في عيد المظال وكان من عادتهم ان يأتوا الى الهيكل في هذا العيد باغصان النخل والليمون فاخذ الشعب يرشق اسكندر على رأسه باثمار الليمون ويقذفه بالشتائم قائلين انه كان اسيرًا فلا يحق له ان يكون حبرًا ويقدم الذبائح لله وربما كان المراد ما فاه به قبلاً العازار ان ام هركان كانت اسيرة فاحتدم صدر اسكندر غيظًا وخرج عليهم بحرسه فقتل منهم ستة آلاف رجل ولم يعد يركن الى اليهود فاخذ لنفسه حرسًا من الاجانب من بيسيديا وقيليقية نحوًا من ستة آلاف رجل كانوا يصحبونه حيث توجه وكان ذلك لسنة ٩٥ ق م ولما اخمد جذوة ثورة اليهود عليه سنة ٩٤ اقبل على محاربة الاجانب فانتصر على عبيد ملك العرب وذلّ الموابيين وغيرهم وافترض الجزية عليهم وكمن له اعداؤه في مضيق عسر المسلك ورجمه بقطار من الابل فلم ينج الا بشق النفس وهلك كثيرون من رجاله فطرب مسودوه بتذليله وجرأهم مصابه على

محاربته فحاربوه ست سنين حتى قتل من الفريقين نحو خمسين الفاً وفتح مدينة كان العصاة تحصنوا فيها وقبض على ثماني مئة رجل واتى بهم الى اورشليم وصلب جميعهم في يوم واحد واستحضر نساءهم واطفالهم فابسلهم تجاه عيونهم وصنع في ذلك اليوم مأدبة لنسائه وسراريه في مكان مشرف على القتلى فكان هذا المشهد الاليم له ولهن من اسباب المسرة وكان ذلك لسنة ٨٦ ق م

وذكر يوسيفوس (فصل ٢٣ من الكتاب المذكور) ان الملك اسكندر بعد ان اخمد ثورة سورية افتتح مدناً اخرى لدن تشاغل ملوك سورية بمحاربة بعضهم بعضاً وعاد الى اورشليم وعكف على الملاذ ومعاقرة الخمرة فأُصيب بحمّى الربع ودامت عليه ثلاث سنين ولم يكن ينكف عن الحروب وبينما كان محاصراً حصناً في شرقي الاردن اشتد مرضه واحتضر فدخلت عليه اسكندرة الملكة وقالت وعيناها مغرورقتان بالدموع الى يد من تتركني واولادك وانت عالم بضغائن الشعب كله وبغضه لك فقال ان عملتِ بمشورتي حفظت الملك لك ولابنائك فاخفِ موتي على جنودي الى ان يفتتحوا هذا الحصن واذا رجعتِ منتصرة الى اورشليم فتزلفي الى الفريسيين وخوّليهم ما يهوون من الوجاهة امامك فانت عالمة بما لكلمتهم من النفوذ عند الشعب فمن احبوه جعلوا الشعب يحبه ومن قلوه جعلوه يقلاهُ فاستدعيهم لدن وصولك الى اورشليم وارِنهم جثتي وقولي لهم ها جثة ملككم بين ايديكم فاصنعوا بها ما شئتم فان احببتم ان لا تواروها التراب جزاء عما انزله بكم من المضارّ فلكم وان رغبتم ان تكرموا دفنته فلكم وحققي لهم انك لا تصنعين شيئاً في الملك دون مشورتهم وارشادهم وانا موقن انهم يحتفون بدفني ويعزونك قال هذا الكلام وقضى نحبه سنة ٧٩ وعمره تسع واربعون سنة وقد ملك سبعاً وعشرين سنة وترك ابنين هركان وارسطوبولس واوصى بالملك لامرأته اسكندرة ما حييت وان يخلفها بعد وفاتها من تختاره

من ابنيه

عد ٤٦٢

في ملك اسكندرة وابنها هركان

قد عملت اسكندرة بمشورة زوجها وجعلت نفسها واولادها طوع ايدي القريسيين قائلة انها تكمل بذلك ارادة زوجها الاخيرة فاستمالت قلوب القريسيين اليها واغضوا على قلاهم له واستبدلوه بالتكريم والتجلة لذكره واخذوا يطرئونه ويذكّرون باعماله الخطيرة في جانب تعزيز مملكتهم وبسط نفوذها وبعثوا الشعب على الاحتفاء بدفنه بنفقات بليغة حتى لم يكن لاحد اسلافه مثل هذا الاحتفاء وقامت اسكندرة تدبر شؤون الملك كما اوصى زوجها وجعلت ابنها هركان رئيس الاحبار وكان عمره اذ ذاك ثلاثاً وثلاثين سنة وعهدت بتدبير اهم امور الملك الى القريسيين والغت الامر الذي كان يوحنا هركان اصدره لابطال تقليدات القريسيين فاندفعوا يعملون بها اكثر من ذي قبل واضطهدوا اشد الاضطهاد كل من كان يقاومهم قبلاً والملكة مغلّة الايدي لا تستطيع ان تقايرهم عالمة بما رأت في ايام زوجها من عظة مضار الحرب الاهلية وما تجرّه من الغوائل العديدة وقضت بان في الحرب شرا اكبر من شر ذلك الاضطهاد وهم كانوا يختلقون كل يوم شكاوي على خصومهم فضاق ذرع محازبي الملك اسكندر وخلانه في حياته عن تحمل هذا الاضطهاد وجاءوا ووجوههم الجماء الغفير الى الملكة ومعهم ارسطوبولس ابنها الثاني وذكروها بخدماتهم واماناتهم لزوجها وبما كابدوه من المشاق والمخاطر في حروبه ويسؤهم ان يحسب ذلك الان جناية يقتصّ منهم خصومهم بسببها فلا وجه لاضطهادهم الا اخلاصهم لزوجها ولها وسألوها اتخاذ الوسائل الواقية لها وكف هذه القسوة عنهم او تسمح لهم ان يهاجروا الى غير بلادها او تقيمهم حيث حامية تتكفل بوقايتهم فرقّ قلب الملكة لهم ورثت لتظلمهم ولكنها

لم تشأ ان تخالف وعدها للفريسيين بان تستسير برأيهم وخشيت سطوتهم ولم ترض ان ترخص لهم بالمهاجرة لئلا تمسي فريسة لهذه الشيعة وليس لها من يذب عنها فعولت ان تقيمهم في القلاع والحصون فتجمع بين الوقاية لهم والانتفاع بهم في حين حاجة

وقد مرضت الملكة سنة ٧٠ ق م ويئس من شفائها واحتضرت فارسل ابنها ارسطوبولس من اورشليم ليلاً لا يصحبه الا خادم واحد ومضى الى القلاع والحصون التي كان فيها اصدقاء ابيه فقبلوه بالترحاب وفي مدة خمسة عشر يوماً تجاهر بالمحازبة له الحرس المقيم في اثنين وعشرين حصناً فاصبح اكثر جنود الملكة طوع يديه وكان الشعب سئمت نفوسهم استبداد الفريسيين فتسارعوا الى الانضواء الى ارسطوبولس ولم يكونوا يؤملون نفعاً من هركان لتشبثه باميل الى الفريسيين ولقلة اهليته . ولما رأى الفريسيون استفحال امر ارسطوبولس اتوا الى الملكة ومعهم هركان ابنها ينبئونها بما كان ويسألونها ان تتدارك الامر وتعاونهم على كبت ارسطوبولس فاجابتهم انها لم تبق لها مقدرة على تدبير هذه الشؤون فتترك العناية بها لهم واوصت ان يخلفها هركان وبعد هنيهة لمدركتها الوفاة سنة ٧٠ ق م بعد ان ملكت تسع سنوات

وبعد وفاتها اخذ ابنها هركان الملك واجهد الفريسيون انفسهم بالمناصرة له وكانوا بعد خروج ارسطوبولس من اورشليم اخذوا امرأته وولده واقاموهم في حصن ليكونوا رهينة توقفه عن المغايرة لهم فلم يتوقف وحشدوا جيشاً والتقاهم ارسطوبولس بمثله وانتشبت الحرب في جوار اريحا فكانت القاضية لان السواد الاعظم من جنود هركان غادروه وانحازوا الى اخيه فاجبر على ان يفرّ الى اورشليم واتخذ محازبوه الهيكل ملجأ وارغموا بعيده على الخضوع لارسطوبولس وقضت الحال على هركان ان يتخلى لاخيه عن تاج الملك ورياسة الكهنوت وان يعيش كاحد

الناس تحت حماية اخيه متصرفاً باملاكه فلم يدم ملكه الا ثلاثة اشهر وكان ذلك لسنة ٦٩ ق م (يوسيفوس في تاريخ اليهود كتاب ١٣ فصل ٢٤ وك ١٤ فصل ١)

عد ٤٦٣

في ارسطوبولس الثاني

لم يستقر ارسطوبولس على سرير الملك الا ونشأ قلق في مملكته احدثه انتيباس (المسمى ايضاً انتيباتر) ابو هيرودس وكان هذا الرجل ادومياً اصلاً يهودياً مذهباً كغيره من الادوميين الذين اجبرهم يوحنا هركان ان يتهودوا وكان من رجال دولة الملك اسكندر واسكندرة زوجه ومن المقربين الى بكرهما هركان رجاء ان يرفع مقامه اذا استوى على اريكة الملك ولما اخفق مسعاه بسقوط هركان عن العرش وارتقاء ارسطوبولس اليه بذل قصارى جده في اعادة هركان الى ملكه فلجا اولاً الى اوتياس ملك العربية الحجرية ليعاونه على بغيته فاتى لمحاربة ارسطوبولس فانتصر ارسطوبولس عليه وانجده بكاوروس قائد جيش الرومانيين ثم اتى بمبايوس الى سورية سنة ٦٤ و٦٥ ق م عائداً من محاربة متريدات فاراد ان ينظر في دعوى هركان وارسطوبولس الذي استدعاه بمبايوس وهو في دمشق فلبى دعوته واتى جم غفير من اليهود يسألون بمبايوس ان يريحهم من ولاية كليهما لانه لم يكن من عادتهم ان يتولاهم ملوك بل ان يسوسهم رئيس كهنة ويقضي بينهم بحسب سنتهم اما هركان فكان يشكو ان اخاه انتزع الملك منه خلافاً للحق لانه البكر وان ليس له الا حقول قليلة لاتقوم باوده وان اخاه كاللص يسطو على جيرانه وينهب مالهم وكان انتيباس احضر كثيرا من اليهود ليشهدوا على اخيه واما ارسطوبولس فاجاب انه لم ينتزع الملك من اخيه الا لانه لم يكن اهلاً له وقد ازدراه الشعب لانه رجل بليد مكسال فاضطر ان يقبض

على ازمة الملك لئلا تقع بيد اجنبي واحضر شهودا على دعواه كثيرا من اعيان البلاد

اما بمبايوس فتبين له ان ارسطوبولس اعتدى على اخيه لكنه لم يبرز حكمه خشية ان يبدي ارسطوبولس ما يحول دون ظهر بمبايوس العرب فاصرفهما متلطفاً وقال انه سوف يمرّ في اليهودية بعد ان يخضع ارتياس والعرب فينظر حينئذٍ في هذا الخلاف ويسوي بينهما فشعر ارسطوبولس بما كنه بمبايوس فبارح دمشق حيث كانوا لساعته ولم يودعه واسرع الى اليهودية يسلح قومه ويتأهب للمدافعة فجعل نفسه بهذا التصرف عدوًا لبمبايوس

وزحف بمبايوس بجيشه الى بلاد العرب وكان ارتياس ملكهم يزدري الرومانيين ولكن لما دنت جحافلهم من بلاده قنط وارسل وفدا يقول انه خاضع لهم فلم ينكف بمبايوس عن المسير حتى بلغ مدينة حجر عاصمة الملك واخذها وقبض على ارتياس ثم خلى سبيله لقبوله الشروط التي اقترحها عليه ثم عاد بمبايوس الى دمشق وسير جنوده على ارسطوبولس فلقيه في حصن يسمى الكسدرون كان ابوه بناه وسماه باسمه وامره بمبايوس ان يخف اليه فتردد ارسطوبولس متشاغلا عن المجيء والح عليه اصحابه ان يمضي عاله يقي البلاد من الحرب فاتى وحدثه بمبايوس في امر الخلاف بينه وبين اخيه فبذل ارسطوبولس مجهوده في اقناعه وارجأه بمبايوس الى مقابلة اخرى

وعاد اليه ارسطوبولس مرات آملاً ان يستميله بهذا التلطف الى الحكم له ولم ينكف عن التأهب للحرب لئلا يحكم بمبايوس عليه وشعر بمبايوس بذلك فاسره آمرًا ان يسلم اليه كلما اعده للقتال واكرهه على ان يمضي امرًا بذلك الى جميع روساء الحصون فوغر صدر ارسطوبولس من هذا التحكم واسرع بعد خروجه من عند بمبايوس فحل بجيشه اولاً في اريحا ثم امّ اورشليم على انه ما

لبث ان ندم على ما صنع وخرج للقياه وبذل قصارى جهده ليسترضيه عنه واعدا بالخضوع المطلق له وبمبلغ جسيم من النقود تفادياً من الحرب فقبل بمبايوس ما عرضه عليه واوفد كابينيوس مع كتيبة من الجنود ليقبض المال فوصد اهل اورشليم ابوابها واخذوا يصيحون على القائد انهم لا يقبلون الوفاق فقبض بمبايوس على ارسطوبولس وغاله وزحف بجيشه الى المدينة وكان محازبو ارسطوبولس يريدون الدفاع ومريدو هركان يهوون فتح ابواب المدينة لبمبايوس ولما رأى محازبو ارسطوبولس تغلب خصومهم عليهم انحازوا الى جبل الهيكل للدفاع ونقضوا الجسور التي على الوهاد ففتحت ابواب المدينة ودخلها بمبايوس وحاصر الهيكل فلم يتهيا له فتحه مدة ثلاثة اشهر ولا استحال عليه فتحه لولا تشبث المحاصرين بحفظ وصية السبت لانهم كانوا يرون انه يجوز لهم ان يدافعوا عن انفسهم يوم السبت ولكن لا يجوز لهم ان يوقفوا الاعداء عن اعمالهم فاخذ الرومانيون في ايام السبوت يردمون الوهاد ويحكمون في محلها ادوات حربهم ولا مقاوم لهم واتصلوا اخيراً الى ان قوضوا برجاً وانفتح لهم منفذ في الاسوار فوثبوا على اعدائهم واوقعوا فيهم وابسلوا بحد السيف اثني عشر الفاً منهم وكان الكهنة يقدمون الذبائح في الهيكل فلم يبالوا بما كان من الصراخ وقعقعة السلاح ولم يبرحوا مواقفهم حتى اختلط دم بعضهم بدم ذبائحهم

فدخل بمبايوس الهيكل حتى قدس الاقداس فاسخط ذلك اليهود وهيجهم على مقت الرومانيين ولم يمس بمبايوس خزينة الهيكل لعلمه ان اكثر الاموال فيها ودائع لبعض الناس جيء بها الى الهيكل لتكون في مأمن وقال شيشرون الخطيب (في خطبته محاماة لفلاك) ان بمبايوس لم يصنع هذا اجلالاً لدين اليهود المخالف لعقائد الرومانيين بل ليظهر نزاهته وترفعه وليقطع مجال القول عليه وقد فارق بمبايوس سعده بعد دخوله الهيكل فلم يكن له انتصار بعد انتصاره على اليهود وقد نقض حينئذٍ اسوار اورشليم واسر ارسطوبولس وابنيه اسكندر وانتيكون وابنته

واخذهم الى رومة واقام هركان على الملك وسكاوروس على باقي سورية والحق مدناً كثيرة من مملكة اليهود بمملكة سورية وكان ذلك لسنة ٦٣ ق م (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٤ فصل ٢ الى فصل ٨ وفي حربهم مع الرومانيين ك ١ فصل ٤ و ٥)

عد ٤٦٤

في ما كان في ايام هركان الثاني

لم يستقر هركان في منصة الملك الا وزعزعها اسكندر بن ارسطوبولس لانه فر من طريقه الى رومة وعاد الى اليهودية وحشد جيشاً سنة ٥٧ ق م ليثل عرشه ولما كان هركان ضعيفاً لا يقوى على محاربة ابن اخيه لجأ الى الرومانيين فاستظهر كابينيوس قائد جيشهم على اسكندر واتى الى اورشليم واقر هركان في رياسة الكهنوت وجعل حكومة اليهود جمهورية واقام اعيان الشعب على تدبير شؤون بلادهم التي قسمها الى خمس ولايات وتتبع آثار اسكندر وضايقه حتى استسلم اليه ولكن لم تستتب الراحة الا قليلاً لان ارسطوبولس فرّ من سجنه في رومة وعاد الى اليهودية مع ابنه انتيكون وانضم اليه جم غفير فارسل كابينيوس جنوده اليه وصرف ارسطوبولس كل من رأى ان لا نفع له منهم واستبقى معه ثمانية آلاف من رجال البأس المحنكين بالحروب والتحمت الحرب فابدى ارسطوبولس ورجاله آيات البسالة والشهامة في ذلك اليوم الى ان دارت اخيرا عليه الدوائر فقتل من رجاله خمسة الاف وفر الفان فاستعصى على قمة جبل وخرق ارسطوبولس صفوف الاعداء بمن بقي معه وبلغ عند المساء الى ماكرون فوجدها قد دمرت في الاحداث السالفة وهمّ ان يرمم فيها شيئاً ولكن باغته الرومانيون فاقام يدافع عن نفسه يومين بشجاعة ولا شجاعة الاسود الى ان انتصر الجيش الكثيف عليه وعلى رجاله القليلين فقبضوا عليه وارسلوه الى كابينيوس ثم الى رومة مع ابنه انتيكون

ورد رجال الندوة اولاده لان كابينيوس كتب اليهم انه وعد امهم ان يستردهم مكافأة لها على تسليمها بعض الحصون اليهم وكان ذلك لسنة ٥٤ ق م (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك١٤ ف١٠ و١١ في حربهم ك١ ف٦)

على ان اسكندر بن ارسطوبولس لم يلزم السكينة بعد عوده الى اليهودية بل انتهز فرصة غياب كابينيوس الى مصر وحشد جماً غفيراً من اليهود وقتل كل من وقع بيده من الرومانيين فعاد كابينيوس من مصر واستمال بعض اليهود اليه ولكن بقي مع اسكندر ثلاثون الفاً عزموا ان يناؤوا الرومانيين فخذلوا وسقط منهم عشرة آلاف في القتال وفر اسكندر بمن سلم من جنوده وجاء كابينيوس الى اورشليم عملاً برأي انتيباس يدبر امور اليهود

وكان كابينيوس استدعته الندوة الى رومة ليحاكم على مخالفات لاوامرها واقامت كراسوس على سورية مكانه واتى الى اورشليم ولم يطاوعه طمعه الاشعبي ان يمسك نفسه عن اموال الهيكل كما صنع بمبايوس قبلاً بل ابتز كل ما وجد فيه من نقود وآنية ذهبية بحجة ان يقوم بنفقات الحرب على البرتيين ثم سار لحرب هولاء فانتصروا عليه وعاد الى شمالي سورية فلم يقووا ان يدخلوها ثم اتى اليهودية وحارب من حازبوا ارسطوبولس وابنه اسكندر واخذ منهم ثلاثين الف اسير وكان ذلك لسنة ٥٣ ق م

ولما استحوذ قيصر على رومة سنة ٤٩ وفر بمبايوس واكثر رجال الندوة من وجهه اطلق ارسطوبولس من السجن وارسله الى سورية للمحافظة على هذا الاقليم فلم يهنأ ارسطوبولس بامانيه بحماية قيصر لان محازبي بمبايوس اماتوه مسموماً فاخذ اصحاب قيصر جثته وحنطوها ثم نقلت الى مدفن الملوك واما ابنه اسكندر فقتله شيبون في انطاكية بامر بمبايوس ولما غزا قيصر مصر سنة ٤٧ ملاحقاً بمبايوس انجده انتيباس من قبل هركان بجيش اتخذه من العرب واليهود ومن

رجال بتولمايس الذي كان يسكن في اعمال لبنان وفاز انتيباس (ابو هيرودوس) بمنزلة كبرى امام قيصر وعظم اسمه واتى قيصر بعد ذلك الى سورية فطفق انتيكون بن ارسطوبولس يتزلف اليه ويتوسل ليقيمه على عرش ابيه ويشكو من هركان وانتيباس وسعى بهما فلم يسمع قيصر له لما اصطنعاه اليه من الخدمات في حرب المصريين بل امر ان يستمر هركان على رياسة الكهنة وعلى ولايته على اليهود هو وذريته من بعده وجعل انتيباس مديراً لليهودية تحت امرة هركان فنسخ بذلك ماكان كاينيوس امر به من ان الولاية على اليهود تكون لاعيانهم واقام انتيباس بكره فازئيل والياً في اورشليم وهيرودس ابنه الاخر والياً على الجليل سنة ٤٤ ق م ورخص قيصر لهركان ان يعيد بناء اسوار اورشليم التي كان نقضها بمبايوس فعني بذلك انتيباس دون ابطاء وعادت اورشليم حصنة كما كانت وفي سنة ٤٤ نفسها في ١٥ اذار كان مقتل قيصر في الندوة غيلة بمؤامرة اخص منشئيها كاسيوس وبروتوس الذي غمره قيصر بنعمه

وفي سنة ٤٠ ق م دخل ملك البرتيين الى سورية وارسل فريقاً من جنوده الى اليهودية آمراً ان يقام على اريكة الملك انتيكون بن ارسطوبولس وحشد انتيكون جيشاً انجدة عسكر البرتيين وطلب قائد البرتيين هركان وفازئيل ان يأتيا اليه للمفاوضة في وفاق فلبيا دعوته فقبض عليهما وكبلهما بالحديد اما هيرودس ففر من اورشليم فدخلت جنود البرتيين المدينة فانتهبوها وقراها واجلسوا انتيكون على سرير الملك وسلموا اليه هركان وفازئيل مغلالين ولما علم فازئيل انه لا مفر له من الموت انتحر مكسراً رأسه على جدار السجن واما هركان فاستبقوا عليه حياً ولكن صلم انتيكون اذنيه كيلا يبقى اهلاً لرياسة الكهنوت اذ امر في سفر الاحبار (ص ٢١ ع ١٦) ان يكون رئيس الاحبار خالياً من كل عيب وتعويه ثم اسلمه الى البرتيين ليأخذوه الى بلادهم حيث لا تيسر له ان يتداخل في امور اليهودية وبقي هناك سجيناً في

سلوقية باقليم بابل الى ان رقي فرات عرش الملك فحله من اغلاله واذن له ان يتردد الى اليهود الذين كانوا كثيرين هناك فاجله اليهود كملك ورئيس احبار وامدوه بما يسهل له ان يعيش بحسب مقامه ثم استدعاه هيرودس الى اورشليم لكنه قتله بعد ذلك (يوسيفوس في حروب اليهود مع الرومانيين ك ١ فصل ٦و٧و٨ وفي تاريخ اليهود ك١٤ فصل ١٠ الى ١٧)

عد ٤٦٥

في انتيكون وهيرودس

ان هيرودس فرّ الى مصر عندما استحوذ البرتيون على اورشليم ثم سار الى رومة واستمال مرقس انطونيوس احد الرجال الثلاثة روساء الحكومة الرومانية فافضل عليه باكثر مما كان في حسبانه فجل ما كان يلتمسه ان يعطى تاج الملك لارسطوبولس بن اسكندر بن ارسطوبولس اخي هركان ولما كان هيرودس قد خطب مريمنا اخت ارسطوبولس هذا كان يؤمل ان يقام على تدبير الملك تحت امرته كما كان انتيباس ابوه تحت امرة هركان فانطونيوس اقام هيرودس نفسه ملكا على خلاف عادة الرومانيين ان لا ينتهكوا حرمة السلائل الملكية اذا تقووا عليها بل يختاروا من شأوا منها ملكا يجعلونه تحت حمايتهم فاقرت الندوة هيرودس ملكاً على اليهودية سنة ٣٩ ق م فلم يقم هيرودس بعد ذلك في رومة الا سبعة ايام واسرع الى اليهودية فوصلها بعد ثلاثة اشهر

على ان استواء هيرودس على عرش ملك اليهود لم يكن بالامر اليسير ولم يكن انتيكون ليتخلى له عنه وقد كافه الوصول اليه اتعاباً واموالاً فاشتد النزاع بينهما سنتين فهيرودس صرف فصل الشتاء سنة ٣٨ حاشداً الرجال معداً العدد ثم زحف الى اورشليم وحاصرها بجيش كثيف وكان انطونيوس امر سوسيوس والي سورية ان يبذل قصارى جهده في خلع انتيكون وتأييد ملك هيرودس في اليهودية

وبعد اقامة الجنود الحصار مضى هيرودس الى السامرة فتزوج مريمنا ابنة اسكندر المذكور وكان هيرودس يؤمل ان تزوجه بهذه الاميرة التي هي من نسل ملوك اليهود يستميل الشعب اليه ويسر له نيل بغيته وبعد عوده ضم جيش سوسيوس والي سورية وجيشه حتى صار الجيشان لا اقل من ستين الفاً وشدوا الحصار على اورشليم فاحسن انتيكون وقومه الدفاع مدة ستة اشهر الى ان دخل الاعداء المدينة من كل جهة واستحوذوا عليها سنة ٣٧ وملاؤا ازقتها من القتلى وانتهبوا ما فيها ونقضوا بعض ابنيتها

اما انتيكون فلما يئس من الدفاع اتى الى سوسيوس وانطرح على قدميه متذللاً فغله وارسله الى انطونيوس الذي كان حينئذٍ في انطاكية واحب انطونيوس ان يبقيه حياً لكن هيرودس طلب اليه ان يميته اذ لا راحة له في ملكه ولا ثبات له ما دام احد من سلالة الملوك اليهود حياً وارشى اعوان انطونيوس بمبلغ جسيم من المال فحكم انتيكون وحكم عليه بالقتل ونفذ فيه القضاء الجائر سنة ٣٧ ق م (يوسيفوس في حروب اليهود ك ١ فصل ١٠ الى ١٣ وفي تاريخ اليهود ك ١٤ ف ٢٥ الى ٢٨ وبلوطرك في ترجمة انطونيوس) فانقضى بموت انتيكون ملك المكابيين وولايتهم بعد ان دامت مئة وتسعاً وعشرين سنة بدؤها ولاية يهوذا المكابي ونهايتها بمقتل انتيكون سنة ٣٧ ق م وانتقل الملك من يهوذا الى هيرودس بن انتيباس الادومي الاجنبي عن اليهود فكان ذلك دليلاً على دنو مجيء المخلص بحسب نبوة يعقوب ابي الاسباط حيث قال في يهوذا « لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع من صلبه حتى يأتي شيلو (اي المخلص) وتطيعه الشعوب » فقد تحققت هذه النبوة التي كانت قبل مجيء المخلص بنحو من تسعة عشر قرناً اذ لم يخلُ سبط يهوذا من ان يكون فيه ملك او والٍ او حاكم بحسب الشريعة من ذلك العهد الى ان تبوأ هيرودس الادومي عرش اليهودية

مقالة
في تاريخ سورية في ايام الرومانيين

فصل
في اخبار سورية واليهودية مذ استحوذ عليهما الرومانيون الى مولد المخلص

عد ٤٦٦

لمعة في تاريخ الرومانيين الى ملك اغوسطوس قيصر

الرومانيون قبيلة يافثية ظعنت من اسيا الى اوروبا واقامت في وسط ايطاليا ويبتدىء تاريخهم من بناء مدينتهم رومة الذي كان في منتصف القرن الثامن قبل المسيح ولم يجمع المؤرخون على سنة بنائها بل اختلفوا فيها بين ان تكون سنة ٧٥٤ او سنة ٧٥٣ الى سنة ٧٤٩ ق م وقالوا ان رمولوس قتل اخاه راموس لانه سخر منه لبنائها حقيرة واستبد في بناء المدينة والملك فيها ثم خلفه ستة ملوك اخرون في مدة مئتين واربع واربعين سنة لا سبيل الى تحقيق ما يروى عنهم ولكن لا نكير انه عظم شأن رومة في مدة ملكهم وتوفرت ثروتها وامتدت تخوم سلطتها الى كثير من الاعمال المجاورة لها ثم قلبوا حكومتها الملكية سنة ٥٠٩ او سنة ٥١٠ ق م واستبدلوها بحكومة جمهورية يلقون زمامها كل سنة الى حاكمين يسمونهما قنصلين ينتخبهما الشرفاء فتقهقر نجاح الرومانيين وكثرت المنازعات بين شرفائهم المسمين بطارقة وبين عامة شعبهم واستمروا على حالة الضعف هذه مدة فسطت عليهم بعض

العشائر المجاورة لهم وكادت تستحوذ عليهم وتقرض دولتهم لو لم يتداركوا امرهم باقامة ندوة سنة ٤٩٣ مؤلفة من الشرفاء والعامة ثم توفر تبديل هيئة حكومتهم واسماء حكامهم في هذه المدة وغزا رومة الغاليون (عشيرة من سكان افرنسة القدماء) واستحوذوا عليها واوشكوا ان يدمروها الى ما شاء الله سنة ٣٨٩ قم على ان منليوس قنصلها وكاميل قائد جيشها انجاها من التهلكة وطردا الغاليين منها وكانت بين الرومانيين والسمنيين (سكان سمنيوم في ايطاليا الشرقية) حروب عديدة ابتدأت سنة ٣٤٣ وتواترت الى سنة ٢٧٢ وعمت ايطاليا كلها وكانت عاقبتها ان السمنيين ذلوا وخضعوا للرومانيين في السنة المذكورة ثم دان حلفاؤهم لهم على التعاقب الى سنة ٢٦٤ قم فاصبحت ايطاليا كلها في قبضة الرومانيين واستفحل امرهم وعدوا من اعظم دول العالم وامتاز رجالهم بالفضائل الجندية والمدنية

وكانت للرومانيين ايضاً حروب مع القرطاجنيين تسمى الحروب البونية لان القرطاجنيين يسمون بونيين اي فونيقيين لانهم جالية من فونيقي كما مر في المقالة في الفونيقيين واولى هذه الحروب استمرت من سنة ٢٦٤ الى سنة ٢٤٢ قم واخذ الرومانيون حينئذٍ صقلية الغربية من البونيين ثم استحوذوا دون حرب على سردينيا واخذوا قسماً من افرنسة في ما وراء الالب ثم انتشبت الحرب الثانية بين الفريقين واستمرت من سنة ٢١٩ الى سنة ٢٠٢ وكان قائد البونيين انيبال الشهير فانزل بالرومانيين اشد الوبال وضايقهم حتى ضاق ذرعهم عن الدفاع واشرفوا على الهلاك الى ان حسنت عاقبة هذه الحرب فملكوا صقلية الشرقية وافتتحوا اسبانيا. ثم استؤنفت الحرب بينهم واستمرت من سنة ٢٠١ الى سنة ١٤٦ فقهر الرومانيون البونيين واخذوا قرطاجنة ووطدوا ولايتهم في اسبانيا وفي ما وراء الالب في افرنسة. ثم افتتحوا مكدونية وقرضوا دولتها وجعلوها اقليماً رومانياً سنة ١٤٨ وكذلك فعلوا

بمملكة اليونان سنة ١٤٦ ق م وطردوا السلوقيين من اسيا الصغري الى ما وراء جبل طوروس من سنة ١٤٦ الى سنة ١٣٣ . ومنذ سنة ١٢٥ اصبح قسم من افرنسة اقليماً رومانياً ثم انبسطت تخومه من طولوز الى نيس واخذوا نوميديا من سنة ١١٢ الى سنة ١٠١ فاصبحت الدولة الرومانية حينئذٍ اعظم دولة في العالم ولكن داخل رجالها وجنودها الترف والعكوف على الملاذ والخلاف للنظام وتوفرت المنازعات بين العامة والبطارقة ودامت سنين عديدة وان تخللها حروب بينهم وبين التوتيين (عشائر في المانيا) من سنة ١٣٣ الى سنة ١٠١ ق م وحروبهم مع متريدات ملك البرتيين من سنة ٨٨ الى سنة ٦٤ . ثم استؤنف القتال بينهم وكان سيلاً رئيس حزب الاشراف وماريوس رئيس حزب العامة فانتصر سيلاً ومحازبوه واستتبَّ له الامر رهبة ولكن لدن وفاته سنة ٧٨ استؤنف النزاع بحروب دموية او مؤامرات خفية منها مؤامرة كاتلينا على شيشرون الخطيب لانه زاحمه في ان يكون قنصلاً ثم مؤامرته على الحكومة وخراب رومة فكشف شيشرون امرها وابان شرها وضرها في الندوة بفصاحته الشهيرة حتى ارغم كاتلينا ان يفرّ من رومة ويحشد عسكرًا من محازبيه فقتل في احدى الوقائع سنة ٦٣ ق م وكان بمبايوس قد اخذ سورية سنة ٦٤ كما مر في عد ٤٥٨

وعهد الرومانيون بتدبير شؤونهم الى ثلاثة رجال وهم بمبايوس ويوليوس قيصر وكراسوس سنة ٦٠ واستمرت الحال كذلك الى سنة ٥٣ التي فيها ادركت الوفاة كراسوس واستمر بمبايوس ويوليوس قيصر فوقعت النفرة بينهما واشتد النزاع وكثرت وقائع الحرب فاستظهر قيصر على بمبايوس وفر اولاً الى بلاد اليونان ثم الى مصر فتبعه قيصر الى ان قتل بمبايوس بامر بتلمايس الثاني عشر وجئي برأسه الى قيصر فبكاه واقتص من قاتليه وثلّ عرش بتلمايس ورقّى قلوبطرة الى منصة الملك سنة ٤٨ ق م ثم مضى قيصر من مصر فانتصر على فرناس ملك بنطوس الذي

كان عصاه وحطّه عن عرش ملكه سنة ٤٧ ثم عاد الى افريقية فاباد عسكر مخالفيه من الرومانيين سنة ٤٦ ثم زحف الى اسبانيا فانتصر على ابن بمبايوس وقتله واكمل ابادة محازبيه وعاد الى رومة سنة ٤٥ وعفا عن اعدائه وجمل رومة باقامة ابنية كثيرة وحوّر شرائعها واصلح الحساب الفلكي المنسوب اليه واضمر الجمهوريون حقدهم عليه وحنقهم منه واشاعوا انه يريد ان يسمي نفسه ملكاً فتؤامروا عليه وكان روساء هذه العصابة عليه كاسيوس وبروتوس الذي كان غمره بالآته فقتلوه في الندوة نفسها في ١٥ اذار سنة ٤٤ ق م

على ان هذه العصابة لم يتهيأ لها ان تضبط زمام السلطة لان الشعب اقام ثلاثة حكام اخرين وهم اكتاف الذي سمي بعدًا اغوسطوس قيصر ومرقس انطونيوس ولابيد وكان اكتاف قد زوّج اخته اكتافية بانطونيوس فاتفقا اولاً وحاربا اعداءهما وانتصرا على كاسيوس وبروتوس سنة ٤٢ وبددا شملهما وابعدا لابيد زميلهما عن الحكومة واستقلا بها ثم وقع التحاسد والغيرة بينهما واقتسما المملكة واخذ اكتاف المغرب واخذ مرقس انطونيوس المشرق وكثرت المنازعات بينهما وهام انطونيوس بقلوبطرة ملكة مصر فترك امرأته اكتافية اخت اكتاف زميله واقترن بها فشق صنيعه على اكتاف واثار عليه حرباً بحرية عواناً تجاه اكسيوم في طرف بلاد اليونان الغربي دارت الدوائر فيها على انطونيوس وفر بمعشوقته قلوبطرة الى اسكندرية وتبعه اكتاف ورأى انطونيوس ان لا مناص له من المنية فانتحر سنة ٣١ ق م اما قلوبطرة فافرغت جعبة دهائها وتدللها وتبهرجها لتقنص قلب اكتاف كما استغوت واستهوت انطونيوس وقيصر فصادفت جلمود صخر يرد اسهمها عليها فيئست واماتت نفسها قالوا جيء اليها بحية ضمن سلة تين وقدمت ذراعها اليها فلدغتها وقضت وقيل دسّت السم في جسمها بابرة والامثل ان يقال انها انتحرت ولا يعلم باية وسيلة فاخذ اكتاف اسكندرية وجعل مصر اقليماً رومانياً وعاد الى

رومة سنة ٢٩ ظافراً فسماه رجال الندوة امير الشورى وامبراطوراً اي عاهلاً واغوسطوس اي سعيداً وابتدأت به الحكومة الملكية سنة ٢٧ ق م ويسمى غايوس يوليوس قيصر اكتاف اغوسطوس وهو ابن اخت يوليوس قيصر المار ذكره والذي رباه واتخذه ابناً له واليك صورته عن تمثال في متحف اللوفر في باريس

عدد ٤٦٧

في الولاة الرومانيين على سورية الى مولد المخلص

قد مرّ ان الرومانيين استحوذوا على سورية سنة ٦٤ ق م واليك الان اسماء الولاة الذين اقاموهم عليها الى مولد المخلص ملخصاً عن احدى المقالات

المعلقة على معجم الكتاب لكامت في طبعة الاب مين عن الكتاب الموسوم بصناعة تحقيق التواريخ

ان بمبايوس بعد ان استولى على سورية ودانت له اليهودية اخذ الملك ارسطوبولس الثاني الى رومة واقام في رياسة الكهنوت هركان وجعل مرقس اميليوس سكاوروس والياً على سورية سنة ٦٣ ق م واقام في دمشق يولي ويعزل الحكام في سورية كما يعنّ له وروى يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٤ فصل ٢ و ٣) انه ولّى ارسطوبولس على اليهودية وقد عثر رنان على صفيحة من رخام في صور اقيمت تكرمة لمرقس اميليوس سكاوروس هذا يعظمونه فيها بالقاب غير مألوفة تملقاً له وقال رنان ان هذا الاثر كتب سنة ٦٠ ق م وعن فرهنر انه كتب سنه ٥٩ ق م وروى استرابون (ك ١٦ فصل ٢) ان الصوريين شروا من الرومانيين في بدء ملكهم في سورية حق بقائهم على تدبير شؤونهم بانفسهم فباعهم سكاوروس اياه وقد اقام في سورية اربع سنين ثم خلفه لوشيوس فيلبوس سنة ٥٩ ولم يقم على ولاية سورية الا سنة واحدة وخلفه سنة ٥٨ كورنيليوس مرسيلينوس على انه دعي في السنة التالية الى رومة واقيم مكانه اولوس كابينيوس سنة ٥٧ ولم تكن ولايته الا ثلاث سنين وكانت له حروب مع اليهود كما مرّ في عد ٤٦٣ وخلفه سنة ٩٤ مرقس كراسوس وهو الذي انتهب الهيكل كما مرّ في العدد المذكور فقتله البرتيون سنة ٥٣ واقيم مكانه غايس لونجينوس ولم تدم ولايته الا سنتين واستبدل بمرقس بيبولس فبلغ سورية في بدء الخريف سنة ٥١ فاقام سنة ونصب مكانه ميتالّوس سيبيون ولم يبقَ في الولاية الا الى شهر اب سنة ٤٩ وانحاز حينئذٍ اهل سورية الى محازبة يوليوس قيصر فارسل الى سورية احد ذوي قرباه المسمى سيستوس قيصر سنة ٤٧ على ان شيشيليوس باسوس احد محازبي بمبايوس قتلة واستتبت له ولاية سورية سنة ٤٦ فنصب يوليوس قيصر غايوس باتس والياً على

سورية سنة ٤٥ وحارب باسوس واخذ الولاية منه سنة ٤٤ ثم خلف باتس استاسيوس مرقس فتخلى عن الولاية لغايوس كاسيوس احد روساء المؤامرة على يوليوس قيصر وفي سنة ٤٣ ارسل مرقس انطونيوس بوبليوس دي لابلاّ والياً الى سورية فقبله اهل اللاذقية في شهر ايار على ان غايوس كاسيوس اخذ اللاذقية بعيد ذلك وقتل دي لابلاّ وفي سنة ٤٢ استحوذ مرقس انطونيوس على اسيا كلها وسورية بعد وقعة في مدينة فيلبة في مكدونية وظفره ببروتس وكاسيوس قاتلي يوليوس قيصر وولى على سورية سنة ٤١ بوبليوس سكسا احد قادته فاستظهر عليه البرتيون سنة ٤٠ واستحوذوا على سورية واتصلوا الى اورشليم واقاموا انتيكون بن ارسطوبولس والياً على اليهودية سنة ٤٠ لكن بوبليوس باسوس طرد البرتيين من سورية وولي هذه البلاد سنة ٣٩ وفي سنة ٣٨ ولي عليها غايوس سوسيوس واستمر على هذه الولاية الى سنة ٣٤ حين دعي الى رومة واقيم مكانه لوشيوس بلانكس وخلفه لوشيوس بيلبوس ولا يلم كم استمر عليها والمعلوم انه ادركته الوفاة سنة ٣٢ او بداية ٣١ وفي هذه السنة ولي سورية كونيتوس ديديوس وكان من محازبي اكتاف اغوسطوس قبل موت مرقس انطونيوس وخلفه سنة ٣٠ مرقس مسّالا قبل اخذ اغوسطوس اسكندرية وخلفه في سنة ٢٩ مرقس شيشرون بن شيشرون الخطيب واستمر ثلث سنين وخلفه في سنة ٢٦ فارون وفي سنة ٢٣ سُمي اغريبا والياً على سورية ومدبراً لسائر الاقاليم الشرقية لكن اغريبا بقي في مَتلان وارسل الى سورية من ينوب عنه فدبر شؤون سورية سبع سنين وفي سنة ١٦ اتى اغريبا الى سورية واستمر فيها الى سنة ١٢ ثم دُعي الى رومة وخلفه في سورية ستيوس ساتورنينوس وطيطس فولنيوس وفي سنة ٦ جعلهما اغوسطوس قاضيين في دعوى هيرودس على ابنيه اسكندر وارسطوبولس وفي سنة ٥ ولي سورية اكونتيليوس فاروس وحكم على انتيباتر ابن هيرودس بالموت بدعوى ابيه وخلفه سنة ٥ بعد الميلاد

بمقتضى التاريخ العامي * ساتورنينوس ولم يل سورية الا سنة وخلفه فيها سنة ٦ بعد الميلاد سوليسيوس قورينوس بسورية وهو الذي جاء ذكره في بشارة لوقا (فصل ٢ عد ٢) بقوله «وهذه كانت الكتابة الاولى في ولاية قورينوس بسورية» ان الذي نص عليه المؤرخون القدماء انما هو ان قورينوس ولي سورية في السنة السادسة والثلاثين لاغوسطوس وهي توافق سنة ٦ بعد الميلاد ولوقا يقول ان هذه الكتابة حملت يوسف ومريم ان ياتيا من الناصرة الى بيت لحم ليكتب اسمه هناك لانه كان من بيت داود وقبيلته فولدت المخلص فتذرع الجاحدون بهذه الآية لتخطئة لوقا البشير بما كتبه فيها وذهب الآباء والعلماء الكاثوليكيون مذاهب عديدة في توفيق قول البشير على اقوال المؤرخين فمن قائل ان تحرير الآية في اليونانية « وقد كانت هذه الكتابة قبل (لا الاولى) ولاية قورينوس بسورية » ومن قائل ان قورينوس لم يكن حينئذٍ والياً في سورية بل كان مفوضاً من قبل اغوسطوس قيصر في اجراء هذا الاكتتاب ويقرب من هذا قول من قالوا ان كلمة ولاية في اليونانية بهذه الآية ليس مدلولها الولاية بل هي بمعنى قصادة او سفارة او تفويض الى غير ذلك على ان الاكتشافات الحديثة قد جلت غياهب اللبس عن وجه الحقيقة حتى لم يعد محل للارتياب فيها فقد كشف في البندقية سنة ١٨٨٠ عن صفيحة كانت على مدفن رجل اسمه كونيتوس بالاتينوس وامرأته اسمها كيا وكان هذا المدفن في بيروت ولا يعلم متى نقلت منها الى البندقية هذه الصفيحة التي تبين ان بالاتينوس اتم بامر قورينوس احصاء اهل مدينة ابامية (قلعة المضيق في جوار حماه) واوضح

* وهو التاريخ الذي بدؤه سنة مولد المخلص على ان هذا التاريخ يبتدئ حقيقة من السنة الرابعة بعد المولد وجعل بعضهم بدأه من السنة الخامسة او السادسة بعده وذلك ان تاريخ المولد لم يبدا في استعماله الا في القرن السادس و بدئ به من السنة الرابعة بعدة خطاء ولما كشف عن الخطاء فضلوا اتباع الخطاء المطروق على اتباع الصواب المهجور فكان كذلك الى اليوم

واهم مما ورد في هذه الصفيحة ما جاء في صفيحة وجدت سنة ١٧٦٤ في تيفولي في ضواحي رومة وهي الان في متحف لاتران واليك ملخص ما كتب عليها « سليسوس قورينوس بن بليوس قد ولي وهو في المقام القنصلي اكريت وسيرانيك وكان والياً من قبل اغوسطوس في اعمال سورية وفونيقي وحارب عشيرة الهومانين (في جبل طوروس) وقتل ملكهم انيتاس واخضع هذه العشيرة لسلطة اغوسطوس والشعب الروماني وقدم رجال الندوة للالهة الغير المائتين ضحيتين شكراً لما اولوه اياه من الظفر وامر ان يوشح بحلل الانتصار وولي على اقليم اسيا وهو في مقام نائب قنصل وولي المرة الثانية على اقليم سورية وفونيقي من قبل اغوسطوس » والمتحصل من ذلك ان قورينوس كان والياً المدة الاولى في سورية في سنة مولد المخلص كما قال لوقا البشير ثم عاد الى هذه الولاية مرة اخرى في السنة السادسة بعده كما ذكره المؤرخون وقد ذكروا ايضاً ان احصاء النفوس والاملاك حصل في تلك المدات ثلث مرات

﴿ عد ٤٦٨ ﴾

﴿ قتل هيرودس ارسطوبولس وشكواه الى مرقس انطونيوس ﴾

مرَّ في عد ٤٦٤ ان الندوة الرومانية اقامت بامداد مرقس انطونيوس هيرودس ملكاً على اليهودية سنة ٣٩ ق م والاكثرون على ان ذلك كان سنة ٣٧ وذكرنا هناك الحرب التي كانت بين هيرودس وانتيكون بن ارسطوبولس من اسرة المكابيين فنستقري الان اخبار الرومانيين وهيرودس في مدة ملكه . ان هيرودس كان يخشى ان يقيم في رياسة الكهنوت على اليهود رجلاً من سلالة ملوكهم لئلا ينازعه الملك فاستأتى من بابل رجلاً اسمه حنانيل فاقامه فيها وشق على اسكندرة حماة هيرودس ام مريمنا امرأته ان يبعد ابنها عن الرياسة فلجأت الى قلوبطرة معشوقة مرقس انطونيوس لتستعطفه ليأمر بان يولي ابنها ارسطوبولس رياسة

الكهنوت فامر مرقس انطونيوس هيرودس بذلك فاستآء هيرودس لكنه اذعن للامر تفادياً من اسخاط انطونيوس واسكندرة حماته ومريمنا زوجه وبقي واجساً من هذا الامر وحظر على اسكندرة ان تخرج من قصرها او تكاتب احداً فضاق ذرعها عن تحمل هذا التضييق عليها وكتبت الى قلوبطرة تستعطفها فاجابتها الملكة ان تفرغ جهدها لتفرّ بابنها الى مصر فحاولت الفرار ولكن كُشف امرها لهيرودس وخشي عاقبة فرارها فتظاهر بالمجاملة لها واضمر ان يهلك ارسطوبولس الى ان اهلكه غريقاً في الماء بواسطة بعض محازبيه فقد دعت اسكندرة هيرودس الى مأدبة في اريحا فلبّى دعوتها واستصحب بعض شبان اغروا ارسطوبولس ان يستحم معهم في الاردن لشدة الحر وطاوعهم فغرقوه واحتجوا انهم لم يتعمدوا هذه الجريمة الفظيعة فعز العزآء على امه واخته وسكان اورشليم وكانت امه تلم مكيدة هيرودس على اهلاك ابنها ولا تجسر ان تبوح بها وعظم هيرودس الاحتفاء بدفنه واكثر من الاسف عليه تبرئة لساحته من اهلاكه

وكتبت اسكندرة الى قلوبطرة تبث اليها غدر هيرودس بابنها فافرغت قلوبطرة قصارى جدها لتبعث انطونيوس على مواخذة هيرودس بهذه الجريمة الفظيعة وكان انطونيوس في قيليقية فاتى اللاذقية واستدعى هيرودس اليه فاتى مرتعداً واقام على تدبير الملكة يوسف صهره زوج اخته واسرّ اليه ان يقتل مريمنا اذا قتله انطونيوس اذ لا يطيق ان تكون لغيره بعده واشاع اعدآء هيرودس ان انطونيوس قتله فحضت اسكندرة يوسف ان يخرج معها ومع مريمنا ليضعوا انفسهم تحت حماية قائد الجيش الروماني ولكن ما لبث ان وردت رسالة من هيرودس يقول بها انه بلغ سالماً الى انطونيوس وطيب نفسه بالهدايا التي اهداها اليه وانه لا خوف من دهاء قلوبطرة فرغبت اسكندرة ومريمنا عن الالتجاء الى الرومانيين

ولدى عود هيرودس بثت اليه اخته وامه ما كان من حماته وامرأته وقالتا ان يوسف كان يتعاطى مع مريمنا بدالة مفرطة فسألها هيرودس عن هذا فانكرته واقسمت على ان قلبها لم يمل الى غيره فصدقها وهش لها وكان يوسف باح اليها بسر هيرودس ان يقتلها ان قتله انطونيوس فقرطت منها كلمة عتاب تدل على ذلك ففر هيرودس منها واستشاط غيظاً قائلاً انه يستحيل ان يبيحها يوسف هذا السر ان لم تكن سلمت اليه نفسها وارسل فقتل يوسف والقى اسكندرة في السجن بما انها علة كل هذه الشرور (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك ١٥ فصل ٢ الى ٥) وكان مقتل ارسطوبولس وهذه الاحداث نحو سنة ٣٣ ق م

﴿ عد ٤٦٩ ﴾

﴿ محاربة هيرودس للعرب وتزلفه الى اغسطوس ﴾

بينما كانت هذه الاحداث في اليهودية اذ انتشبت الحرب بين اكتاف اغوسطوس ومرقس انطونيوس لتقضي لمن يكون ملك الرومانيين منهما وقد مر ان انطونيوس هو الذي سمى هيرودس ملكاً وعفا عنه بعد موت ارسطوبولس فالب هيرودس جيشاً كثيفاً واعد عدداً وفيرة ليمضي لنجدة انطونيوس وعلم انطونيوس بذلك فمنعه عن الاتيان لنجدته ورغب اليه ان يزحف بجيشه وعدده الى العرب فدخل العربية والتقاه العرب وانتشب القتال فاستظهر اليهود ولكن لم العرب شعث جيشهم وجمعوا جيشاً آخر واتوا فحلوا في قانا (في عبر الاردن لا قانا الجليل) واستظهر واعلى هيرودس لنجدة عسكر قلوبطرة لهم لشدة بغضها لهيرودس لكنه استأنف القتال في عبر الاردن فانتصر عليهم بعد قتال شديد وقتل منهم خمسة الاف وحاصر بعضهم في حصن مانعاً عنهم الزاد والماء فاكرهوا ان يستسلموا الى هيرودس بحيث يتركهم يمضون في سبيلهم فلم يصغ الى رسلهم ولم يقبل الفضة التي قدموها له فحملهم الضيق على الخروج لقتاله فقتل سبعة الاف منهم ودان له العرب واتخذوه

محامياً لهم

قد عاد هيرودس من بلاد العرب معتزاً متفاخراً فبلغته اخبار انتصار اغوسطوس على انطونيوس في وقيعة اكسيوم فذهبت بعزه وسروره وخشي واصحابه ان صداقته مع انطونيوس ستبعث اغوسطوس على خلعه من منصبه وقتله فاغتم اصدقاؤه وشمت مبغضوه . وكان هركان قد بقي وحده من سلالة ملوك اليهود فعزم هيرودس ان يميته لئلا يوليه اغوسطوس على فلسطين وكانت اسكندرة ابنته حماة هيرودس ضاقت ذرعاً عن تحمل اضطهاد هيروس فحملت اباها هركان ان يكتب الى امير العرب المسمى ملكاً يطلب حمايته وان يمكنه من الذهاب اليه ولم تنفك عن الالحاح عليه الى ان كتب الى الامير ما اقترحت عليه طالباً منه ان يرسل بعض فرسانه ليصحبوه اليه وعهد بابلاغ هذه الرسالة الى رجل اسمه دوزيتاوس من اعداء هيرودس الالداء لانه كان اخا يوسف الذي قتله وكان انطونيوس قتل اخوين اخرين له في صور فانتهز الرجل هذه الفرصة ليسترضي هيرودس عنه فاطلعه على رسالة هركان ورغب اليه هيرودس ان يبلغ الرسالة الى امير العرب ويطلعه على جوابه بعد عوده ففعل دوزيتاوس ما امره به وكتب الامير الى هركان انه يقبله بالترحاب مع كل اليهود محازبيه فاخذ هيرودس هذه الرسالة واستدعى هركان الى ندوة مشورته واطلعه على الرسالة وامر بقتله كذا يقص هيرودس نفسه هذه القصة وقال غيره ان قتل هركان لم يكن بهذه الذريعة التي اخترعها هيرودس تبرئة لنفسه وكان هركان اقام تسع سنين في رياسة الكهنوت ثم خلف اسكندرة في الملك ولم يبق فيه حينئذٍ الا ثلاثة اشهر وانتزعه ارسطوبولس اخوه ثم رده بمبايوس اليه فاقام على منصة الملك اربعين سنة وحطه عنها انتيكون واخذه البرتيون اسيراً ثم خلى ملكهم سبيله فعاد الى اليهودية الى ان قتله هيرودس وقد جاوز الثمانين من عمره

وبعد ان استراح هيرودس من هركان همّ بالانطلاق الى اغسطوس جازعاً من ان يقتص منه لصداقته مع مرقس انطونيوس ومن ان تنتهز اسكندرة الفرصة فتثير الشعب عليه وعهد بتدبير مهام الملك الى فيروراس اخيه والى امه واخته صالومي واوصى اخاه ان يلي الملك اذا حبط مسعاه لدى اغسطوس وجعل مريمنا زوجه وامها اسكندرة في حصن واقام رقباء عليهما وانطلق الى رودس حيث كان اغسطوس فانتزع التاج عن راسه قبل ان يدخل عليه ولم يخاطبه بالتذلل اليه او بايراد اعذار غير صحيحة بل قال انه كان مخلصاً لانطونيوس ويجب ان يبذل قصارى جهده في ان يحفظ الملك له ولو لم يكن متشاغلاً بحربه مع العرب لضم جيشه الى جيش انطونيوس مدافعاً معه وانه ارسل اليه ازودة ومالاً وكان يود لو امكنه ان يعاونه باكثر من ذلك لانه كان متأهباً ان يفدي صديقه المحسن اليه بماله وجهاده بل بحياته ايضاً حتى لايستطيع احد ان يلومه على تركه اياه قبل يوم اكسيوم وقال لما رايت نفسي لم اتمكن من اسعافه بجنودي وكفاحي معه اشرت عليه مشورة ان يقتل فلوبطرة ويأخذ ملكها ويتفق مع جلالتكم ولو عمل بمشورتي لاتقى الفشل لكنه نبذها فكان ذلك وبالاً عليه وحظاً لكم وان جعلكم بغضكم له تقتصون مني فلا اتوقف عن الاقرار بحبي له ولا شيء يصدني عن التصريح بذلك علانية واما اذا اغضضتم النظر عن الماضي وقدرتم حفظ ذمامي للمحسن الي حق قدره فتيسر لي ان ابدل اسم انطونيوس باغسطوس واخلص لكم طاعتي واجعل نفسي اهلاً لخدمتكم ولمدحكم لي عليها فاعجب اغسطوس كلام هيرودس الدال على عزة نفسه وعلى محاشاته النذالة والتذلل فامر ان ياتوا اليه بتاجه وجامله واكرم مثواه واستصحبه معه الى مصر

ولما مر اغسطوس بسورية بالغ هيرودس في الاحتفاء به في عكا ودفع له

مبلغاً جسيماً من المال واكرم جنوده واهدى اليه والى حاشيته هدايا نفيسة ولم يبق على شيء يعود عليهم بالراحة وتطيب قلوبهم حتى دهش الرومانيون من سخائه وتيقظه لكل ما يتمنون ويحبون (يوسيفوس ك ١٥ فصل ٦ و ٨ و ٩ و ٢٠)

عد ٤٧٠

قتل هيرودس مريمنا امراته واسكندرة امها

لم يهنأ هيرودس باستمالة اغوسطوس اليه بل نكد عيشه قلق آله وسخط مريمنا واسكندرة امها عليه فان هاتين الاميرتين ايقنتا ان وضعهما في حصن عند ذهابه الى اغوسطوس لم يكن الا سجناً لهما فلم تهش مريمنا للقائه لاعتقادها ان ما يبديه لها من الحب لم يكن الا مراياة يظنها نافعة له في اعماله وكانت تتذكر ما امر به يوسف صهره ان يقتلها اذا قتله مرقس انطونيوس وكان اكبر رغائب هيرودس بعد عوده ان يرى مريمنا ويقص عليها ما وفق اليه على انها عند استماع كلامه لم تكن تبش له وكانت تتنفس الصعداء حتى ايقن ان كلامه مدعاة لحزنها لا لسرورها فاضطرب وتنازعه عاملان محبته لها ورؤيته حزنها لنجاحه ولما رأته امه واخته صالومي قلقاً وكانتا تمقتان مريمنا لم تبقيا على تهمة تتهمانها بها لتزيداه حنقاً عليها ولولا انه نُبيء ان اغوسطوس استحوذ على مصر وانطونيوس وقلوبطرة انتحرا لقتلها ثم مضى الى مصر ورحب به اغوسطوس واولاه الامر على اربع مئة رجل من الغال كانوا حرساً لقلوبطرة ورد عليه ما كان انطونيوس قد سلمه اليها من مدن اليهودية وولاه على غزة ويافا وغيرهما فعاد منشرح الصدر لكنه لم يبلغ اورشليم الا التقته اشجانه ونكده من قبل امرأته وامها واعتزل يوماً في مخدعه ورغب ان تحضر مريمنا فحضرت لكنها اخذت تونبه على قتل ابيها واخيها واتبعت ذلك بكلام بعثه على ان يضربها وعلمت اخته صالومي بما كان فوضعت على الجرح ملحاً والقت على النار زيتاً فاستدعى رجال ثقته ليحاكم الملكة واتهمها بانها

حاولت ان تدس له سماً فانقاد الى رغبته ذووه وحكموا على الملكة البرية بالموت ولم يكن هيرودس واصحابه يرغبون في تعجيل تنفيذ الحكم بل رأوا ان تسجن في مخدع في القصر فدرت صالومي بما كان فاتت اخاها هيرودس تكثر اقامة الحجج على تعجيل موتها ومن جملة حججها ان الشعب اذا علم ما كان وانها حية ثار على الملك فالاولى تنفيذ الحكم دون تأجيل وعمل برائها فابدت مريمنا آيات الشجاعة والبسالة عند موتها فلم تخش الموت ولم يتبدل لونها ولا ذرفت دمعة من عينيها

اما اسكندره امها فابدت الوغادة والسفل لدى هذا المصاب وتناست ان حظها سيكون شراً من حظ ابنتها التي كانت تلومها وتوجب الذنب عليها وتزعم انها لم تقدر محبة الملك لها قدرها واما هيرودس فكان اسفه لموتها موازياً لحبه لها في حياتها حتى اوصلته الكآبة الى نوع من الجنون وكان ذووه يسمعونه في كل ساعة يناديها باسمها ويبدي من الشكوى ما لا يليق بملك ولم تكن الملاهي تلهيه عن فقدها وكان يأمر خدمه ليدعوا مريمنا كانها حية واغفل تدبير امور المملكة وحدث وباء حينئذٍ اهلك كثيراً من شعبه وذويه واعتبر الناس هذا الوباء نقمة من الله لقتل الملكة البرية فضاعف ذلك حزن هيرودس وتوغل في البرية بحجة الصيد وكانت مناخس ضميره تعذبه حتى اصيب بمرض يئس الاطباء من شفائه فعاودت الحمية حينئذٍ اسكندرة واستحوذت على قلعتين في اورشليم الى ان اخذ هيرودس يبل من مرض جسمه واستمرت قواه العقلية مشوشة فارسل جنوداً قتلوا اسكندرة ولم يكن يبقى على اقرب المقربين اليه بل قتل منهم كستوبار ولبسيماكوس وانتيباتر ودوزيتاوس المار ذكره وكثيرين غيرهم (يوسيفوس ك ١٥ فصل ١١)

عد ٤٧١

في الابنية التي انشاها هيرودس وبعض حسناته

ان هيرودس حباً بان يسترضي اغسطوس عنه جدد بناء السامرة وسماها سبسطيه وتاويلها السعبدة في اليونانية مرادفة لكلمة اغسطوس في اللاتينية ومعناها السعيد وبنى ايضاً مدينة في محل كان يسمى برج ستراتون وسماها قيصرية نسبة اليه وموقع قيصرية هذه بين يافا وحيفا في جنوبي الكرمل وهي غير قيصرية فيلبوس الواقعة في قضاء مرج عيون ثم احاط اورشليم باسوار وبنى قصراً في خارج هذه المدينة في المحل الذي انتصر فيه على اليهود عند محاربته انتيكون كما مرَّ وروى يوسيفوس (ك ١٥ في تاريخ اليهود فصل ١٤) ان هيرودس نقض هيكل اورشليم الذي كان قد بناه زربابل وبنى هيكلاً حديثاً اعظم واجمل واكبر من الهيكل القديم على ان بعض العلماء تعقبوا مقال يوسيفوس هذا وخطأوه به ومنهم الاب هردوين اليسوعي ونطاليس اسكندر في تاريخ الحقبة السادسة قبل المسيح في اخبار اليهود (فصل ٢) حيث قال ليس من يقيم نكيراً على ان هيرودس زاد شيئاً على هيكل اورشليم وجمله بواقين في جوانبه لكنه لم ينقض الهيكل القديم وبنى هيكلاً حديثاً وقال ان لبعض العلماء في تخطئة يوسيفوس ثلاث حجج الاولى ان هيرودس لم يكن مستقلاً في ولايته بل خاضعاً لولاية الرومانيين وقد اضطر الى نفقات كبيرة لارضائهم وقد كان بنى قيصرية وسبسطية واقام فيها هياكل تكرمة لقيصر واحاط اورشليم باسوار وبني فيها ملاعب الى غير ذلك من ابنيته ونفقاته وكان انطونيوس اعطى قلوبطرة اخصب اماكن اليهودية فافترضت عليها مئتي وزنة تنقد اليها كل سنة وقد كان هيرودس دفع الى اغوسطوس ثماني مئة وزنة وبالغ في النفقات على حاشيته وجنوده فمن اين له ان يبني الهيكل كما وصفه يوسيفوس والحجة الثانية تؤخذ من نبوة حجاي حيث قال (فصل ٢ عد ٧)

« هكذا قال رب الجنود اني ازلزل السماء والارض والبحر واليبس مرة بعد عن قليل وازلزل جميع الامم ويأتي متمنى جميع الامم (اي المسيح) فاملأ هذا البيت مجداً قال رب الجنود ... وسيكون مجد هذا البيت الاخير اعظم من الاول وفي هذا الموضع اعطي السلام » فالواضح من هذه الأية ان حجاى يريد في البيت الاخير الهيكل الذي بناه زربابل ويقول ان هذا البيت نفسه يكون اعظم من البيت الاول اي هيكل سليمان لان المسيح متمنى الامم يدخل اليه ويقدسه بنفسه ويملأه مجداً فاذاً الهيكل الذي كان في ايام المخلص انما هو هيكل زربابل لا ان هيرودس نقض ذلك الهيكل وبنى هيكلاً جديداً والحجة الثالثة هي انه ورد في بشارة يوحنا (فصل ٢ عد ٢٠) ان اليهود قالوا للمخلص « انه في ستٍ واربعين سنة(١) بني هذا الهيكل فكيف تقيمه انت في ثلاثة ايام» وهيرودس اخذ في بناء الهيكل سنة ١٩ او سنة ١٨ ق م واكمله في مدة تسع سنوات ونصف على ما قال يوسيفوس فلا يصدق كلامهم على هيكل هيرودس

على ان العلماء الذين صدقوا مقال يوسيفوس قالوا كيف يمكنه ان يكتب هذا الخبر الكاذب وهو افقه امته في ذلك العصر ومن اجل كهنتها ولم يكن مضى على ما اخبر به سنون متطاولة وكيف يعرّض نفسه لتكذيب اليهود له في امر بيّنٍ ومهمّ ولا يفوت ذكر الشيوخ منهم ويشق عليهم ان يعزو الى هيرودس الظالم ما بناه اباؤهم كذا قال ريبيرا احد هولاء العلماء في تفسيره الفصل الثاني من نبوة

---

(١) ان بعض الاباء يحسبون سنة تجديد زربابل الهيكل السنة الاولى من ملك كورش على الفرس الى السنة السادسة لملك دارا ايستاسب وهذه المدة ست واربعون سنة وكذا حسبها اليهود مع ان تجديد الهيكل لم يكن الا بعد ان اخذ كورش بابل وضمها الى مملكة الفرس

حجاى وتأولوا الآية الواردة في بشارة يوحنا بمعنى يؤيد مذهبهم فقالوا ان هيرودس اخذ في اعداد ما يلزم لبنآء الهيكل سنة ١٨ ق م ولم يأخذ في البناء الا سنة ١٦ واليهود قالوا للمخلص هذا الكلام سنة ٣٠ لميلاده فهذه هي الست والاربعون سنة وقد كمل بناء الهيكل في تسع سنين كما قال يوسيفوس ولكن لم تكمل زينته وزخرفته في ايام هيرودس وخلفائه الا بعد سنين عديدة عددها حينئذٍ ست واربعون سنة على ان سليانوس (مجلد ٦ من تاريخه في سنة ٢٩ ق م) رد برهان ربيرا قائلاً انه عندما كتب يوسيفوس هذا الكلام لم يكن بقي شاهد حي من اليهود حينئذٍ يونب يوسيفوس على خطائه لانه كتب كتابه تاريخ اليهود في ايام دومطيانوس وهذا رقي الى سدة الملك في السنة الثمانين بعد المسيح على ما روى بارونيوس فان زدنا عليها الثماني عشرة سنة قبل المسيح عند بناء هيرودس الهيكل كانت جملة السنين ثماني وتسعين سنة فلا يبقى فيها حياً من شهد بناء هيرودس ثم ان يوسيفوس كتب في اليونانية ولم تكن عامتهم تفهمها وان فهموها فلم يجسروا ان يونبوا يوسيفوس على خطائه لانه كان معززاً عند الملوك وقتئذٍ وكانوا يكبحون اعداءه كما كتب في ترجمة نفسه التي دونها بيده والحاصل ان اقوال العلماء في هذه المسألة متضاربة كما رأيت والذي يظهر لنا ان قول من صدقوا يوسيفوس هو الاصوب والامثل وحجج من كذبوه غير قاطعة فان كان هيرودس بنى في نصف سني ملكه الاولى هياكل وملاعب وقام بنفقات باهظة على الرومانيين فلا تعوزه في السنين الاخيرة لملكه النفقات اللازمة لبناء الهيكل وقد كان ملكه استتب له ووسعت تخومه ورد عليه ما غصبته قلوبطرة وما استشهدوا به من نبوة حجاى جل ما يراد به ان الهيكل الذي يدخله المخلص يفوق هيكل سليمان شرفاً ومجداً والست والاربعين سنة التي ذكرت في بشارة يوحنا تصدق على هيكل هيرودس كما رأيت اكثر من هيكل زربابل الذي لا يقال انه بنى في ست واربعين

سنة الاَّ خطآء كما رأيت هذا وقد انتقد العلماء اقوالاً ليوسيفوس حمله على ايرادها رغبته في تعظيم شان امته او انخداعه بتقليد غير صحيح مع تقادم العهد عليه او اعتماده على اقوال غير محققة وهنا لا وجه من كل هذه ليكتب الكذب في امر قريب من عهده وفي موطنه ويحط من مجد آبائه الذين بنوا هيكل زربابل وان لم يكن بقي من شهد بناء هيرودس الهيكل فقد بقي كثيرون ممن تلقوا خبر بنائه عن ابائهم فيواخذونه بكذبه ومن حسنات هيرودس ما ذكره يوسيفوس (ك ١٥ فصل ١٢ من تاريخ اليهود) وهو ان اليهودية أصيبت بوباء ومجاعة شديدة لانقطاع المطر وعدم حراثة الارض فمات بالوباء والمجاعة كثيرون وابدى هيرودس حينئذ عنايته بالبائسين فاشغل كثيرًا من المحتاجين ببناء المدن والقلاع باذلاً لهم ما يسدّ حاجتهم وسكّ كلما كان عنده من الذهب والفضة وارسله الى مصر واستاتي تسعين الف كر من الحنطة فوزعها على ذوي الفاقة واعطى الزارعين بزرًا يبذرونه في ارضهم ولا يردون عوضه الا قدر ما اعطوه

﴿ عد ٤٧٢ ﴾

في قتل هيرودس ابنيه اسكندر وارسطوبولس

كان لهيرودس من امرأته مريمنا التي قتلها كما مرّ ثلاثة بنون وهم اسكندر وارسطوبولس وهيرودس ارسلهم الى رومة لاقتباس العلوم فمات هيرودس صغيرهم فيها ومضى هيرودس الى رومة يزور اغوسطوس ويرى ابنيه فاكرم اغوسطوس مثواه وعاد بابنيه الى اليهودية فرحب اليهود بهما واكثروا من الاحتفاء بلقياهما والسرور بهما فشق ذلك على صالومي اخت الملك وعلى كل من تسبب في قتل مريمنا امهما وخشوا ان يرتقي الاميران الى سدة الملك فيثأران منهم بدم والدتهما وعزموا ان يكتادوهما كما اكتادوا امهما واشاعوا ان الاميرين يمقتان اباهما ويريدان به سوأً لقتله والدتهما وبلغت هذه الاشاعة هيرودس فلم يعرها اولاً اذناً صاغية

بل استمر يعاملهما كما يجبان وزوج اسكندر بكلافيرة ابنة ارشيلاوس ملك الكبادوك وارسطوبولس ببرنيس ابنة اخته صالومي رجاء السلام في اسرته على ان هذا الزواج لم يخمد اوار حسد صالومي وفيروراس اخي هيرودس ولم يكن الاميران يبديان الانعطاف الى ابيهما لتذكرهما قتل والدتهما وربما اباحا بسرهما الى بعض من كانا يظنانهم اصدقاء لهم ومضى هيرودس حينئذٍ الى انغريا في بلاد اليونان ولما عاد من سفره اخذت صالومي وفيروراس ينمان اليه ان ابنيه قالا علانية انه لا بد لهما من ان يثأرا بدم امهما وانهما يتخذان واسطة ارشيلاوس لدى اغوسطوس في الشكوى على ابيهما فاقلق هيرودس هذا الكلام وعزم ان يستدعي ابنه انتيباتر البكر الذي كان ابعده عنه مع امه دوريس ليكون مقاوماً لاخويه فشق على الاميرين ايثار اخيهما انتيباتر عليهما وظهر الخلاف بين الوالد وابنيه وكثرت الاقوال بان هيرودس سيجعل انتيباتر خليفة له وينفي اسكندر وارسطوبولس عن الملك وكان انتيباتر ايضاً يبث اباه على اذلال اخويه حتى اخذهما هيرودس الى رومة وشكاهما الى اغوسطوس بانهما حاولا قتله

واراد اغوسطوس ان يسمع هو بنفسه دعواهم فقال هيرودس رفقاً مولاي باب الجأته الحال ان يشكو امامكم ابنيه اللذين حملتهما الجسارة ان يبغضا اباهما ويحاولا اعدامه الحياة وانه قد صبر طويلاً عليهما آملاً ان يعدلا عن سوء نيتهما فعيل صبره واكره ان يبوح بشرهما وقال مخدوماً أأستحق ان يعاملاني على هذا النحو فما يشتكيان مني والى ما يستندان ببغضهما لي اما يحق لي ان اترك الملك الذي حزته باقتحام المخاطر وتحمل المشاق لمن رأيته من ابنائي اكثر اهلية له او ما جنيته على هذين العاقين الم اكسبهما العلم او ضننت عليهما بشيء مما يرغبه ابناء الملوك لا للحاجة فقط بل للعظمة الم ازوج احدهما بابنة ارشيلاوس ملك الكبادوك والاخر بابنة اختي وكان لي ان اعاقبهما بما اني ابوهما وبما اني ملك ولكن احببت ان آتيك

بهما لانك المحسن الينا جميعاً لتكون حكماً بيني وبينهما ولا اسالك الا ان تبكتهما وتردهما عن سوء سبيلهما ليتركاني اقضي براحة ما بقي لي من الحيوة

وبينما كان هيرودس يفوه بهذا الكلام كانت اعين ابنيه تذرف الدموع ويمسكهما الاحترام لوالدهما عن مقاطعته في الحديث او المجاوبة له وخشيا اخيراً ان يعد صمتهما حجة عليهما فوقف اسكندر يبرىء نفسه واخاه من شكوى ابيهما فقال لابيه حسبنا مولاي بينة على حنوك الينا انك اشخصتنا الى هذا المقام السامي ولم ترد ان تعاقبنا بالسلطان الذي لك بما انك ملك وبما انك اب فلولا ان حياتنا عزيزة لديك لما اتيت بنا الى رومة ليكون العاهل اعزه الله قاضياً وشاهداً على موتنا فما من يأتي بمجرم الى الهياكل او الاماكن المقدسة ليسله فيها والاولى بنا ان نموت ابرياء من ان نعيش وعلينا مظنة الاحتيال على اهلاك والدنا ساعدنا الله على كشف الحقيقة لك لا لنجو من الموت بل لتوقن برأتنا وان بقيت اتهم التي تعتمد عليها ثابتة لديك كان الموت لنا خيراً من الحيوة فشيبتنا ومصابنا بفقد والدتنا توقع علينا الشبهة بانا نريد بك سوأً لكنني اسألك ان تمعن النظر أجميع ابآء الملوك الذين لا ام لهم تصدق عليهم مثل هذه الشكوى وهل يكفي مجرد شبهة للحكم بجناية فظيعة كهذه وان لم تكف الشبهة أفما يحق لنا ان نطلب بينة تثبت هذه الشكوى المروعة فهل من يقول اننا اعددنا سماً او اتينا مكيدة او ارشينا خادماً او كتبنا رسالة فقد بكينا امنا ولكن لم تكن دموعنا لفقدها فقط بل لئلا يظنها احد اضاعت شرفها واطال كلامه الى ان ختمه بقوله اذا بقيت براءتنا غير ثابتة لديك فنحن نحكم على انفسنا بالموت كيلا يكون من يشكوك بقتلنا ومهما كانت الحيوة عزيزة فلا يعز علينا ان نفدي بها اعتبار من اولانا اياها

وكان كلام اسكندر شديد الوقع في قلب اغوسطوس حتى ايقن براءة الاميرين وبطلان التهم الواردة عليهما ودهش من حكمة اسكندر واحتشامه في

الرد على دعوى ابيه فسأل هيرودس ان يرضى عن ابنيه ولا يصغى الى الساعين بهما ولا يصدق مثل هذه الشكايات التي لا يقبلها العقل واشار الى الاميرين ان يدنوا من ابيهما ويطلبا العفو منه فتقدما والدموع تذرف من عيونهما فعانقهما هيرودس وبكي حتى اغرورقت اعين الحاضرين بالدموع وشكروا جميعاً لاغوسطوس وعادوا الى اليهودية وكان ذلك لسنة ٧ ق م

ولم ينكف انتيباتر عن السعاية باخويه لدى ابيهم وكان يعزو اليهما اموراً لم يأتياها ويتظاهر امام ابيه بالمحبة لهما والمدافعة عنهما وامر هيرودس وزيره بتلمايس ان لا يصنع شيئاً دون ان يطلع عليه انتيباتر فعظم نفوذه امام الشعب وشق على اسكندر وارسطوبولس وجاهة اخيهما عليهما واستأت كلافيرة امرأة اسكندر من صالومي اخت هيرودس لسعايتها بزوجها ولتقديمها ابنتها امرأة ارسطوبولس عليها وكان فيروراس اخو هيرودس ينفخ في نار هذا الانقسام حتى بعث هولاء هيرودس ان يقبض على ابنه اسكندر ويلقيه في السجن فسمع ارشيلاوس ملك الكبادوك حموه ما جرى لصهره فاتى الى اورشليم واصلح بين اسكندر وابيه واقام مدة في اورشليم وعاد الى مملكته فرافقه هيرودس الى انطاكية ولكنه لم يلبث ان عاد حنقه على ابنيه اسكندر وارسطوبولس بسعاية اخته واخيه وابنه وكتب الى اغوسطوس يشكوهما اليه فاجابه اغوسطوس ان يستدعي قوماً من الحكماء والعقلاء ويجمعهم في بيروت ويحاكم ابنيه على ما يدعيه عليهما من الجرائم الحديثة وان يستدعي ارشيلاوس ملك الكبادوك ايضاً فسر هيرودس برسالة اغوسطوس هذه وكتب الى كل جهة يستدعي من اشار اغوسطوس بدعوتهم الا ارشيلاوس فلم يستدعه مخافة ان يعارضه بما ينويه فاجتمع في بيروت نحوٌ من مئة وخمسين رجلاً منهم ساتورنينوس وفولنيوس واليا سورية ولم يأت هيرودس بابنيه الى بيروت بل تركهما في قرية اسمها بلاتان قريبة من صيدا ودخل هيرودس

دار الندوة واخذ يشكو ابنيه بحدة وحنق كانه اضاع رشده ويغري القضاة بان يشكوا ابنيه معه واخذ يقرأ رسائلهما التي لم يكن فيها حقيقة ما يدل صراحة على تعمدهما الغدر به بل جل ما يتبين منها انهما حاولا الفرار من سجنهما وقال ان الطبيعة واغوسطوس يخولانه السلطان على ابنيه وان في سنة امته فقرة ناطقة بانه اذا شكا اب او ام اولادهما فليضعا ايديهما على راس المشكو وعلى الحاضرين حينئذٍ ان يرجموه وانه كان له ان يقتل ابنيه دون محاكمة لكنه اراد ان يستطلع رأي هذه الجمعية الكبرى التي لم يستدعها لتقضي بل لتصادق على تصرفه العادل فيرتدع الابناء العاقون فيما بعد عن ان يحاولوا قتل ابائهم ولما سمع المجتمعون هذا الكلام ولم يكن ابناء هيرودس هناك ليدافعا عن نفسيهما ايقن المجتمعون ان لا امل في الاصلاح واثبتوا له ما خوله اغوسطوس من السلطان ان يتصرف بابنيه كما يجب وقال ساتورنينوس والي سورية انه يرى ان عقابهما لازم ولكن لا عقاب الموت فان ذلك قسوة فظيعة من اب تزيده فيما بعد حزناً على حزن واما فولنيوس الوالي الاخر فارتأى الحكم عليهما بالموت وتبعه غيره من المجتمعين الذين اختارهم هيرودس من اصحابه ومحازبيه فانصرمت حبال الامل في حياة الاميرين ومضى هيرودس للحال من بيروت الى صيدا واخذ ابنيه وسار الى صور وارسلهما الى سبسطية (اي السامرة) مع بعض جنده فقطعوا راسيهما وبلغ اغوسطوس ما عمل هيرودس فقال ذلك القول الشهير « يستحب المرء ان يكون خنزيراً لهيرودس على ان يكون ابناً له » (يوسيفوس ك ١٦) وكان ذلك في السنة الخامسة قبل الميلاد بحسب التاريخ العامي وفي السنة الاولى قبله حقيقة

﴿ ٤٧٣ ﴾

في باقي مظالم هيرودس ومونه

لم يكن قتل هيرودس ابنيه خاتمة مظالمه والنزاع في اسرته فقد كان اوصى

ان يخلفه ابنه انتيباتر في الملك ولم يطمئنّ انتيباتر الى ثبات ابيه على وصيته ما دام حياً فتآمر سرًا هو وفيروراس اخو هيرودس ليقتل اباه وافتضح له سرهما وشهد كثيرون لهيرودس ان ابنه حاول ان يدس له سماً فكان ذلك كصاعقة انقضت على الملك الشيخ وبلغ به حنقه الى نوعٍ من الجنون وكان انتيباتر حينئذٍ في رومة ولما عاد قرعه ابوه وغالظه واستدعى كثيرين الى ندوة رئيسها كونتيلوس فاروس الوالي الروماني وشكا ابنه انتيباتر بانه تسبب في قتل اخويه وحاول ان يغدر به فانكر انتيباتر واقام الحجة بأنهُ بريء من هذه التهم واخذ نقولا الدمشقي صديق هيرودس يستنطق الشهود فحكم على انتيباتر بالموت وسأل هيرودس اغوسطوس ان يثبت الحكم على ابنه على ان تراكم المصائب والاحزان على هيرودس اوقع به المرض وحيرته في من يخلفه في الملك من ابنائه كانت تزيد مرضه وبلغه ان الفريسيين قد اشتركوا في المؤامرة عليه فقتل جماً غفيرًا ممن ثبتت المؤامرة عليهم واقام رقباء على الباقين فاثار الفريسيون عليه شبان المكاتب وكان بين هولاء الفريسيين رجلان يهوذا بن سيبوري ومتى بن مركلوت وقد سمعا بان هيرودس يحتضر فبعثا شبان المكاتب فالقوا تمثال نسر من ذهب كان هيرودس اقامه على باب الهيكل وكانوا يعتبرون ذلك تنجيساً للهيكل وعلم جنود هيرودس فقبضوا على اربعين شاباً من هولاء وعلى رئيسيهما المذكورين ولدى استنطاقهم اقروا دون خوف بما صنعوه بل تباهوا به فسئلوا من بعثكم على ذلك فاجابوا السنّة بعثنا عليه فامر هيرودس ان يحرقوهم احياء

وقد وردَ له الجواب من اغوسطوس بان يعاقب ابنه انتيباتر بما يشاء فجدد تشفيه اوجاعه قليلاً لكنها اشتدت عليه بعد هنيهة حتى سئم الحياة واخذ مدية يطعن بها نفسه ليستريح من الحياة فانتزع احد اقاربه المدية من يده وتعاظم الولوال في القصر حتى سمعه انتيباتر وهو في سجنه وطلب من السجان ان يطلقه ولما بلغ

هيرودس ان انتيباتر يأمل ان يحيا بعد ابيه آمر حرسه ان يقتلوه للحال فقتلوه قبل خمسة ايام من وفاة هيرودس يوسيفوس (ك ١٧ في فصول متعددة)

وقد كان يسوع المسيح مخلص العالم ولد في اوائل السنة الاخيرة من ملك هيرودس وعرف هيرودس بمولده من المجوس الذين وافوا من المشرق ليسجدوا له فامرهم ان يمضوا الى بيت لحم وينقبوا عن الصبي وان ينبئوه اذا وجدوه ليمضي فيسجد له وتلك حيلة منه ليعلم محله فيقتله مخافة ان ينتزع الملك منه ولما تحقق ان المجوس سخروا منه ولم يعودوا اليه وتأكد ولادة المخلص من تقدمة ابويه له الى الهيكل ارسل جنوده الى بيت لحم فقتلوا كل ذكر فيها من ابن سنتين فما دونهما ونجا يسوع بارشاد الملك ليوسف ان يهرب به الى مصر (متى فصل٢عد١ وما يليه) وروى بارنيوس وغيره من المؤرخين انه كان لهيرودس طفل في بيت لحم قتل في جملة الاطفال الذين قتلهم جنوده لكن تعقب نطاليس اسكندر قول هولاء المؤرخين ورده بحجج منها ان هيرودس كان حينئذٍ في السبعين من سنيه فلا يقرب من الصواب انه كان له ولد عمره اقل من سنتين ومنها ان يوسيفوس لم يأتِ بذكر قتل هذا الولد لهيرودس مع انه ذكر قتل كل من قتلهم من اولاده ومنها انه لا وجه ليكون ابن لهيرودس في بيت لحم وهو مقيم في اورشليم وهب ان كان له ابن فيها فلا بد ان يكون ولد في اورشليم فلا يقتله مخافة ان يأخذ ملكه لان الروساء حققوا له ان المسيح يولد في بيت لحم

وقد ابان لنا يوسيفوس (ك ١٧ من تاريخ اليهود فصل ٨) اعراض مرض هيرودس فقال انه كان مصاباً بحمى شديدة محرقة في جوفه لا يشعر بها في ملمسه وكان يحس بجوع كلبي لا شيء يشبعه وامعاؤه متقرحة يقاسي منها مغصاً اليماً ورجلاه متورمتان وخصيتاه متهرئتان يتثر الدود منهما واعصابه ماوفة لا يمكنه ان يتنفس الا بوجع اليم وتنبعث من فمه رائحة نتانة تمنع من الدنو منه حتى كان

كل من رآه يقضي ان الله عاقبه بهذه الامراض والاوجاع جزاء لظالمه وسفكه الدماء الزكية وكان اخر جوره واعتسافه انه ارسل اوجه وجهاء اليهود الى اريحا واقام خفراء عليهم وامر اخته صالومي وزوجها ان يقتلاهم على فور موته لتلبس الامة ثياب الحداد بدلاً من مطارف الحبور لموته واوصى بان يكون ابنه ارشيلاوس خلفاً له وقضى هذا السفاك غير مأسوف عليه وقبل ان يذاع خبر موته اطلقت اخته وزوجها اولئك الوجهاء في اريحا بامر وقعت عليه بختمه وعن يوسيفوس انه ملك اربعاً وثلاثين سنة بعد ان طرد انتيكون من الملك وخمساً وثلاثين سنة بعد ان نصبه الرومانيون ملكاً على اليهودية واكثر المؤرخين على انه ملك سبعاً وثلاثين سنة وقد كشف ودينكتون ودي فكواي في سيع وهي احدى قرى البثنية على هيكل كان في عصر هيرودس وسلالته وعلى عدة خطوط فيه منها خط (عد ٢٣٦٤) كتب فيه « اقام عيستوس (اوايستوس) سعودو تمثالاً للملك هيرودس مولاه » وقال ودينكتون في شرحه لامرا في ان هيرودس الوارد ذكره في هذا الخط هو هيرودس الكبير اذ لم يملك غيره في البثنية ووليها بعده ابنه فيلبوس ثم اغريبا الاول والثاني وكلمة مولاه مشعرة بان التمثال اقيم له في حياته ولعل الجالية التي اسكنها هيرودس في هذا المحل للمحافظة على طريق الاجا اقامت له هذا التمثال وقد علمنا نفسنا بالامل عند كشفنا عن هذا الخط ان نجد تمثالاً لهيرودس يبين هيئته فخاب املنا اذ لقينا التمثال محطماً الى كسر عديدة بايدي بشرية فلم نشك في ان المسيحيين الاولين حطموا هذا التمثال انتقاماً من هيرودس لقتله اطفال بيت لحم

عد ٤٧٤

في مولد المخلص وسنته

لما كان الانسان عصى ربه وانغمس البشر باوحال المآثم وتاهوا في بيداء الضلال ولم تكن خليقة كفؤاً لاسترضاء الاله المتسخط عليهم ولهدايتهم الى

الايمان الصحيح وسواء السبيل دعا الله حنوه ورأفته بهم ان يتخذ كلمة الله اي ابنه احد اقانيم ذات الاله الواحد الاحد جسداً بشرياً ويصير انساناً كاملاً مستمراً الهاً كاملاً بنوع يفوق المدارك البشرية ويهدي الناس الى طريق الحياة الخالدة ويتحمل مشاق هذه الحياة والالام ايضاً ليكفر بنفسه عن آثامهم ويسترضي الله عنهم وقد كان اوحى بهذا السر العجيب الى الآباء القدماء والانبياء فاكثروا من النبوات عليه ووعد العالم بهذا المصلح والمخلص الالهي حتى كان ينتظره كل من اعتقد الوحي وآمن بتنزيل الله وقد خص الله بهذا الشرف الباذخ سورية وطننا فقد ولد في بيت لحم وتربى في الناصرة واكثر من التردد الى اورشليم وغيرها من اماكن فلسطين

اما سنة مولده فمختلف فيها كل الاختلاف حتى جمع بعض العلماء نحو مئتي قول يخالف احدها الاخر في تعيين السنة التي ولد المخلص بها بعد خلق الانسان الاول فاقل هذه السنين ٣٤٨٣ سنة واكثرها ٦٩٨٤ وذكر العالم ريشولي من هذه الاقوال سبعين قولاً وذكر الاب تورنامين اشهرها فكانت ٩٢ قولاً وجاء في الكتاب الموسوم بصناعة تحقيق تاريخ الاحداث التاريخية قبل التاريخ العامي مئة وثمانية اقوال واشهر هذه الاقوال ما يأتي فقال اليهود الحدثاء انه كان من خلق الانسان الى التاريخ المسيحي ٣٧٦١ سنة وقال سكاليجر ٣٩٥٠ وبتو ٣٩٨٣ واوساريوس ٤٠٠٤ وكاليمنت ٤١٣٨ وفي الطبعة الحديثة لكتاب صناعة تحقيق التواريخ المار ذكره ٤٩٦٣ وهالس ٥٤١١ وجكسون ٥٤٢٦ والكنيسة الاسكندرية ٥٥٠٤ وكنيسة القسطنطينية ٥٥١٠ واوسيوس ٦٠٠٤ وبافيسيوس ٦٣١١ والجداول الالفنسية ٦٩٨٤ وهذا الاختلاف حاصل من اختلاف الاعداد الواردة في النص العبراني وترجمات التوراة وعدم التيقن بكون الاعداد التي نراها الآن هي التي خطتها يد موسى فبمقتضى النص العبراني قد مرّ من خلق آدم الى الطوفان ١٦٥٦ سنة وبمقتضى نسخة السامريين

١٣٠٧ وعلى ما في نسخة السبعين اليونانية ٢٢٤٢ وليس اقل من ذلك الاختلاف على الحقبة التي مرت من الطوفان الى دعوة ابرهيم فهي على ما في النص العبراني ٣٦٧ وعند السامريين ١٠١٧ وفي ترجمة السبعين ١١٤٧ فجملة المدة من خلق الانسان الى دعوة ابرهيم على ما في النص العبراني ٢٠٢٣ وعلى ما في ترجمة السبعين ٣٣٨٩ وعلى ما في السامرية ٢٣٢٤ وهذا التباين حاصل من خطأ النسخ في الاعداد وليس ايسر منه فيها وقد خلا بعض النسخ عن اسماء بعض الاباء القدماء كقينان الذي خلا عنه النص العبراني وهو ثابت في ترجمة السبعين وفي الانساب التي ذكرها لوقا البشير ولم يشأ الله ان يعصم جميع النساخ بآيات تتعدد بعديدهم على ان الكنيسة الكاثوليكية لم تحلّ الى الان هذا البحث بل اطلقت لكل من المؤرخين ان يختار ما شاء من هذه الاقوال ولا حرج ولم تؤثر احدها على الاخر ويظهر ان اباء الكنيسة الاولين وبعض الحدثاء اعتمدوا ترجمة السبعين وجميع علماء الكنيسة اليونانية والقدماء من علماء الكنيسة اللاتينية عوّلوا على تواريخ هذه الترجمة وفي السنكساري الروماني في ٢٥ك١ ان مولد المخلص كان سنة ٥١٩٩ لخلق الانسان وقال مشاهير من العلماء منهم باجوس في تنقيح تاريخ بارونيوس وبيتو في (علم الازمان) ان السنين التي مرت من خلق الانسان الى ميلاد المخلص يستحيل تعيينها تعييناً مؤكداً

على ان المدة المعينة في النص العبراني من الطوفان الى دعوة ابرهيم وقدرها ٣٦٧ سنة هي غير كافية لانتشار الامم وتوفر عديدهم وحضارتهم التي كانت في ايام ابرهيم ولا سيما في مصر عند شخوصه اليها فلا اقل من الاعتماد في ذلك على ترجمة السبعين التي تجعل تلك المدة ١١٤٧ او على النسخة السامرية التي تجعلها ١٠١٧ سنة لتكون المدة كافية لانتشار الناس في الآفاق ولحضارتهم المشار اليها وعلى ذلك تكون المدة من خلق الانسان الى الميلاد نحواً من ستة الاف سنة وهي

كافية لمقتضيات الابحاث العلمية والتاريخية في هذا العصر ولا تخالفها تواريخ المصريين والكلدان والصينيين والهنود بعد ان كشف العلماء ستائر اللبس والخطا والمبالغة عن وجه حقيقتها على ان المتداول بين اكثر العلماء والذي مشينا عليه في كتابنا هذا انما هو ان المولد كان سنة ٤٠٠٠ او سنة ٤٠٠٤ لخلق الانسان (ملخص عن فيكورو في كتابه الاسفار المقدسة وانتقاد العقلين لها مجلد ٣ صفحة ٤٥٥ طبعة ثالثة وفي موجزه الكتابي مجلد ١ ص ٣١٤ وما يليه صفحة ٥٣٣ طبعة سابعة)

وكذلك اختلف الآباء والعلماء في سنة مولد المخلص من ستي التاريخ الروماني فذهب ساويروس سوليسيوس ونيقيطا ونيكوفورس كاليستوس وغيرهم الى ان المخلص ولد لسنة ٤٢ لقتل يوليوس قيصر وهي السنة الرابعة قبل التاريخ العامي وذهب ترتوليانوس في كتابه ضد اليهود واكليمنضوس الاسكندري والقديسان ايرنيموس وفم الذهب انه ولد سنة ٤٣ ليوليوس وسنة ٤١ لولاية اغوسطوس وهي السنة الثالثة قبل التاريخ العامي وذهب القديس ايبوليتوس والقديس ابيفانيوس واوسابيوس القيصري ان المولد كان سنة ٤٤ ليوليوس قيصر وسنة ٤٢ لاغوسطوس وهي السنة الثانية قبل التاريخ العامي وذهب يوليوس الافريقي وبيدا وغيرهما انه ولد سنة ٤٦ ليوليوس وهي السنة الاولى من التاريخ العامي وذهب بعض من القدماء ذكرهم القديس ابيفانيوس (في هرطقة ٥١) ان المخلص ولد سنة ٥٤ ليوليوس وهي التاسعة من التاريخ العامي ذكر ذلك نطاليس اسكندر في تاريخ القرن الاول (مقالة ثانية) واثبت بحجج عديدة ان المخلص ولد في اواخر سنة ٤١ ليوليوس قبل خمس سنين من التاريخ العامي وفي السنة ٣٦ لوفاة قلوبطرة والسنة ٣٤ لهيرودس بعد مقتل انتيكون وسنة ٧٤٩ لبناء رومة ومن حججه ان المخلص ولد قبل سنة كاملة من موت هيرودس وهيرودس مات سنة ٤٢

ليوليوس قبل التاريخ العامي باربع سنين فاذًا المسيح ولد سنة ٤١ ليوليوس قبل التاريخ العامي بخمس سنين واثبت ذلك من انه ورد في انجيل متى (ف ٢) ان المسيح ولد في ايام هيرودس الذي قتل الاطفال بعد ايام من مولده الى غير ذلك من براهينه العديدة

فليس لنا والحالة هذه ان نقضي بين هولاء الاباء والعلماء ونبين من اصاب ومن اخطأ وحسبنا ان نبين اقوالهم التي لم تصم الكنيسة احدها بصمة ضلال او خطاء على ان المتداول في كتب جمهورهم ان ميلاد المخلص كان للسنة الرابعة قبل التاريخ العامي وذلك ان التاريخ بسنة المخلص اول من دعا للعمل به دانيس الصغير في القرن السادس وابتداه خطأً من الرابعة بعده ولما اثبت اولو النقد ان المخلص ولد قبل ذلك التاريخ باربع سنين اثروا اتباع الخطأ المشهور على اتباع الصواب المهجور كما مر او صوب بعضهم قول من رأوا ان سنة الميلاد وسنة بدء التاريخ العامي واحدة وسيأتي لنا كلام في ذلك

الباب الاول

﴿ في تاريخ سورية في القرن الاول للميلاد ﴾

انا نقسم هذا الباب والابواب التالية الى قسمين نضمن الاول تاريخ سورية الدنيوي والثاني تاريخها الديني تفادياً من التشوش في الكلام عليهما معاً

القسم الاول

﴿ في تاريخ سورية الدنيوي في القرن الاول ﴾

﴿ تمهيد ﴾

﴿ عد ٤٧٥ ﴾

﴿ في الملوك الرومانيين في القرن الاول ﴾

لما كان كلامنا التالي في تاريخ سورية على عهد الملوك الرومانيين يستلزم الكلام في هولاء الملوك وسني ملكهم اثرنا تمهيداً له ان نفتتح تاريخ هذا القرن بذكر الملوك الذين كانوا فيه وسني ملكهم بما امكن من الايجاز

قد رأيت ان المخلص ولد لسنة ٢٩ او ٢٨ لملك اغوسطوس قيصر فاغوسطوس هذا كان اسمه اولاً يوليوس اكتاف بن اكتاف احد رجال ندوة رومة وابن اخت يوليوس قيصر ولد في رومة سنة ٦٣ ق م وبعد وفاة والده تبناه خاله ولم يكن عمره عند مقتل خاله الا ثماني عشرة سنة وسمي سنة ٤٣ حاكماً في الجمهورية الرومانية مع مرقس انطونيوس ولا بيد ثم وقع الخلاف بينه وبين مرقس انطونيوس صهره

فاستظهر عليه في حرب اكسيوم في بلاد اليونان سنة ٣١ وفر انطونيوس الى مصر مع قلوبطرة معشوقته فتبعهما اغوسطوس الى مصر فانتحر انطونيوس وقتلت قلوبطرة ايضاً نفسها كما مر وجعل اغوسطوس مصر اقليماً رومانياً ولدن عوده سنة ٢٩ (وعلى قول اخرين سنة ٢٨) الى رومة سمي عاهلاً واغوسطوس اي سعيداً وكان حليماً لا يتكلف القسوة الا عند الحاجة اليها ومحباً العلم والعلماء وضم الى بلاطه فرجيل وأراس الشاعرين الشهيرين وطيط ليف المؤرخ وسن شرائع محكمة وتوفي سنة ١٤ لميلاد المخلص في السابعة والسبعين من عمره وهذا الملك جعل بيروت مدينة اولية وخول اهليها حقوق الرومانيين وولى عليها القائد مرقس فيبسانيوس اغريبا وزوجه ابنته جولية ودعا المدينة باسمها جولية فيليكس (اي السعيدة) ويؤيد هذا خط ذكره وينكتون (عد ١٨٤٢) وجد في دير القلعة منقوشاً على اخربة الهيكل الذي هناك المعروف في الآثار بهيكل بعل مرقد اي اله الرقص فحواه ان اهل بيروت الجالية الرومانية جولية اغوسطا فليكس بيروت اقاموا نصباً لادريان الملك

وخلف اغوسطوس طيباريوس وهو ابن طيباريوس نيرون ولد في رومة سنة ٤٢ ق م وتقلب في المناصب واشتهر بالحروب مع الجرمانيين وزوجه اغوسطوس ابنته جولية بعد وفاة زوجها اغريبا وعينه ورينا له ولدى موته سنة ١٤ للمخلص رقي الى منصة الملك واجرى بعض المظالم وقتل بعض الاشراف وفي السنة الخامسة عشرة لملكه ظهر يوحنا المعمدان يبشر وينذر ويعمد وفي السنة ٢٠ منه مات المخلص وادركت الوفاة طيباريوس سنة ٣٧ للميلاد ودونك صورته عن تمثال وجد في جزيرة كبرا وهو الان في متحف اللوفر

وخلفه غايوس كاليكولا وهو ابن اخي قيصر الجرماني تبناه عمه طيباريوس واورثه الملك سنة ٣٧ وعمره عشرون سنة فاحسن مسعاه بعض اشهر ثم اعتراه مرض انقص من قواه العقلية فانكب على الملاذ والاعتساف والصلف وهام ان يُجل كاله وشغف بحصان له حتى سماه قنصلاً وقتل كثيرين من شرفآء رومة واغنيائها ليستحوذ على اموالهم وقيل عنه انه كان عند حنقه يتمنى لو كان للرومانيين كلهم راس واحد ليقطعه بضربة واحدة الى ان اغتاله احد حرسه سنة ٤١

وخلفه طيباريوس كلود بن دروسوس اخي غايوس اقامه الجنود ملكاً بعد

مقتل غايوس ولد في ليون سنة ١٠ ق م وكانت بواكير اعماله حسنة لكنه ترك ازمة الملك بيد ميسالين امرأته وحاشيته فجاروا وبغوا على كثيرين باسمه ثم قتل امرأته سنة ٤٨ وتزوج اغريبين ابنة اخته فاستحوذت عليه ايضاً وجعلته ينبذ ابنه المتقب قيصر البريطاني ويترك الملك لابنها نيرون وادركته الوفاة سنة ٥٤ ويظن ان اغريبين دست له سماً

ومن الآثار لهذا الملك في بلادنا الهيكل الباقية اطلاله في المحل المسمى قلعة فقرة في كسروان فقد وجد خطان في الحصن المحاذي له هما في مجموعة الخطوط في عد ٤٥٢٥ وعد ٤٥٢٦ يتبين منهما ان هذا الاثر اقامه كهنة هيكل الاله الاعظم تكرمة للملك كلود سنة ٣٥٥ يونانية الموافقة سنة ٤٣ للميلاد وليس الاله الاعظم على ما ذكر رنان (في بعثة فونيقي صفحة ٣٣٨) الا عليون او ادونيس معبود الجبلين المقام الهيكل هناك على اسمه فيكون هذا الهيكل كهيكل افقا وهيكل جبيل على اسم هذا المعبود

وخلفه تلك السنة نيرون بن دوميسيان ولد سنة ٣٧ للميلاد وعند ارتقائه الى منصة الملك سنة ٥٤ ترك اعنة تدبير مهام الملك لابن اغريبين ولم يلبث ان ابدى القسوة والجور والخلاعة وابعد والدته عن قصره فهددته بانها تنتزع الملك منه وترده على البريطاني وريثه الشرعي فقتله سنة ٥٥ ثم قتل امه وطلق امرأته اكتافية وقتلها وامات من تزوجها بعده ووقع سنة ٦٤ حريق في رومة وظن نيرون موقعه فاحال الشكوى على المسيحيين وقتل كثيرين منهم فتأمر عليه عماله ومقته رجال الندوة وقضي بسقوطه عن منصة الملك فانزوى وهم ان ينتحر فلم يمكنه منه كاتب سره وانقضى ملكه سنة ٦٨ وانقرض به الملك من سلالة قيصر

وقد كان في ايام كلود ونيرون حاكم في سورية اسمه اوميديوس كوادراتوس على ما يظهر من خط عثر عليه ودينكتون في بيروت تحت كنيسة الكبوشيين

(عد ١٨٤١) يؤخذ منه ان اهل بيروت اقاموا نصباً لهذا الوالي الذي دبر سورية على عهد كلود ونيرون من سنة ٥١ الى سنة ٦٠

وخلفه سبرتيوس غلبه سنة ٦٨ بعد ان كان قنصلاً في عهد طيباريوس وعاملاً في افريقيا واسبانيا وقد درى ان نيرون يريد قتله فثار عليه وسماه الجنود في اسبانيا ملكاً ثم اقر له بالملك سائر اهل المملكة ولكن مقته الجمهور لبخله وقسوته فقتله اوتون احد المقربين اليه فلم يملك الا ثمانية اشهر

وخلفه اوتون المذكور سنة ٦٩ واقام الجنود في جرمانيا فيتليوس فكانت بينهما حرب الى ان ظهر فيتليوس على اوتون في وقيعة بعث اوتون على ان ينتحر سنة ٦٩ واما فيتليوس فاتى رومة وقبله سكانها بمعظم الاحتفاء ولم يستوِ على منصة الملك فيها الا واقام الجنود في المشرق فسبسيان سنة ٦٩ وارسل قائد جيشه الى رومة فافتتحها وقتل سفلة الشعب فيتليوس فيها سنة ٧٠

وكان نيرون امر فسبسيان بحرب اليهود فدوخ بلادهم كما سيجيء ولم يكن باقياً الا اورشليم ومضى الى رومة فلم يلقَ معارضاً ولا منازعاً فأمّن انحاء المملكة واقام على سرير الملك عشر سنين وتوفي سنة ٧٩ تاركاً الملك لابنه طيطوس الذي كان اتبعه الى اليهودية سنة ٦٦ واخذ مدناً كثيرة من اليهود وبعد ان سمى ابوه عاهلاً ابقاه في اليهودية فاتم افتتاحها باستيلائه على اورشليم والهيكل سنة ٧٠ كما سترى وعاد الى رومة معاوناً لابيه على تدبير المملكة وكان في بيروت في ايام فسبسيان حاكم من قبله يسمى قروتون اقام له الاهلون بامر الملك نصباً كما يؤخذ عن صفيحة عثر عليها ودينكتون على يمين الطريق بين قنصلية افرنسة ودير الكبوشيين في بيروت وهي عد ١٨٤١ في كتابه خطوط سورية اليونانية واللاتينية

وخلف طيطوس اباه سنة ٧٩ فترك ما كان عليه من التهتك بسيرته واحسن كثيراً الى من اصيبوا بانفجار البركان فاسوف سنه ٧٩ وبالوباء والحريق في رومة

حتى اشتهر بالشفقة على البائسين والمصابين ولم يطل الله عمره بل توفاه سنة ٨١ فلم يملك الا سنتين وثلثة اشهر

وخلفه اخوه دوميسيان وكانت بواكير اعماله محمودة وجمل رومة بآثار عديدة ووفق للانتصار في بعض الحروب ولكن تغلبت عليه اطواره الوحشية فقتل كثيرين من رجال الندوة واكابر الرومانيين واثار على الرومانيين اقسى الاضطهادات واشدها ظلماً وهيأت امرأته لنجينا مؤامرة عليه وقاية لنفسها من شره فقتله احد المقربين اليها سنة ٩٦ وعمره خمس واربعون سنة ومن آثاره في بلادنا خط ذكره رنان (في كتابه بعثة فونيقي صفحة ٣٤٠) عثر عليه في المحل المسمى درجة مار سمعان في الطريق من العاقوره الى اليموني كتب فيه اسم « العاهل دوميسيان اغوسطوس » فكأن هذا الملك فتح او مهد هذا الطريق الذي كان طريق الغزاة الى سورية في الجبل كما كان طريق نهر الكلب في الساحل وربما كانت هذه الطريق تمر بافقا وتنحدر في وادي نهر ابرهيم الى ان تبلغ جبيل

وخلف دوميسيان مرقس نرفا ابن كوشيوس الفقيه اقامه رجال الندوة سنة ٩٦ ولم يملك الا سنتين وكان ملكه مخالفاً لملك سلفه لانه عامل الرعية بالحلم والعدل لكنه رأى نفسه ضعيفاً عن الاحاطة بتدبير شؤون الملك فتبنا ترايانوس وتوفي سنة ٩٨ فخلفه في الملك واستمر فيه الى سنة ١١٧ ونرجي الكلام فيه الى الكلام في القرن الثاني

الفصل الاول

في اخبار سورية في المدة التي بين مولد المخلص وحرب اليهود والرومانيين

﴿ سنة ٤٧٦ ﴾

﴿في ارشيلاوس بن هيرودس﴾

ان هيرودس قد تزوج عشر نساء اولاهن دوريس ام انتيباتر الذي قتله قبل وفاته بخمسة ايام والثانية مريمنا ابنة اسكندر التي قتلها كما مر وكان له منها ثلاثة ابناء اسكندر وارسطوبولس اللذان اماتهما وهيرودس الذي مات في رومة وابنتان زوج احداهما بابن اخته صالومي والثانية بابن اخيه فازائيل والثالثة من نساء هيرودس بالاس ورزق منها ابناً سماه فازائيل والرابعة فدرة رزق منها ابنة اسمها دكسان تزوجت بابن فيروراس اخيه والخامسة مريمنا الاخرى ابنة سمعان الحبر وكان له منها هيرودس المسمى ايضاً فيلبوس الاول وهو زوج هيرودية وقد ولدت صالومي التي رقصت امام هيرودس انتيباس وسألته قطع راس يوحنا المعمدان والسادسة سامرية ولدت له ارشيلاوس الذي كلامنا هنا فيه وهيرودس انتيباس حاكم الجليل وانتيباس تزوج اولاً بابنة اريتاس ملك العرب ثم هيرودية امرأة اخيه وهو حي ولهذا كان يوحنا المعمدان يوبخه على ذلك. السابعة قلوبطرة وكان له منها ابنان هيرودس وفيلبوس الثاني رئيس الربع على ايطوريا (لجيدور في جنوبي دمشق وغربي اللجا) وكورة انطرخون (اللجا كما في الاعلام الكتابية) وقد تزوج فيلبوس بصالومي ابنة هيرودية المذكورة والثامنة اليد ولم يكن له منها الا بنت تزوجها ابن فيروراس اخيه والتاسعة ابنة اخيه والعاشرة ابنة عمه ولم يكن له منهما ولد

وقد غير هيرودس وصيته بالخلافة له مرات فاوصى اولاً ان يخلفه ابناه اسكندر وارسطوبولس ثم قتلهما واوصى لانتيباتر ثم اماته واوصى لهيرودس فيلبوس الاول ولما علم ان امه اشتركت في موامرة انتيباتر عليه رغب عنه واوصى اخيراً ان يخلفه ارشيلاوس في اليهودية والسامرة وهيرودس انتياس في الجليل وفيلبوس الثاني في اللجا والجولان الى ينابيع الاردن اي الى بانياس واوصى الى اخته صالومي بدخل مدن يمنة واشدود وفازاليس (في شمالي اريحا) وعلق تنفيذ وصيته هذه على ما يشأه اغوسطوس قيصر ليثبتها او يعدلها كيف شاء وقد ورث ابناء هيرودس الخلاف مع الخلافة له فكان احدهم ينازع الاخر ويباريه في استرضاء الشعب ليدلي بذلك الى ايثار اغوسطوس له وبعد ان انتهت ايام الحداد جمع ارشيلاوس الشعب في رواق الهيكل وخطب فيهم واعداً ان يقصي المظالم التي ادخلها ابوه ويرتب كل شيء على ما يهوى الجمهور فلم يكتف الشعب بهذه المواعيد المطلقة ورفع اليه عريضة يلتمس بها الحط من الخراج ونسخ الضرائب المفروضة على البيع والشراء وتخلية سبيل الاسرى سياسة ومعاقبة اعضاء اللجنة الذين قضوا بموت الشبان الذين تسببوا بطرح نسر الذهب عن الهيكل كما مر ثم تبديل رئيس الاحبار بحبر اخر اكثر اهلية فلم يرَ ارشيلاوس من السداد ان يذعن لسؤال الشعب ولم يشأ ان يتيرهم عليه فقال انه سيفعل ما يهوون وارجأ العمل به الى ان يثبت اغوسطوس وصية ابيه وكان حينئذٍ في اورشليم الوف من اليهود اتوا لعيد الفصح فاوغر الفريسيون صدورهم مذكرين لهم بقتل هيرودس يهوذا وماتيا وتلاميذهم فابوا الاذعان واصروا على اجابة سؤلهم للحال وتألبوا فارسل اليهم ارشيلاوس جنوداً يفرقون شملهم وتلقاهم اولئك يرمونهم بالحجارة حتى الجأوهم الى الهرب فجمع ارشيلاوس جنوده وساقهم اليهم آمراً ان يبطشوا بهم واقام فرساناً في السهل ليقبضوا على من يفرون فقتل من اليهود يومئذٍ ثلاثة آلاف رجل

ثم مضى ارشيلاوس واخوته الى رومة يسألون اغوسطوس ان يثبت وصية ابيهم او يلغيها وكان كل منهم يخاصم الاخر وما زايلوا اليهودية الا والقى ذوو الاهوآء والمفاسد الشقاق بين الاهلين حتى اصبحت اليهودية ساحة قتال وقام كثير من روساء الاحزاب فسموا نفوسهم ملوكاً وكثر القتل والنهب وحرق المدن وكان ارشيلاوس قبل شخوصه الى رومة سأل كونتيليوس فاروس والي سورية من قبل اغوسطوس ان يبقى في اليهودية ليقي البلاد من الهياج فاقام مدة هناك وعاد الى انطاكية قصبة ولايته ووكل الى سابينوس خازن اغوسطوس الذي كان ارسله ليأخذ خزائن هيرودس ان يعنى بحفظ السلام في اليهودية فاتى سابينوس الى اورشليم وبدلاً من ان يطفىء النار المتقدة نفخ فيها ليزيدها اضطراماً وكان حينئذٍ عيد البنديكستي فاقبل الى اورشليم اليهود من كل فج ودار في خلد اكثرهم ان يبطشوا بالرومانيين والهيرودیين وكانت بينهم منازعات افضت الى قتل كثيرين منهم والى تشتيت شملهم فانتهب الرومانيون الهيكل واخذ سابينوس وحده اربع مائة وزنة ودنسوا الهيكل واحرقوا رواقه فاشتد حنق الشعب لذلك وانحاز كثير من عسكر الهيرودیين الى اليهود لينجدوهم على قتال الرومانيين وحاصر الثائرون بلاط هيرودس واخذوا ينقبون تحته ليتداعى البناء فاعتزل سابينوس واقام في الحصن المحاذي القصر فحاصروه فيه واستنجد سابينوس فاروس والي سورية فاتى الى نجدته بعشرين الف رجل واستدعى اريتاس ملك العرب فلبى دعوته واحدث جنوده وعساكر هذا الملك اضراراً لا تقدر في الجليل واليهودية ولما بلغ فاروس الى اورشليم ارتاع من كانوا محاصرين سابينوس وارفض جمعهم واخذ فاروس منهم الفي اسير علقهم على صلبان فلم تكن هذه الثورة الا لزيادة اذلال اليهودية واستعباد الرومانيين اهليها ومنذ حينئذٍ ابقى الرومانيون في اورشليم فريقاً من جنودهم يحفر عليها

اما ارشيلاوس واخوته فكان يقرّع احدهم الآخر ويسعى به حتى حمل تدنّيهم وخلافهم اغوسطوس على ان يعتد جميعهم غير اهل للملك وكان اليهود انفذوا اليه خمسين رجلاً يشكون من آل هيرودس ويستميحونه ان يضم اليهودية الى سورية ويجعلها اقليماً رومانياً ولا يبقي لليهود الا على استقلالهم في امور مذهبهم وشفع بهم في مطلبهم الى اغوسطوس ثمانية الاف يهودي من سكان رومة على ان اغوسطوس اثبت وصية هيرودس الا انه لم يسمح لارشيلاوس ان يسمى ملكاً بل والياً او رئيساً على اليهودية والسامرة وادوم ووعده ان يسميه ملكاً ان جعل نفسه اهلاً للملك على ان ولاية ارشيلاوس لم يكن فيها ما يهم وقد تزوج بكلافيرة ارملة اخيه اسكندر ابنة ارشيلاوس ملك الكبادوك خلافاً لسنة التوراة لانها ولدت اولاداً لاسكندر واعتت مسوديه واعتسف فشكوه الى اغوسطوس ولم يشأ ان يكاتبه بل ارسل يستدعيه الى رومة فشخص للحال اليها ولم يتيسر له ان يبرئ نفسه من الشكايات الواردة عليه فعزله اغوسطوس ونفاه الى فيان في افرنسة ودامت ولايته عشر سنين او تسعاً ولا يعلم متى مات في منفاه وقول متى فيه (في انجيله ف ٢ عد ٢٢) «انه صار ملكاً على اليهودية» معناه صار حاكماً او والياً او ان ذويه كانوا يسمونه ملكاً . وبعد نفي ارشيلاوس الحق اغوسطوس اليهودية وما يليها بولاية سورية وكان الرومانيون مع ذلك يقيمون عليها ولاةً او نواباً ولولاة سورية الامر عليهم

عد ٤٧٧

في هيرودس انتيباس وفيلبس

قد اجاز اغوسطوس وصية هيرودس ان يكون هيرودس انتيباس والياً في الجليل وفيلبوس الثاني والياً في الجيدور والاتا وحوران واستمرا على ذلك زماناً طويلاً لاننا نرى لوقا البشير ذكرهما (ف ٣ ع ١) عندما ذكر مجيء يوحنا المعمدان

لينذر في اليهودية اذ قال «في سنة خمس عشرة من ملك طيباريوس قيصر في ولاية بيلاطوس البنطي على اليهودية وهيرودس رئيس الربع على ايطوريا وكورة انطرخون وليسانيوس رئيس الربع على الابلية وحنان وقيافا رئيسا الكهنة كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا الخ» ومن اخبار هيرودس هذا انه حصن ووسع مدينة بيت صيدا وسماها جولية نكرمة لجولية جدة اغوسطوس قيصر او ابنته وبنى على بحيرة جانسر مدينة سماها طيبارية اجلالاً لطيباريوس قيصر وقد تزوج ابنة اريتاس (الحارث) ملك العرب ثم طلقها نحو سنة ٣٣ للميلاد وتزوج بهيرودية امرأة اخيه فيلبوس وهو حي وكان يوحنا المعمدان يقيم النكير عليه موبخاً له على هذا الزواج المخالف للسنة فالقى هيرودس يوحنا في السجن الى ان امر بقطع رأسه اجابة لسؤال ابنة هيرودية بايعاز امها كما جاء في الاناجيل متى ومرقس ولوقا فاثار اريتاس حرباً على هيرودس ليثأر لابنته التي طلقها فاستظهرت جنود اريتاس على جنود هيرودس وشتتوا شملهم وقد اطرفنا يوسيفوس اليهودي شهادة ناطقة بصحة ما رواه الانجيليون عن يوحنا المعمدان اذ قال (في تاريخ اليهود ك ١٨ فصل ٧) ما ترجمته «قد ايقن كثير من اليهود ان انكسار جنود هيرودس كان عقاباً من الله له لما اجراه على يوحنا الملقب المعمدان وكان هذا رجلاً متسامياً في التقوى يحض اليهود على الاستمساك بالفضيلة والاستمارة بالبر وقبول المعمودية بعد استرضاء الله بالتوبة وان لا يكتفوا بان لا يقترفوا الاثم بل ان يقرنوا طهارة الجسد الى طهارة النفس وكان جم غفير من الشعب يتبعه ويسمع تعليمه وخشي هيرودس ان ما كان له من السلطان عليهم يبعثهم على ثورة عليه لانهم كانوا متأهبين ان يصنعوا كل ما يأمرهم به فرأى ان يتدارك الضر قبل وقوعه فالقى يوحنا في السجن في قلعة مشيرا فعزا اليهود خذلان جنوده الى حكم الله العادل جزاء له على عمله الجائر» فكلام يوسيفوس هذا يطابق كلام الانجيليين في المعمدان

الا في سبب طرح هيرودس له في السجن فان يوسيفوس روى السبب الذي تحله هيرودس لسجنه والانجيليون رووا الحقيقة وهي مقاومة يوحنا له في اخذ امرأة اخيه

وكان فيلبوس اخو هيرودس انتيباس والي الجيدور وآلاجا وحوران قد ادركته الوفاة سنة ٣١ للميلاد ولم يكن له ولد الا صالومي التي رقصت امام هيرودس وطلبت راس يوحنا وكان اغريبا بن ارسطوبولس بن هيرودس الكبير تربى في رومة وكان ملوكها يعرفونه وكان كاليكولا غايوس الذي ارتقى الى منصة الملك بعد وفاة طيباريوس سنة ٣٧ يعزه فاقام اغريبا على ولاية فيلبوس سنة ٣٩ للميلاد والحق بها ولاية ليسنياس وسماه ملكاً فاخذت الغيرة اخته هيرودية زوجة هيرودس انتيباس فزينت لزوجها ان يمضي الى رومة ويستعطف غايوس ان يسميه ملكاً فمضى وصحبته هيرودية آملة ان حضورها في رومة يسر لبعلها نيل ما يبتغي على ان اغريبا كتب الى العاهل يشكو صهره انتيباس انه كان محازباً لسجان في موامرته على طيباريوس وانه يتالىء ارتبان ملك البرتيين على مناوأة الرومانيين واورد بينة لشكواه ان في خزائن انتيباس اسلحة تكفي لسبعين الف رجل فاستشاط غايوس غضباً وسأل انتيباس هل من صحة لما يقال ان عنده من السلاح فلم يجسر ان ينكر ذلك فعزله للحال عن ولايته ونفاه الى ليون وترك لهيرودية ما كان لها من المال ووعد ان يعفو عنها حباً باخيها اغريبا فاثرت النفي مع زوجها روى ذلك يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٨ فصل ٩) لكنه روى في محل اخر (في تاريخ حرب اليهود ك ٢ فصل ١٦ وما يليه) انه نفي الى اسبانية ومات هناك فقال بعضهم ان غايوس مضى في السنة التالية الى افرنسة فابعد انتيباس من ليون الى اسبانية ولم نعثر على ما يحقق سنة موته وهيرودس انتيباس هو الذي ازدرى بالمسيح حين آلامه والبسه ثوباً قرمزياً

﴿ عد ٤٧٨ ﴾

في ليسانيوس ويسمى ليسانياس

واما ليسانيوس فالصحيح ما رواه يوسيفوس انه ابن ليسانيوس الشيخ والي الابلية قال ستروس « ان لوقا زعم ان ليسانيوس (او ليسانياس) كان مالكاً بعد مولد المخلص بثلاثين سنة مع انه لا مراء في انه قتل قبل مولده بثلاثين سنة فهذه هفوة صغيرة بستين سنة » فهذا الجاحد لم يميز بين ليسانياس الاول وليسانياس الثاني فالاول كان قبل تعميد يوحنا بستين سنة لكنه لم يكن رئيس الربع على الابلية بل كان حاكماً في كاشيس الاتي بيان موقعها وقد ذكره يوسيفوس (في تاريخ اليهود ك ١٤ فصل ٧) فهذا ظنه ستروس جهلاً او تجاهلاً ليسانياس الذي ذكره لوقا وقد كشفت الآثار القديمة عن وجه هذه الحقيقة ناطقة بتخطئة ستروس فاول ملك معروف من آل ليسانياس هو بتلمايس ابن مينا ذكره يوسيفوس في تاريخ اليهود (ك ١٣ فصل ١٥) وكان شيخ عرب رحل في انحاء دمشق يسطو على ابناء السبيل وكان نحو سنة ٨٥ ق م وارسلت اليه اسكندرة ارملة اسكندر ملك اليهود ابنها ارسطوبولس ليردعه عن سطوه على دمشق (يوسيفوس في المحل المذكور فصل ١٦) ولما اتى بمبايوس الى دمشق سنة ٦٣ كان بتلمايس حاكماً في كلشيس (يوسيفوس ك ١٤ فصل ٧ واسترابون ك ١٦ فصل ٢) وهي المعروفة اليوم بعنجر على طريق العربات من بيروت الى دمشق على بعد ربع ساعة من محطة المصنع (روبنسون في المباحث الكتابية في فلسطين وشوفة وايزمبر في سورية وفلسطين وغيرهم) فابقى بمبايوس بتلمايس على ولايته بعد ان غرمه مبلغاً وافراً الى ان توفي سنة ٣٩ او سنة ٤٠ ق م

وخلفه ابنه ليسانياس (يوسيفوس في المحل المذكور وفي تاريخ حرب اليهود ك ١ فصل ٩) ولم يهنأ ليسانياس زماناً طويلاً بملكه لان قلوبطرة ملكة

مصر حملت مرقس انطونيوس على قتله سنة ٣٤ ق م واخذت بعض املاكه (يوسيفوس ك ١٥ فصل ٤) وكان ليسانياس هذا حاكماً في كلكيس والابلية وفي لبنان الشرقي وبعلبك وتمتد ولايته الى بانياس والسهول المحاذية لها الى بحيرة الحولة . ووجد شيء من مسكوكات ليسانياس وعلى رأسه تاج من جهة وفي الجهة الاخرى صورة بالاس واقفة مع خطوط دالة عليه ولا تاريخ عليها فقال بعضهم انها لليسانياس الثاني ومنهم رنان (في مذكراته لجمعية الخطوط القديمة) وقال غيرهم انها لليسانياس الاول ابن بتلمايس

ولم تستمر ولاية قلوبطرة على املاك ليسانياس الا زمناً وجيزاً وبعد انتحارها خلف ليسانياس ابنه زينودر حاكماً في الجيدور واللجا وحوران ايضاً (يوسيفوس ك ١٥ فصل ٩) ولكن في سنة ٢٣ ق م اعطى اغوسطوس هيرودس هذه الاعمال وبقي لزينودر كلكيس والابليه وبعلبك (يوسيفوس في المحل المذكور واسترابون ك ١٦ فصل ٢) ووجدت مسكوكات لزينودر مؤرخة سنة ٢٨٠ و٢٨٢ و٢٨٧ للسلوقيين اي سنة ٣٢ و٣٠ و٢٦ قبل التاريخ المسيحي ومات زينودر في انطاكية سنة ١٩ ق م (يوسيفوس ك ١٥ فصل ١٠) فاعطى اغوسطوس هيرودس بانياس وسهول الحولة وابقى لذرية ليسانياس وزينودر كلكيس والابلية وبعلبك

وقد وجد بوكوك الجوالة الانكليزي الشهير سنة ١٧٣٧ صفيحة في اخربة الابلية نفسها في حائط معبد صغير كتب عليها ما يبين جلياً انه كان في ايام طيباريوس حاكم يسمى ليسانياس رئيس الربع في الابلية وله خادم اسمه نمفا وليسانياس هذا ليس ابن بتلمايس الذي ادركته الوفاة قبل تعميد يوحنا بسنتين سنة بل ليسانياس الثاني بدليل انه كتب في السطر الاول من هذه الصفيحة « تجلة للاغوسطسين » فالاغوسطسان هما طيباريوس وامه ليفية التي تزوجها اغوسطوس قيصر بعد ان كانت زوجة ابي طيباريوس قال رنان نفسه (في مذكراته المار ذكرها) « ان اسم

الاغوسطسين الذي كتب في الصفيحة لا يمكن ان يكون المراد به مرقس اوريليوس وفارس اذ لم يكن حينئذٍ عين ولا اثر لليسانياس رئيس الربع ولا يصدق على احد قبل طيباريوس اذ لم يكن شخصان من السلالة الملكية يسميان اغوسطوس وليفية لم تسمَ اغوسطا في حياة زوجها اغوسطوس بل سميت بعد وفاته جولية اغوسطة فاذًا قد كتبت هذه الصفيحة في المدة التي بين سنة ١٤ للميلاد التي قضى فيها اغوسطوس وبين سنة ٢٩ التي ماتت فيها ليفية ، اذا هذه الصفيحة النفيسة تثبت ان سلالة ليسانياس لم تنقرض بموت زينودر بل كان ملك اخر منها في ايام طيباريوس يسمى ليسانياس الثاني بهذا الاسم وهو الذي ذكره لوقا البشير

ثم قد وجدت صفيحة اخرى في بعلبك لكنها محطمة فوجد بوكوك فلذتين منها في اواسط القرن السالف وعثر بروكيّ على فلذة ثالثة منها سنة ١٨٢٣ وكشف دي سولسي سنة ١٨٥١ عن فلذة رابعة ولم يتكامل عدد فلذاتها ولكن ما وجد منها الى الان واف بالغرض مع تكملة بعض حروف ساقطة من الاصل واليك ما كتب فيها ، قد اقامت ابنة هذا الاثر ذكرًا لزينودر (ابن) ليسا (نياس) (رئيس الربع) ولليسا (نياس) وابنا (له) ، والظاهر من ذلك ان ابنة (اسم ابيها او زوجها ساقط) اقامت هذا الاثر ذكرًا لزينودر بن ليسانياس الاول وذكرًا لليسانياس الثاني وابنيه ويتضح جليًا من هذه الصفيحة انه كان بعد زينودر بن ليسانياس ليسانياس اخر هو الذي ذكره لوقا فقبل هذه الاكتشافات كان للعلماء مذاهب في حل هذا المشكل لم تبلغ التوكيد اللازم واما الان فلم يعد محل للامتراء في صحة قول الانجيلي حتى اقر رنان نفسه بصحة مقاله (في مذكراته المثبتة في منشورات جمعية الخطوط القديمة سنة ١٨٦٧ جزء ٢ صفحة ٨٠ (ملخص عن الكتاب الموسوم بالعهد الجديد والاكتشافات للاب فيكورو راس ٢ صفحة

١٢٣)

وقال رنان ايضاً (بعثة فونيقي صفحة ٣١٩) في كلامه على الخط المذكور الذي وجد في بعلبك ما ملخصه، ان ليسانياس توفي سنة ١٩ ق م وهذا الخط اثبت ان اسرة ليسانياس الوالي استمرت بعد وفاته وبقي منها افراد يسمون ليسانياس وهذا مهم في المبحث الذي نشأ بسبب قول لوقا فصل ٣ عد ١ ففي هذا الخط اسم ليسانياس بمنزلة والٍ في الابلية سنة ٢٨ للميلاد وهذا اولى في تفسير قول لوقا من افتراض غلط في نصه بمدة ستين سنة ، فهذه شهادة جاحد لصحة الانجيل ولاهوت المسيح

وقد توفرت قبلاً الاقوال وتضاربت في موقع الابلية ولم يبقَ الان من ريب في ما قاله الاب فيكورو في المحل المذكور (وفي معجم الكتاب في كلمة ابيلا) انها كانت في موضع سوق وادي بردا في سفح جبل لبنان الشرقي من جهة الشرق ومما حقق ذلك خطوط وجدت في هذا المحل ومنها خطان نقشا على جانبي الطريق المفتوحة هناك كتب فيهما ، ان العاهلين مرقس اريليوس ولوشيوس فاروس اوريليوس فتحا طريق النهر بخرقهما الجبل على نفقة اهل الابلية بعناية فاروس صديقهما والي سورية ، (رواه ودينكتون خط ١٨٧٤) وهذا الخط كتب بين سنة ١٦٣ و١٦٤ و١٦٥ وهناك ايضاً خط ذكره ودينكتون (عد ١٨٧٥) كتب فيه ، لسلامة الملكين انطونيوس وفاروس اقام هذا النصب نذرًا فالوسيوس مكسيموس قائد الفرقة ١٦ الذي وقف على العمل ، وعلى مقربة منها مدفن يعرف بقبر ابيل (والعامة تقول هابيل) ووهم بعضهم انه قبر هابيل بن آدم والامثل انه قبر احد الاسرة الذي نسب المحل اليها (معجم الكتاب لفيكورو)

عد ٤٧٩

في ولاة اليهودية بعد الميلاد الى بيلاطوس البنطي

ان اغوسطوس بعد ان نفى ارشيلاوس عن ولاية اليهودية والسامرة وادوم في السنة العاشرة من ولايته وهي الحادية عشرة للميلاد جعل اليهودية وما يليها اقليماً رومانياً وارسل لتدبير شؤونه كوبونيوس بصفة نائب عن الملك واماسورية فكان يليها قورينوس كما مرّ وخلف كوبونيوس في اليهودية ماريوس اميفيوس الى ان استدعاه اغوسطوس الى رومة ونصب مكانه اينوس روفوس وفي ايام ولايته ادركت المنية اغوسطوس قيصر وخلفه طيباريوس للسنة الرابعة عشرة للميلاد وفي سنة ١٥ ارسل طيباريوس الى اليهودية فالريوس كراتوس واستمر والياً فيها الى سنة ٢٥ للميلاد اذ ولى طيباريوس بيلاطوس البنطي وفي عهده تم سر الفداء العظيم بموت المخلص على الصليب ومن اخبار بيلاطوس انه بينما كان في قيصرية يمضي فصل الشتاء ارسل جنوده الى اورشليم وعلى اعلامهم صورة الهاهل فاستاء اليهود من ذلك لحظر سنتهم عمل الصور وتسارعوا اليه الجم الغفير يلحون باخراج تلك الصور من اورشليم فامسك عن اجابة سؤلهم سبعة ايام محتجاً بان اخراجها مهين للملك فلم يكفوا عن الحاحهم فامر جنوده ان يقبضوا عليهم وصعد على منبر يتهددهم بالقتل ان اصروا على عنادهم فانطرحوا على الارض وكشفوا عن اعناقهم قائلين اولى بنا ان نموت من ان نخالف سنتنا فعجب من ثباتهم وتشبثهم بدينهم وامر ان يؤتى بتلك الاعلام من اورشليم الى قيصرية . ومن ذلك ايضاً انه اراد ان يأخذ مالاً من خزينة الهيكل ليجر الماء الى اورشليم من منبع يبعد عنها مئتي غلوة فثار الشعب واتى كثير منهم الى بيلاطوس يسألونه الانكفاف عما جزم عليه وكان ما يحدث عادة في هذه الاجتماعات اي ان بعض الثائرين اسمع الوالي ما يهينه فامر جنوده يتأبطوا هريهم تحت ثوابهم ويحدقوا

بهم ولما لم يكفوا عن سجنهم امر بضربهم ثم يقف الجنود على حد امره فاوقعوا بكل من استطاعوا ثائراً كان ام بريئاً فقتلوا وجرحوا كثيرين (يوسيفوس ك ١٨ فصل ٤) ومن اخباره ايضاً ما ذكر في بشارة لوقا (فصل ١٣ عد ١) من ان قوماً اخبروا المخلص عن الجليليين الذين خلط بيلاطوس دماءهم بذبائحهم فقال اتظنون ان اولئك الجليليين كانوا اخطأ من كل اهل الجليل واوجه الاقوال في هولاء انهم كانوا من تباع يهوذا الجولاني الذي ابتدع بدعة وتابعه عليها قوم انه لا يحل اداء اليهود الجزية لقيصر الوثني فقتل بيلاطوس بعضهم اذ كانوا يقدمون ذبائحهم

وانبأنا يوسيفوس وفيلون ان بيلاطوس كان بخيلاً جداً طماعاً محباً المال يضحي في سبيل كسبه اقدس فروض العدل وقد تألب السامريون في ايامه ليصعدوا الى جبل غريزيم باسلحتهم لان ماكراً وعدهم ان يريهم الآنية المقدسة التي قال ان موسى اخفاها هناك فعاجلهم بيلاطوس بجنوده وهزمهم وقطع رؤوس وجهائهم فشكوه الى ويتلوس والي سورية الذي كان قنصلاً فامره ان يذهب الى رومة ليبرىء نفسه من هذه القسوة الشديدة وارسل مرشلوس صديقه يدبر امور اليهودية فسار بيلاطوس الى رومة بعد ان ولي اليهودية عشر سنين والتقليد القديم جداً انه نفى الى فيان في افرنسة وانه انتحر هناك ليأسه كما روى اوسابيوس (ك ٢ فصل ٧)

روى القديس يوستينوس الشهيد (في محاماته) وترتوليانوس (في محاماته فصل ٥) واوسابيوس (في التاريخ البيعي ك ٢ راس ٢ فصل ٢) وتابعهم كثيرون من القدماء والمحدثين ان بيلاطوس عملاً بعادة الولاة الرومانيين ان يرفعوا تقريراً للعاهل في كل حادث مهم قد كتب لطيباريوس يخبره بامر يسوع المسيح وما صنع من الآيات وصلب اليهود له وقيامته بعد موته وان العاهل كتب الى الندوة

ما يشعر بانه متيقن بصحة ما عمله المسيح وانه يريد ان يخص بالاكرام الذي يجلون به الالهة على ان رجال الندوة لم يتابعوه على تيقنه ورغبته ان ذكر ترتوليانوس والقديس يوستينوس رسالة بيلاطوس كما مر لا يقام عليه نكير وكلامهما مؤذن بان تلك الرسالة كانت تتداولها ايديهم على ان اوسابيوس والقديس ايرونيموس اللذين دققا في هذه الامور ومن كتب بعدهم لا يظهر انهم رأوا تلك الرسالة او طالعوا اصلها لان نسخها الكثيرة التي بين ايدينا الان ليست عن الاصل ولا قديمة ولا تطابق احداها الاخرى والقديس غريغوريوس اسقف طور في فرنسة ذكر نسخة منها واعتدها من قلم بيلاطوس حقيقة مع ان جوهرها مأخوذ عن الانجيل المنسوب الى نيقوديموس والحاصل قد اختلفت اقوال الآباء والعلماء في صحة رسالة بيلاطوس هذه الى طيباريوس الملك وقد ذكر هذه الاقوال كلمت في معجم الكتاب في كلمة بيلاطوس ونطاليس اسكندر (في تاريخ القرن الاول فصل ٤) والاولى ان يقال في هذا الشان ما قاله دومينيك منسي في حواشيه على تاريخ نطاليس المذكور ومؤداه « انه لا مراء في ان بيلاطوس البنطي كتب الى طيباريوس منبئاً بما صنعه المسيح وما صنعه اليهود به لانه واضح من رسالة بلين الشهيرة الى ترايانوس ان الولاة الرومانيين كانوا ينبئون العاهل بكل ما يحدث في الاقاليم المولين عليها ولكن هل بقيت رسالة بيلاطوس الى طيباريوس حتى الان فهذا لا يمكن تاكيده وهبها باقية فلا يمكن تمييزها عن غيرها من الرسائل الكثيرة والمختلفة التي اذاعها بعضهم مأخوذة عن الكتب القديمة المخطوطة ولا يعلم ايها صحيح وايها كاذب وقد جمع فبريشيوس نسخاً عديدة من هذه الرسالة » الى ان قال منسي « انه وجد نسخة في كتاب قديم خط في القرن الثامن وسيذيعها وهي تخالف النسخ التي ذكرها فبريشيوس » واليك رسالة بيلاطوس الى طيباريوس عن نسختها الاكثر تداولاً « من بيلاطوس البنطي الى طيباريوس الملك السلام قد

حدث في هذه الاثناء بحسد اليهود ما كنت انا شاهداً له فان الله وعد اباهم ان يرسل اليهم من السماء قدوسه فيكون ملكهم الحقيقي ويولد من عذراء فانجز الله لهم وعده في مدة ولايتي على اليهودية ولما رآه اليهود يرد البصر على العميان ويشفي المخلعين ويطهر البرص ويطرد الشياطين ويقيم الموتى ويأمر الارياح فتطيعه ويمشي على البحر ولا تبتل قدماه ويصنع آيات اخرى كثيرة جعلت الشعب يحسبه ابن الله فحسده روساء اليهود وقبضوا عليه واسلموه اليَّ واقاموا عليه شكاوى كثيرة كاذبة وقالوا انه ساحر وناقض لسنتهم وانا لظني ما يقولونه صحيحاً جلدته وسلمته اليهم فصلبوه واقاموا على قبره حراساً لكنه قام في اليوم الثالث بينما كان جنودي يحرسون قبره فاليهود بخبثهم اعطوا الحراس فضة واوعزوا اليهم ان يقولوا ان تلاميذه سرقوا جثته فاخذ الجنود الفضة وما تمالكوا ان يخفوا ما كان حقيقاً فقالوا ان يسوع المسيح قام وان اليهود رشوهم بفضة ليخفوا الخبر فلهذا رأيت من فروضي ان اصدقك الحديث على الحقيقة كي لا يصدق كذب اليهود ،

عد ٤٨٠

اغريبا

ان غايوس الحق ولاية هيرودس اي الجليل وعبر الاردن بمملكة اغريبا سنة ٤٠ للميلاد بعد ان سماه ملكاً على ولاية فيلبوس عمه سنة ٣٩ كما مر في عد ٤٧٧ وهام غايوس بان يحسب الهاً ويجعل كالالهة واراد نصب تمثاله في هيكل اورشليم فقاومه اليهود شديد المقاومة واتصل الخبر بغايوس واغريبا في رومة فاستدعاه وهدده وتوعد اليهود لانفرادهم في مضادته حتى غمي على اغريبا وحمل الى فراشه ولما افاق كتب رسالة مطولة الى غايوس حملته ان يرغب ولو الى زمان عن اقامة تمثاله في الهيكل الى ان حدثت مؤامرة على غايوس لجوره وبغيه على الرومانيين ايضاً حتى قيل انه كان عند حنقه يبدي تمنيه لو كان لجميع

الرومانيين راس واحد ليقطعه بضربة واحدة كما مر واغتاله رئيس حرسه في الرابع والعشرين من كانون الثاني سنة ٤١ للميلاد وكان اغريبا باقياً في رومة وكان له باع طويل في تسنم كلود منصة الملك ولما استتب له كافأه عن ايادية باعطائه اليهودية كلها فاصبحت مملكة اغريبا فسيحة الارجاء واربت على مملكة جده هيرودس الكبير فسر اليهود به وطابت نفوسهم على ان رغبته في ارضائهم وغلوه في التشبث بسنتهم بغشاه على الجور والبغي فقبض على يعقوب بن زبدى اخي يوحنا وقتله بالسيف سنة ٤٤ للميلاد كما جاء في كتاب اعمال الرسل (فصل ١٢ عد ١ وما يليه) الذي يسميه هيرودس ثم قبض على بطرس الرسول واودعه السجن ليقتله بعد الفصح فجاه ملك الرب بمعجزة كما سيأتي

قد انبأنا يوسيفوس (ك ١٩ في تاريخ اليهود فصل ١) ان اغريبا هذا انال بيروت كثيرًا من فضله فلم يضن بنفيس في بنائه فيها ملعباً **Théâtre** ومشهدًا **Amphithéâtre** وحمامات وايوانات جميلة فانشدت في هذا المشهد اغاني لم تسمع قبلاً وشوهدت فرج لم يسبق لها نظير ولكي يرى الشعب مثالاً للحرب في بحبوحة الامن أتى الى هذا المشهد باربع مئة رجل وقضى عليهم بالموت وقسموا الى قسمين فاقتتلوا واستلحموا حتى لم يبق فيهم حي

وانبأنا يوسيفوس ايضاً (في المحل المذكور) ان اغريبا اتى الى قيصرية في السنة الرابعة لملكه يشهد الملاعب المقامة تجلة للعاهل الروماني وكان هناك عظماء المملكة وشرفاؤها وبكر في اليوم التالي الى الملعب وعليه حلة نُسجت بخيوط من فضة ولما وقعت عليها اشعة الشمس انبعثت منها انوار ساطعة تغشي الابصار فقال المتملقون الذين يفسد كلامهم قلوب الحكام كالسم الناقع انهم اكرموا ملكهم الى حينئذٍ كانسان لكنهم يرون انه يلزم اجلاله كاله لانه يظهر لهم انه فوق طبيعة المائتين فسكت اغريبا على هذا الكفر بدلاً من ان يجزى قائله شر الجزاء ورفع نظره الى

ما فوق فوجد فوق رأسه بوماً على حبل فاعتده شؤماً عليه وتطير به وتنفس الصعداء وشعر بغيض يقطع امعاءه والتفت الى اصحابه قائلاً هوذا من جعلتموه يظن نفسه غير مائت يفاجئه الموت سريعاً فحمل الى قصره يكابد مر العذاب خمسة ايام وقضى في الخامسة والخمسين من عمره وفي السابعة لملكه انتهى كلام يوسيفوس ملخصاً وهو مصداق لما جاء في كتاب اعمال الرسل (فصل ١٢ عد ٢٠ وما يليه) حيث قيل « وكان (هيرودس اغريبا) حنقاً على الصوريين والصيداويين فحضروا اليه بنفس واحدة وبعد ان استعطفوا بلستس الناظر على مخدع الملك التمسوا المصالحة لان طعام بلادهم كان من ارض المملكة وفي يوم معين لبس هيرودس الحلة الملكية وجلس على المنبر وخطب فيهم وكان الشعب يصيح ان صوته صوت اله لا صوت انسان وفي الحال ضربه ملاك الرب لانه لم يعط المجد لله فاكله الدود واسلم الروح »

ومن الآثار ما ذكره ودينكتون (في كتابه في الخطوط اليونانية واللاتينية في سورية) فان الخط ٢٣٢٩ الذي وجده في قنوات حوران كتب فيه « اغريبا الملك العظيم محب قيصر والرومانيين » والباقي محطم ولكن يؤخذ منه ان اغريبا (ورجح ودينكتون ان المراد اغريبا الاول) اذاع منشوراً يوبخ فيه اهل هذه البلاد على عيشتهم الهمجية ويحثهم ان يبنوا لانفسهم بيوتاً ويرعووا عن نوع معيشتهم وهذا رواه المؤرخون في تلك الايام لا سيما عن سكان حوران والاجا فانهم قالوا انهم كانوا يأوون الى مغاور حرجة المدخل فسيحة الداخل لا مدن لهم ولا ارضين تحرث وكان لاهل البثنية نوع ما من الحضارة والخط ٢٢١١ الذي وجده في المشنف (في البثنية) كتب فيه « لسلامة مولانا الملك اغريبا اقام .... والباقي محطم فكان المراد ان رجلاً ما اقام تمثالاً او اثراً لاغريبا وقال ودينكتون ان المراد هنا قطعاً اغريبا الاول وكلمات الخط مؤذنة بانه

كتب بعد عود اغريبا من سفره الى رومة ابان موت كاليكولا وتملك كلود سنة ٤١ ويستفاد منه امتداد ملك اغريبا الى المشنف والحط ٢٤١٣ الذي وجده في حوران كتب فيه « في السنة الثالثة لمولانا الملك اغريبا اقام اويدوس مليكاتو مذبحاً او نصباً للمشتري » ورجح وينكتون ان الكلام في اغريبا الاول

عد ٤٨١

في اغريبا الثاني

هو ابن اغريبا الاول ووصفه يوسيفوس بالصغير او الشاب تمييزاً له عن ابيه قد ولد سنة ٢٧ في رومة لاقامة ابيه حينئذٍ فيها واستمر ثم الى ان توفي ابوه سنة ٤٤ وكان له وقتئذٍ من العمر ١٧ سنة فوعده كلود بالخلافة لوالده لكنه اخلف وعده لدواعٍ ابانها له مستشاروه وبعث الى اليهودية كسيوس فاروس ليليها نيابة عنه ثم جعل سنة ٥٠ اغريبا ملكاً على كاشيد امارة صغيرة في لبنان الشرقي كانت قصبتها كاشيد محل عنجر كما مر وكان يليها قبله عمه هيرودس اخو اغريبا الاول وكان كعمه مقلدة اليه حراسة هيكل اورشليم وخزينته والسلطان على تسمية روساء الكهنة وفي سنة ٥٢ اقامه كلود ملكاً على الربع الذي كان لفيلبوس وهو الجولان والجيدور واللجا وحوران ثم ضم اليه ولاية الابلية التي كان فيها ليسنياس وغيرها من المدن (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك ٢٠ في فصول) ومسكوكات اغريبا كثيرة واليك مثالاً منها فترى على الوجه الاول مثال راس اغريبا مكتوباً حوله باسيلاوس اغريبا اي الملك اغريبا وعلى الوجه الثاني مثال مرساة وعلامة دالة على عشرة اي السنة العاشرة ولعل المراد السنة العاشرة من تاريخ كاشيد وهي الثامنة والخمسون للميلاد

قد صحب اغريبا جنود الرومانيين في حملتين على البرتيين وارمينيا ولما ثار اليهود سنة ٦٦ على فلورس والي اليهودية لاعتسافه وجوره اتى اغريبا الى اورشليم يخمد جذوة ثورتهم واشار عليهم ان يخضعوا لفلورس الى ان يصل والٍ يخلفه فحنقوا عليه حتى اضطر ان يهرول هارباً من المدينة ولما التحم القتال ضم جنوده الى جيش الرومانيين وبعد اخذهم اورشليم وسعوا تخوم مملكته على ان اخبار هذا التوسيع وما كان من اغريبا بعده الى مماته نادرة وغير مؤكدة فقيل انه مات سنة ١٠٠ وعمره ثلث وسبعون سنة وقد وجدت قطعتان من سكته ضربتا سنة ٩٥ وقيل انه مات في رومة حيث اعتزل مع اخته برنيكة وكان اغريبا محباً العلوم والصنائع وخبيراً بسنن اليهود واسفارهم المقدسة كما يظهر من قول بولس الرسول له (اعمال الرسل فصل ٢٦ عد ٢ وما يليه) « اني احسب نفسي سعيداً ايها الملك اغريبا لاني احتج اليوم امامك ... ولا سيما وانت خبير بكل ما لليهود من سنن ومسائل » ومن قوله (عد ٢٦ و٢٧) « والملك الذي انا بين يديه اتكلم بجرأة هو عارف بهذه الامور ولا اظن انه يخفى عليه شيء منها لان ذلك لم يحدث في زاوية . هل تؤمن بالانبياء ايها الملك اغريبا انا اعلم انك تؤمن بهم » فقال اغريبا لبولس انك بقليل تقنعني ان اصير مسيحياً » وقد فسر بعض المفسرين الكاثوليكيين هذه الاية بمعنى ان اغريبا افحمته حجج الرسول وكاد يؤمن بالمسيح وقال غيرهم انه قال ذلك هازلاً والصحيح ان كلامه غامض مشكل ولا ريب في انه كان يدافع عن المسيحيين ولا اقل من انه لم يضادهم وانه تحقق براءة بولس لانه « قال لفستس كان يمكن ان يطلق هذا الرجل لو لم يكن رفع دعواه الى قيصر » عد ٣٢ وكان اليهود يأنون منه لمالأته الرومانيين وتوددة الى ولاتهم في اليهودية لا سيما فستس كما يظهر من الاركسيس (فصل ٢٥ عد ١٣ و١٤) وكانوا تشكونه بانه جعل تسمية الاحبار ذريعة لكسب المال وانه مالأ الولاة الرومانيين

على استنزاف خزينة الهيكل وانه كان مشغوفاً باخته برنيكة وقد ترك آثار ابنية في بيروت وطيارية (ملخص عن المعجم الكتابي لميكورو)

وقال يوسيفوس (ك ٢٠ من تاريخ اليهود فصل ١١) ان اغريبا زاد ابنية في قيصرية فيلبوس (بانياس) وجملها وسماها نيرونية اجلالاً لنيرون وبنى في بيروت ملعباً عظيماً وكان يصنع كل سنة ملاعب للشعب فيه وكان يوزع برًا وزيتاً على اهليها ولرغبته في تجميل هذه المدينة نقل اليها قسماً كبيرًا من كل ما كان نفيساً ونادرًا في غيرها من مدن مملكته من ذلك كثير من التماثيل البديعة للمشاهير القدماء فمقته مسودوه ولم يصبروا على ان ينتزع ما كان زينة في مدنهم ليزين به مدينة اجنبية

وانبأنا يوسيفوس ايضاً (في المحل المذكور) انه لما توفي فستس والي اليهودية وكان نيرون خلف الملك كلود سنة ٥٤ ارسل الين ليلي اليهودية وحدث حينئذٍ ان الملك اغريبا انتزع يوسف من رياسة الكهنوت وقلدها الى حنان بن حنان (الذي كان في عهد المخلص) وكان حنان هذا جسورًا متداماً ومن شيعة الصادوقيين الكثيري الغلو في سنة اليهود فانتهز فرصة وفاة فستس وتأخر الين عن الوصول الى ولايته فجمع مجمعاً واشخص فيه يعقوب اخا يسوع الملقب المسيح (هو يعقوب بن حلفى المعروف بالصغير تمييزًا له عن يعقوب بن زبدى المعروف بالكبير وهو من انسباء العذرا ويوسف ولذلك سماه اخا يسوع) وغيره وشكاهم بمخالفة السنة وقضى عليهم بالرجم فاسخط هذا التجني كل من كان في اورشليم من اولي التقوى والمحبة الحقيقية لحفظ السنة فارسلوا سرًا الى اغريبا يسألونه ان يردع حنان عن مثل هذا التجني اذ لا معذرة له بقبيح صنعه ومضى غيرهم الى لقاء الين الذي كان خرج من اسكندرية فاخبروه بما كان واوضحوا له ان حنان لم يكن ليسوغ له ان يعقد مجمعاً دون رخصة فكتب الى حنان يبين له سخطه عليه ويهدده

بالعقاب ولما رأى اغريبا حنق البين عليه عزله من رياسة الكهنوت التي لم يتقلدها الا اربعة اشهر واقام عليها يشوع بن دمناوس هذا ما ذكره يوسيفوس عدو المسيحيين ورواه ايضاً اوسابيوس في التاريخ البيعي (ك ٢) عن هاجيسيوس الذي كان في عهد خلفاء الرسل الاولين اي من سنة ١٣٠ للميلاد ونرجئ باقي الكلام في يعقوب هذا الى القسم الثاني من تاريخ هذا القرن اما اغريبا فبعد ان دمر الرومانيون اورشليم واليهودية اعتزل مع اخته برنيكة في رومة حيث قضى في اخر القرن الاول

ومن الآثار له ما ذكره ودينكتون من الخطوط التي عثر عليها في محال عديدة واولها الخط ٢١١٢ الذي وجده في قرية العيت في البثنية (مملكة باسان) حيث كتب، في عهد الملك العظيم مرقس يوليوس اغريبا، (والباقي محطم لا يتحصل منه معنى) فكأن ذلك كتب تحت تمثال او بناء والثاني عد ٢١٣٥ وجده في دير الشاعر من العمل المذكور كتب فيه «دارايوس الوالي من قبل الملك العظيم اغريبا» وقال ودينكتون روى يوسيفوس (كتاب ٢ في الحرب فصل ١٧) ان اغريبا استأتى من حوران واللجا والبثنية ثلاثة الاف فارس وارسلهم الى اورشليم في اول ثورة اليهود حباً بالسلام وامر عليهم دارايوس فلا ريب في ان دارايوس هذا هو الوارد اسمه في هذا الخط والثالث عد ٢٣٦٥ عثر عليه في سيع على نصف ساعة من قنوات كتب فيه «اقام هذا البناء افاروس واغريبا ابنه في عهد الملك العظيم اغريبا محب قيصر وصديق الرومانيين ابن الملك العظيم اغريبا محب قيصر وصديق الرومانيين» والرابع عد ٢٥٥٢ وجده في حلبون على مقربة من دمشق كتب فيه «في عهد الملك العظيم مرقس يوليوس اغريبا محب قيصر وصديق الرومانيين اقام ... على نفقته» (علم الشخص محطم) ومثله الخط عد ٢٥٥٣ وحلبون هي الوارد ذكرها في نبوة حزقيال (ف ٢٧ عد ١٨) بقوله «دمشق متجرة معك ... بخمر

حلبون وبالصوف الابيض، والاظهر ان المراد بحلبون هذه المدينة في جوار دمشق لا حلبون القريبة من حلب او حلب نفسها

﴿ عد ٤٨٢ ﴾

في ولاة سورية من الرومانيين الى حين حربهم لليهود

كان ولاة سورية الرومانيون يقيمون في انطاكية وقد مر ان قورينوس كان يلي سورية في ايام المخلص ثم خلفه نحو السنة العاشرة للميلاد سيلانوس فاستدعاه طيباريوس الى رومة لظنه انه صديق لقيصر الجرماني (وهو ابن اخي طيباريوس وقد تبناه وسمي الجرماني لانتصاره على الجرمانيين) الذي كان طيباريوس ارسله ليكون رئيس الجيش في المشرق تخلصاً من مزاحمته له على الملك وولى على سورية رجلاً اسمه بيزون محرزاً ثقته وشعر الجرماني ان بيزون يخالفه ويتجسس اعماله فعزله من منصبه سنة ١٩ وامره ان يعود الى رومة فاذعن له لكنه دس سماً قبل سفره للامير فاسقمه بعد حين واماته وقال عند احتضاره انه لا يمتري في ان بيزون اهلكه وحض اغريبين امرأته التي كانت بنت اغوسطوس قيصر واصحابه ان يثأروا بدمه منه فعادت اغريبين الى رومة واقامت في الندوة دعوى القتل على بيزون ورأى انه سيحكم عليه فانتحر سنة ٢٠

واقام روساء الرومانيين بعد مفارقة بيزون انطاكية سنتيوس ساتورنينوس على ولاية سورية فدبر شؤونها ثلث سنين لان اليوس لميا الذي نصبه طيباريوس والياً على سورية لبث في رومة ولم يغادرها فلم يعده المؤرخون من ولاة سورية ثم عزل طيباريوس ساتورنينوس واقام على سورية بمبايوس فلاكوس سنة ٢٣ فوليها عشر سنين ومات فيها سنة ٣٣ وقال الاب لنكرو وجدت قطعة من سكة فلاكوس ضربت وعليها تاريخ سنة ٨٢ فيظهر ان هولاء العمال الذين كان طيباريوس يرسلهم الى سورية لم يؤرخوا بسني ملك اغوسطوس بل بتاريخ متعارف في انطاكية

فان سنة ٨٢ لا توافق تاريخ اغوسطوس لان فلاكوس مات في ولايته على ما روى تاسيت سنة ٦٢ او سنة ٦٣ لاغوسطوس وهي سنة ٣٣ للميلاد، واستمرت انطاكية ولا عامل يليها سنتين الى ان نصب عليها طيباريوس لوشيوس ويتليوس سنة ٣٥ وفي السنة الثانية لولايته شكا اليهود والسامريون اليه بيلاطوس البنطي فعزله سنة ٣٨ وارسله الى رومة فنفي الى فيان في افرنسة كما مر (عد ٤٧٨) ولم يبقَ ويتليوس على ولاية سورية الا اربع سنين واستخلفه الملك غايوس سنة ٣٩ بيليوس بترونيوس فدبر امور هذا الاقليم بالحزم والحلم وامره غايوس ان يرغم اليهود على وضع تمثاله في هيكلهم في اورشليم وحضر الى عكا بجيش كثيف يهدد اليهود بالحرب فابوا اجابة سؤله ولم يرعهم وعيده ولم يثنهم وعده فامرهم ان يجتمعوا في طيبارية وخطب فيهم مبيناً غوائل اصرارهم فلم يذعنوا فكتب الى الملك مستعطفاً حلمه وموردًا حججهم وكان اغريبا كتب الى الملك رسالته المشار اليها عد ٤٧٩ فخمدت ثورة غضبه ثم بلغه ان اليهود حملوا السلاح فكتب الى بترونيوس يهدده بالموت لتساهله معهم ولايثاره درهمهم على نفوذ امره فلم تبلغ رسالته الا بعد موت غايوس وخلف بترونيوس فيلبس مرسوس سنة ٤٢ في ولاية سورية وكثر النزاع بينه وبين اغريبا ملك اليهودية فالتمس هذا من العاهل كلود تبديله فاستدعاه الملك الى رومة ونصب مكانه غايوس لنجينوس سنة ٤٥ واستمر على ولايته الى سنة ٥٢ وخلفه حينئذٍ غايوس كودراتوس وكان في ايامه نزاع شديد بين اليهود المقيمين في الجليل وبين السامريين افضى الى قتل بعض اليهود وكان والي اليهودية حينئذٍ يسمى كومانوس فشكا اليهود امرهم اليه فلم ينصفهم لان السامريين رشوه فحمل بعض اليهود السلاح ووثبوا على بعض قرى السامريين فانتهبوها وحرقوها فجمع كومانوس رجالاً وتعقبهم فقتل كثيرين واسر غيرهم وكان كودراتوس حينئذٍ في صور وبلغه ما كان فاتى السامرة ثم سار الى اللد فوقف على جلية الامر وقتل خمسة رجال ممن تسببوا

بهذه الثورة وارسل كومانوس وحنانياس رئيس الاحبار وبعض اعيان اليهود والسامريين الى رومة وبعد سماع الملك كلود حجج الفريقين وجد ان السامريين علة هذه الفتنة فقتل اعيانهم الذين ارسلوا الى رومة ونفى كومانوس (يوسيفوس ك ٢٠ في تاريخ اليهود فصل ٥) ومات كودراتوس في سنة ٦٠ وخلفه في الولاية على سورية دوميتيوس كربولون وكان رئيس الجيش الروماني في المشرق فدبر شؤون سورية الى سنة ٦٥ واستدعاه نيرون الذي رقى الى منصة الملك سنة ٥٤ واقام مكانه لوشيوس غاليوس وامره بمحاربة اليهود فانتصروا عليه في ٨ تشرين الثاني سنة ٦٦ فكتب الى نيرون يعزو انخذال جنوده الى خطأ فلورس والي اليهودية وكانت حينئذٍ الحرب التي دمرت اورشليم واليهودية وبددت اليهود كما سترى

﴿ عد ٤٨٣ ﴾

في ولاة اليهودية بعد بيلاطوس الى بداية حربهم مع اليهود

ذكرنا قبلاً ولاة اليهودية الى بيلاطوس البنطي ونقول الان انه بعد نفي بيلاطوس البنطي اقام ويتلوس والي سورية مرسلوس على اليهودية واثبته غايوس الملك لكنه نصب عليها بعد ذلك اغريبا الاول كما رأيت (في عدد ٤٧٩) ولما توفي سنه ٤٤ رغب عن نصب ابنه اغريبا الثاني عليها لصغر سنه وانقياداً لمشورة مستشاريه واقام عليها كوسيوس فاروس لانه كان صديقاً لآل اغريبا ومن اخباره انه لدن وصوله الى اورشليم وجد ان حدث نزاع بين اليهود المقيمين في عبر الاردن وبين اهل فيلادلفيا (وهي عمان الان) وقد وثب اليهود شاكي السلاح على اهل هذه المدينة دون مشورة حكامهم شيوخهم وقتلوا كثيرين منهم فقبض على ثلاثة من اليهود ممن كانوا سبباً لهذا التجني وقتل احدهم ونفى الاثنين وبعد مدة قبض على لص اسمه تلماوس كان يسطو على الادوميين والعرب وقتله واراح

اليهودية من مقلقي الراحة العامة

وقد بلغ الكهنة ووجوه اورشليم امر الملك ان يضعوا ملابس الاحبار في قلعة انانيا في اورشليم ليحتفظ عليها وفيها الجنود الرومانيون فقتل اليهود من هذا ولم يصوبوا المقاومة لامر الملك فارسلوا وفدًا الى رومة يسألون ان يبقى لهم على حريتهم في حفظ ملابس احبارهم فانعطف كلود لاجابة سؤلهم تكرمة لاغريبا الثاني الذي كان لائذًا بعقوته وامر الوفد ان يمضي اليه ويشكره على ذلك وكتب رسالة الى اليهود يأمنهم نبأ ويبوح بانعطافه الى اغريبا وباجابة سؤلهم حبًا به (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك ٢ فصل ١و٢) على ان فاروس لم يستمر على ولايته في اليهودية الا سنتين وخلفه فيها سنة ٤٦ طيباريوس اسكندر بن اسكندر الابرش من الاسكندرية وكان ابوه يهودياً لكنه ارتد عن مذهب اليهود وكان اغنى اهل الاسكندرية وفي ايامه حصلت مجاعة شديدة في اليهودية وهذا الوالي قتل يعقوب وسمعان ابني يهوذا الجليلي اللذين كانا هيجا اليهود ليثوروا على الرومانيين باثر احصاء قورينوس اليهود وقام في ولايته سنتين ايضاً وخلفه فيها سنة ٤٨ كومانوس المار ذكره وكان من الاحداث في ايامه ان جندياً رومانياً من حراس باب الهيكل كشف في ايام عيد الفطير عن عورته على مرأى كثيرين من الشعب فاستاء الجمهور من فظاعة صنعه وحسبوه اهانة لهم بل لله ايضاً واخذ المتحمسون يطعنون على كومانوس الوالي قائلين انه بامره اقدم الجندي على ما بدا منه فحنق كومانوس لهذا الطعن وامر الجند ان يدخلوا بسلاحهم الى قلعة انانيا المشرفة على الهيكل فتوهم الناس ان الجنود يثبون عليهم فتهافتوا على الفرار وازدحموا في الازقة الضيقة حتى مات منهم كثيرون وانقطع الناس عن الصلوات وتقدمة الذبائح في الهيكل وانقلب فرحهم بالعيد نوحاً ثم التقى بعضهم في خارج اورشليم بخادم للملك اسمه اسطفان فسلبوه كل ما كان معه فارسل كومانوس جنوده الى القرى المجاورة

اورشليم لينكلوا باهلها ويشخصوا اوجهها اليه فعثر جندي على اسفار موسى فمزقها على مرأى الجمهور واكثر من الشتائم للسنة والامة فهاج اليهود وماجوا ولم يصبروا على الاهانة واتوا الجم الغفير الى كومانوس في قيصرية يسألونه معاقبة من جنى على الهيم بتمزيق اسفاره وخشي ثورتهم عليه فقتل ذلك الجندي وتشفت صدورهم واستكانوا . وقد مر بك آنفاً ما اجراه كومانوس عند نزاع اليهود في الجليل والسامريين وهو ما افضى الى ارساله الى رومة ونفيه (يوسيفوس في تاريخ اليهود ك ٢٠ فصل ٣و٤)

وخلف كومانوس كلود فيلكس الذي كان والياً على السامرة والجليل فالحقت اليهودية بولايته سنة ٥٢ وكانت اليهودية في ايامه في اسوأ حال فقد كثر فيها اللصوص والمكارون ولم يكن يوم يمر الا ويعاقب فيه فيلكس بعضهم وكان من هولاء اللصوص رجل اسمه العازر صحبه قوم على شاكلته فاستدعاه فيلكس وامنه فاتى منقاداً فارسله اسيراً الى رومة وكان فيلكس يمقت يوناثان عظيم الاحبار لتوبيخه له على سوء تصرفه فرشى رجلاً اسمه دورا من اورشليم ليغتاله فاستدعى دورا بعض اللصوص فاتوا الى اورشليم متظاهرين بالتقوى ودخلوا بين خدمة عظيم الاحبار وخناجرهم تحت ارديتهم فقتلوه ولم يجزوا على جنايتهم الفظيعة فازدادوا جرأة وكانوا يأتون في الاعياد وينسابون بين الجمع فيقتلون من ابغضوه ومن رشوا على قتله حتى كانوا يرتكبون هذه الجرائم في الهيكل روى ذلك يوسيفوس (ك ٢٠ فصل ٥ من تاريخ اليهود) وقال « من يتعجب من هذا بعد ان نظر الله الى اورشليم بعين الغضب وبعد ان امسى بيته المقدس خلياً من القداسة التي تجعله مكرماً فقد ارسل الرومانيين ليعاقبوا هذه المدينة التعسة بالسلاح والنار ويسبوا سكانها مع نسائهم واطفالهم لعلهم يستفيقون بالعقاب الاليم من سكر اثمهم »

وكان هولاء اللصوص يملئون المدينة من القتلى وكان بعض المكارين يستجذبون الناس الى البرية ممّوهين ان يروهم ايات ومعجزات فقبض فيلكس على بعض هولاء وسجن بعضاً وقتل بعضاً واتى اورشليم حينئذٍ مصري يدعى النبوة وزين لكثيرين ان يتبعوه الى جبل الزيتون فيلفظ بعض كلمات فتدك اسوار اورشليم وعلم فيلكس بذلك فتداركه بفريق من جنده فقتلوا ممن اتبعوه اربع مئة رجل واسروا مئتين ولم يكن عقاب بعض اللصوص يروع الباقين بل استمروا يهيجون الشعب على الشغب والثورة على الرومانيين قائلين نفد صبرهم على تحمل نير الرومانيين غير المحتمل وكانوا ينهبون ويحرقون قرى من لا يتبعهم (يوسيفوس في المحل المذكور)

وفيلكس هذا هو الذي شكا حنيا رئيس الكهنة مع بعض الشيوخ بولس الرسول امامه اذ اوثقه قائد الاف في اورشليم وارسله اليه في قيصرية كما في كتاب اعمال الرسل (فصل ٢٣ و٢٤) فامر فيلكس قائد المئة ان يحرسه ويعامله برخصة ولا يمنع احداً من خواصه عن خدمته ولما سمع كلام بولس في البر والعفاف والدينونة ارتاع وكان يستحضره مراراً ولكن قال الكتاب «انه كان يؤمل ايضاً ان يعطيه بولس رشوة ... ولما انقضت سنتان خلف فستس فيلكس»

ان قول الكتاب هذا مطابق لما رواه المؤرخون العاليون اذ قالوا ان فستس خلف فيلكس وكان ذلك سنة ٦٠ للميلاد فان نيرون الملك استدعى فيلكس الى رومة لتظلم اليهود منه وارسل مكانه فستس فوجد اليهود في حال يرثى لها من اللصوص وتهيج المشاغبين على سلب الراحة والطمأنينة من جملة ذلك ان رجلاً كان يدعي السحر استجذب كثيرين الى البرية واعداً ان ينقذهم من كل سؤ فوجه اليهم فستس كتيبة من الفرسان والرجالة فبددوا شملهم . وقد بنى في ايامه اغريبا داراً تجاه القصر الملكي في اورشليم الذي كان المكابيون قد بنوه وكانت هذه

الدار مشرفة على المدينة كلها وكان اغريبا يرى من غرفته فيها كل ما يحدث حول الهيكل فشق على اعيان اليهود هذا البناء لحظر سنتهم التشرف لما يكون في الهيكل لا سيما عند تقدمة الذبائح فاقاموا حائطاً رفيعاً يصد اغريبا عن رؤية ما يكون في الهيكل وفي الرواق الذي بجانبه ويمنع جنود الرومانيين من ان يحفروا الهيكل ايام الاعياد فاستاء اغريبا وفستس وامر بنقض ذلك الحائط فلم يذعن اليهود بل لجأوا الى نيرون واوفدوا اليه عشرة من وجهائهم واسمعيل رئيس الكهنة وكاشياس خازن الهيكل وشفعت بهم بوبيا امرأة نيرون لديه فعفا عن اليهود ورخّص لهم في بناء الحائط ولكنه امسك رئيس الكهنة والخازن عنده رهينة ليخلص اليهود في الطاعة له (يوسيفوس ك ٢ فصل ٧ من تاريخ اليهود) وفستس هذا هو الذي شكا اليهود بولس بحضرته في قيصرية وسمع له اولاً وحده ثم بحضرة اغريبا الملك كما مرّ (في عد ٤٧٨) واستغاث بولس بحكمة قيصر كما في كتاب اعمال الرسل فصل ٢٥ و٢٦)

ومات فستس سنة ٦١ واقام نيرون مكانه البين فلم يدع شراً الا وصنعه وكان يتجر بحقوق العباد ويغصب اموالهم واثقل اليهودية بضرائب حديثة وكان يطلق من السجون من اودعتهم الحكومة اياها او القاهم اسلافه فيها بحيث يتقدونه مالاً ولا يعتد مجرماً الا من لم يدفع له شيئاً وقد تزلف اليه الاغنياء بتقادمهم وسر به المشاغبون لان تصرفه انسح المجال لثورتهم ولما استدعاه نيرون الى رومة سنة ٦٤ فتح كل السجون فاملأ اليهودية من اللصوص والقتلة (يوسيفوس في الحرب ك ٢ فصل ٢٤) وخلفه سنة ٦٥ جسيوس فلورس فانسى اليهود بجوره كل المظالم التي كانت في ايام اسلافه ونرجئ باقي الكلام فيه الى الفصل الثاني اذ ابتدأت الحروب بين اليهود والرومانيين في ايامه

وهذه صورة نيرون عن تمثاله في متحف اللوفر

الفصل الثاني

﴿ ذكر الحروب بين اليهود والرومانيين ﴾

نعتمد في كلامنا في هذه الحروب على ما دونه يوسيفوس اليهودي في تأليفه الذي افرده لها والموسوم بحرب اليهود للرومانيين من الفصل الخامس والعشرين من الكتاب الثاني فصاعدًا الى الختام فهو ثقة في ما كتبه عن امته وشاهد عياني لهذه الحروب بل كانت له بعض وقائع فيها وأُخذ اسيرًا كما سترى

﴿ عد ٤٨٤ ﴾

ايقاد فلورس نار الحرب وما كان في مدة ولايته

كان فلورس جائرًا ظلاماً لا يكتم جوره بل يتباهى به صارفاً مجهوده في ان يغني نفسه باموال الناس وكان ينتهب المدن والقرى حتى ارغم كثيرًا من الاغنياء وممن لا يطيقون البغي ان يهاجروا البلاد وكان غلوس يومئذٍ والياً في سورية فلم يجسر احد من اليهود ان يمضي اليه فيتظلم من فلورس لكنه اتفق ان شخص غلوس الى اورشليم في عيد الفصح في ربيع سنة ٦٦ وكانت اقدام الحجاج تزدحم هناك فشكوا اليه امرهم وسألوه ان يرفق بهم وينجيهم من الداهية الدهماء التي جلت بهم بان يبعد فلورس عن ولايته وكان هذا الكلام على مسمع من فلورس فكان يسخر من قائليه فوعدهم غلوس بان ينصح لفلورس ليغير تصرفه وعاد الى انطاكية وصحبه فلورس الى قيصرية وفكر انه اذا دام السلم في اليهودية شكاه اليهود الى نيرون فيحطه من منصبه واما اذا اتقدت نار الوغى فيخفي دخانها وظل قسطلها جرائمه فزاد في شره واعتسافه ليبعثهم على الثورة

وكان في قيصرية نزاع بين اليهود ومواطنيهم من الوثنيين فكان اليهود يدعون ان هذه المدينة لهم لان هيرودس ملكهم بناها واولئك يدعون ان مدينتهم كانت قبل هيرودس وان جدد ابنية فيها وانه لو اراد ان يخصها باليهود لما اقام فيها هياكل وتماثيل لهم ورفعت الدعوى الى نيرون فحكم بها للوثنيين على اليهود وكان لاحد الوثنيين محل في جانب مجمع اليهود رغبوا اليه ان يبيعهم اياه ولو باكثر من قيمته فابى واخذ يبني حوانيت تضيق ممر المجمع واراد بعض شبان اليهود المتحمسين ان يكفوا العملة عن البناء فردعهم فلورس عن المعارضة وقدم له وجهاء اليهود مبلغاً من المال فوعد بان يوقف البناء ومضى للحال من قيصرية الى سبسطية (السامرة) ليفتح مجالاً للقتال بين اليهود والوثنيين وكان اليوم التالي سبتاً فاخذ

احد الوثنيين يذبح طيورًا على باب المجمع عند خروج القوم منه فاستآء اليهود من ذلك وحسبوه ابتذالاً لستهم فالتحم القتال بين الفريقين ولم يستطع الحرس ان يفرق الجمعين واسرع بعض وجهاء اليهود يشكون امرهم الى فلورس في السامرة فالقاهم في السجن مكان ان ينصفهم من خصومهم

وسمع اليهود في اورشليم خبر هذه المعاملة الجائرة فقلقوا وارسل فلورس يطلب من خزينة الهيكل مبلغاً جسيماً من المال محتجاً بان يصرفه في حاجات للملك فتراكض الشعب الى الهيكل يصيحون مستغيثين باسم قيصر لينقذهم من هذا الوالي المعتسف ويفوه كثير منهم بشتائم ولعنات لفلورس وبعضهم يستعطي الصدقة من الاخرين لفلورس تهكماً عليه كأنه مبروت فقير اما هو فبدلاً من ان يسرع الى قيصرية ليخمد جذوة القتال فيها سار بجيشه من فرسان ورجالة توًا الى اورشليم لينتقم ممن قذفوه او عارضوا نفوذ امره ولما دنا من المدينة خرج الشعب للقائه والترحيب بجيشه اخمادًا لغضبه فارسل اليهم خمسين فارساً يامرهم بالعود الى بيوتهم قائلاً انه لا تغنيه تملقاتهم له بالخروج للقائه عن الاهانات التي الحقوها به وانه يخشى ان يسمعوه بحضرته ما اغتابوه به بغيبته فوثب اولئك الفرسان على الجمع فبددوه وعاد كل الى محله واجساً مرتعدًا وفي الصباح مضى اليه وجهاء الكهنة وسراة الشعب فقام على المنبر يطلب منهم ان يسلموا اليه للساعة كل من اغتابوه فاجابوه ان الشعب كله مقيم على الاخلاص في الطاعة له وانه في الاجتماعات العامة لا بد ان يفوه بعض السفلة بما لا يرضاه الجمهور وانهم لا يعرفون من هولآء السفلة من فرط منه ما يخل بكرامة واليهم فزاد هذا الجواب فلورس حنقاً وامر جنوده ان ينتهبوا كل ما يجدون في السوق العلياوان يقتلوا كل من وجدوا فاندفع الجنود ينهبون كل ما في الاسواق والبيوت ويقتلون كل من تمكنوا من قتله ولو كان من النسآء والاطفال فبلغ عدد القتلى ومئذٍ ثلثة الاف وست مئة وقبضوا

Restored through
a grant from
The Cartwright Foundation

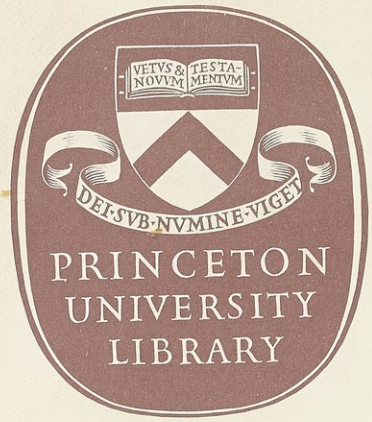

Princeton University Library
32101 082175629